عبد رب النبى على أبو السعود
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية

# الرجولة فى الإسلام

يطلب من
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
ت : ٣٩١٧٤٧٠

الطبعـة الأولى

١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م



دار التوفيق النموذجية للطباعة
أوفست.. تيبو
الأزهر: ٣ حيضان الموصلي بجوار جامع الدعاء
ت : ٥١١٥٣٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

الحمد لله الذى خلق فسوى ، وقدر فهدى ، أشهد أن لا اله الا الله القائل : ﴿ **لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم** ﴾(١) .

وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله القائل : « اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى »(٢) اللهم صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين .

وبعد :

ـــ ما الذى يجعل الانسان رجلا ؟

سؤال يطرح نفسه على من يتوق الى بلوغ ما يرنو به الى الكمال والرجولة وذلك لأن لكل شىء فى هذه الدنيا وظيفة يؤديها ، وأنه ليحقق كماله بمقدار ما يحسن آداءه لوظيفته التى خلق من أجلها ، على أن ذلك الأداء انما يجود أقصى جودته ، عندما يصدر فعله عن طبع لا تكلف فيه ، واذا أردت مثلا لذلك فانظر الى الشمس كيف ترسل ضياءها ؟ ، والى الوردة كيف تنشر أريجها ؟ ، والى الطائر كيف يغرد ؟ .

وعلى هذا النحو يكون الانسان الكامل تجىء أفعاله انعكاسا لطبعه ، فاذا ألقينا على أنفسنا السؤال الذى بدأ به الحديث : هو ما الذى يجعل الانسان رجلا ؟ ـــ كان ذلك بمثابة سؤال عن حقيقة النفس الانسانية ما هى ؟

---

(١) التين : ٤ (٢) رواه ابن السنى .

لأن درجة الكمال فى أفعالنا تتفاوت بتفاوت تصويرها للنفس وهى فى حالة كمالها ؟

ويقول ابن مسكويه فى كتابه : « تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق » إن للانسان قوتين احداهما قوة عالمة والأخرى قوة عاملة .

فبالأولى يفكر الانسان فيما يستدعى التدبر العقلى من شئون حياته ، وبالأخرى يعمل لتنفيذ ما كان رسمه لنفسه بفكره .

ولما كان لكل قوة كمالها الخاص بها ، كان للانسان وجهان من الكمال يسيران معا ، فكمال فى دقة التفكير وتسامى أهدافه وكمال آخر فى اتقان التنفيذ فى التطبيق .

والرجولة هى صفة جامعة لكل صفات الشرف من اعتداد بالنفس واحترام لها ، شعور عميق بأداء الواجب ، مهما كلفه من نصب ، وحماية لما فى ذمته من أسرة وأمة ودين ، وبذل الجهد فى ترقيتها والدفاع عنها ، والاعتزاز بها ، واباء الضيم لنفسه ولها .

والرجولة هى أن يتمسك الانسان بالفضائل ويبتعد عن الرذائل ، وأمهات الفضائل هى : الحكمة والشجاعة والعفة والعدل .

وهذه الفضائل جاءت نتيجة مباشرة لتحليل الانسان الى ثلاث مقومات : فهو ذو عقل ، وهو ذو وجدان ، وهو ذو حاجات تتصل بالجسد ، ولكل مقوم من هذه المقومات شكيمة توقفها عند الحد الملائم حتى لا تتجاوز حدودها . فأما العقل فشكيمته أن يلتزم حدود الحكمة .

واذا كانت فضيلة الحياة العقلية أو العلمية هى أن تتصف بالحكمة حتى لا تطيش سهامها ، ففضيلة الجانب الوجدانى من الانسان هى الشجاعة ، فشجاعة الشجاع تكفل له ألا يخاف شيئا فى سبيل الحق ، وما أكثر ما تكون حماية الحق والدفاع عنه فى وجه الباطل ثقيلة الأعباء . لا يقوى على حملها الا الأقوياء بشجاعتهم وبصبرهم على المكاره التى يرجح أن يجدوها فى طريقهم الى الدفاع عن الحق ، ولا عجب أن نجد الحق والصبر مقترنين فى الآيات الكريمة :

**﴿ والعصر . ان الانســـان لفى خسر . الا الذين آمنـــوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾(١) .**

وبقى الجانب الثالث من مقومات الانسان ، وهو جانب الحاجات الجسدية التى لا بد منها لاقامة الحياة ، وهذه فضيلتها « العفة » التى تكتفى باشـباع الحاجة الجسدية على قدر ما هو ضرورى للجسد بغير افراط .

تلك هى مقومات ثلاثة ، لكل مقوم منها فضيلته ، لكن هناك فضيلة رابعة لا تتصل بمقوم معين ، الا وهى العدالة وانها لتتحقق للانسان اذا ما تحققت له الفضـائل الثلاث السـابقة ، أى أنها محصلة تنتج من تلقاء نفسـها ، عندما يكون الانسان حكيما شجاعا عفيفا ، فعندئذ يصبح عادلا .

والحكمة والشجاعة والعفة والعدل ، هى أمهات الفضائل بمعنى أن سـائر الفضائل تتفرع منها .

فالانسـان انسان بعقله ، وبوجدانه ، وبجسده شريطة أن يلزم كل هذه الجوانب حدود فضيلته ، وهى الحكمة للعقل ، والشجاعة للقلب ، والعفة للبدن ، فاذا تحققت ، كان الانسان وهو فى أسـمى درجـاته ، انسانا يتسم بالعدالة التى هى وضـع كل قوة من قواه فى موضـعها المناسب(٢) .

أين الرجولة التى كانت رمز القوة الفعالة فى الانسان القديم ؟

الرجولة التى ورثها الصحابى الرجل ، عن أبيه العربى الرجل ، عن جده القديم الرجل ، فكانت عماد مبدئه الانسانى .

الرجولة التى كانت النار المندلعة والثورة الجامحة فى دماء صحابة

---

(١) سـورة العصر .

(٢) انظر : مجـلة الحرس الوطنى : العـدد (٢٩) بتاريخ رجب ١٤٠٥ هـ — أبريل ١٩٨٥ م ، ( ص ٧٨ — ٨٠ ) بتصرف .

محمد صلى الله عليه وسلم ، وفى دماء أعوانه وأنصاره ، على الجهاد للحق والقوة والمبــدأ •

الرجولة التى طبعت كل شيء حولها بطابعها الجبار •

الرجولة التى دوت بها صرخة قائد البشرية الكامل محمد صلى الله عليــه وسلم ، فارتفع بها الى قمة المثل العليا ، يوم قال :

« والله يا عم ، لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما فعلت ، حتى يظهره الله ، أو أموت دونه » !

هكذا يقول قائدنا الكامل البطل • بل قائدنا الكامل الرجل فهذه رجولة رجل ، قبل أن تكون فضيلة نبى ، وقانون دم قبل أن يكون سمة خلق فاضل ، وعقيدة مؤمن يستهين الموت فى سبيل التراجع المفروض عليه دونها • غير ناظر الى الجزاء •• هذه قوة ، وجمال ، وحق وحيــاء ورحمة وعــدالة •

حياء من الهزيمة الى الحق ، ورحمة للجاهلين بالحق ، وعدالة تأخذ الحق بالحق ألا فلتكن دستورنا ، كلمة قائدنا الكامل الرجل • لتكن فينا فضيلة الفاضل ، وغيرة الغيــور ، ومبدأ المصــلح ، وفكرة الأديب وعقيدة الوطنى الحر ، جهادا يظهره الله ، أو نموت دونه •

فلا فضيلة بلا ايمان ، ولا ايمان الا بالعمل ، ولا عمل الا بالقوة ، ولا قوة الا بالرجولة •

ألا فلتكن الفضيلة ايمانا ، بل مســعى صــادقا لاظهارها ، ونشر لوائها ، فما تكون الفضــيلة اســتقامة • حتى تكون مبــدأ يظهره الله أو نموت دونه •

ألا وان فى عنق كل منا رسالة ، لا تتم الأمانة الا بأدائها ، وباقامة منارها وبالكفاح لنصرتها ، ودحض نقائضها[1] •

---

(1) انظر : الرجولة عماد الخلق الفاضل / حمزه شحاته — الرياض : تهامه ، ١٤٠١ هـ ( ١٩٨١ م ) ص ١٢٠

والرجل هو الذى لا يضيع حياته عبثا ولا يترك وقته يذهب سدى . ولا يضيع فرصته ، والرجل الذى يقضى حيـاته فى العمل والعبادة ، ويغمر أوقاته بطلب العلم ويكون ذا مروءة سـامية وأخلاق عاليـة ، والرجل هو الذى يضحى بأعز ما لديه فى سبيل رفع مستوى أمتـه ، واحياء مجد دينه ، والرجل هو الذى اذا قال فعل واذا فعل ثبت .

والرجل هو الذى لا يخاف فى الحق لومة لائم ، ولا يرضى بالذل ، ولا يقنع فى حياته الا بالمجد الصريح .

هذه صفات الرجولة ، فمن استكملها فهو الرجل بحق وهو البطل بصـدق ، فالى التحلى بهذه الصفات النبيلة أدعو الناشـئة والشـباب ليصبحوا رجال الغد وأبطال المستقبل الأماجد .

وعلى الله قصـد السـبيل ؟

الرياض

محرم ١٤١٤ هـ ـ يوليو ١٩٩٣ م

المؤلف

**عبد رب النبى على ابو السعود**

# الفصل الأول

## الحكمة

- قوة العقل .
- حسن التدبير .
- الحذر .
- حسن الظن .
- الفطنة .
- خفايا آفات النفوس .

# الفصـــل الأول

## الحكمــــة

معنى الحكمة : جاء فى دائرة المعارف الاســلامية رأى البيضاوى بأنها : « استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الأفعال الفاضلة على قدر طاقتها »(١) .

وفسرها أحد علماء اللغة بأنها : « معرفة أفضل الأشياء بأفضـــل العلوم »(٢) .

وذكر التهانوى فى كتابه كشاف اصطلاحات الفنون كثيرا من المعانى لكلمة الحكمة أهمها أنها : علم الحكمة : وتشمل بيان الحكمة العلميـــة من الحكمة الخلقية والحكمة السياسية والمدنية وبيان الحكمة النظرية ومنها معرفة الحق لذاته والخير لأجـل العمل به والتكاليف الشرعيـــة ثم قال : هكذا فى التفسير الكبير فى قوله تعالى : ﴿ **ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمـــة** ﴾(٣) .

والشائع المتواتر على ألسنة الناس فى هذه العصور يؤخذ عنه أن الحكمة هى الاصابة فى العلم والعمل .

وللحكمة أثر بعيد المدى فى ضبط سلوك الأفراد والمجتمعات وبهـا تتجنب مزالق الاقدام وتتوقى الأخطار فى الحياة الخاصة والعامة .

وما كانت الحكمة شـــأن فرد الا أصاب النجاح والفلاح ، ولا كانت خلق أمة الا بسطت ســـيادتها على العالم وسار مجدها ســـير الشمس . وكيف لا والحكمة تقتضى قبل كل عمل تبصرا بالأمور من جميع نواحيها ؛ وحـــذرا .

والحكمة هى معرفة الأفضل فى كل شيء وفى كل سلوك فى الميادين

---

(١) انظر : دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ١٤/٨ — وزارة الثقافة — مصر ، ١٩٦٩ م .

(٢) لســـان العرب ، انظر كلمة الحكمة .　　(٣) الاسراء : ٣٩

المختلفة والعمل بموجب تلك المعرفة اليقينية الراسخة وتحكيم العقل والارادة الدينية وتطبيق العلم فى المشكلات والقضايا .

وتعليم الحكمة والتنشئة بها مهم فى ميدان التربية العقلية ، لأنها من الوسائل المهمة والعوامل الدافعة الى تكوين شخصية عاقلة حكيمة يتفاعل مع ما يتعلم من الحقائق العلمية ويندفع الى تطبيقها فى حياته العلمية فى المجالات المختلفة ، ويسعى باستمرار الى ما هو أفضل فى كل شىء ، فى حق نفسه وحق أمته ، ثم انه لا يخضع فى تفكيره وسيره وعمله لنزواته وشهواته . ولا يكفى مجرد تعليم الحكمة بل لا بد مع ذلك من التنشئة بها فى مختلف مراحل تربية الانسان ، لأن الانسان ان لم يمارسها لا يستطيع أن يكتسبها ولا يستطيع أن يقدر قيمتها حق قدرها . ثم ان التنشئة بها تكون عند المتربى الارادة الحكيمة التى لا يمكن أن تتكون من الناحية العملية بدون ممارستها والتنشئة بها .

فاذا ازداد الانسان علما بالحكمة وسلوكا وارادة يستطيع أن يتصرف تصرفا حكيما بالرغم من الظروف المختلفة والعوامل الدافعة الى الخروج عن الحكمة عندئذ يتحقق مغزى قول الله تعالى : ﴿ **ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا** ﴾(١) وخاصة اذا علم الانسان حكمة المبادىء الاسلامية وقيمها المختلفة كان أكثر اندفاعا لها وتمسكا بها .

ولهذه الأهمية للحكمة ذكرها تعالى مقارنا بالقرآن ومقارنا بالكتب السماوية أيضا فى قوله تعالى : ﴿ **واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل** ﴾(٢) ولهذا أيضا أرسل الرسول بهدف تعليم الكتاب وتزكية النفوس وتعليم الحكمة كما ذكر الله تعالى فى قوله :

﴿ **كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون** ﴾(٣) .

ثم دعا الاسلام الى أن تكون الدعوة فى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة فقال تعالى : ﴿ **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** ﴾(٤) .

---

(١) البقرة : ٢٦٩ (٢) المائدة : ١١٠

(٣) البقرة : ١٥١ (٤) النحل : ١٢٥

ومن الظواهر الجديرة بالتأمل أن تعاليم الحكمة لم تكن معروفة الا قليلا فى عصر الجاهلية العربية بل لا تكاد توجد فى الآثار التاريخية لذلك الشعب الذى كان همه الغارات ،وكأنها كانت تتنافى وصيغه المخلوعة بحمية الجاهلية ، فلما جاء الاسلام مجد الحكمة ،ودعا اليها وزخر الأدب الاسلامى بذكرها ولهج بها الشعراء والكتاب ،وما أبدع قول الشاعر :

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها فاذا انتهت فأنت حكيم

وبعد فكفى الحكمة شرفا أن وصف الله سبحانه وتعالى ذاته العلية بها فى غير موضع من الكتاب الكريم قال تعالى : ﴿ **وهو العلى الحكيم** ﴾ ، وقال جل شأنه : ﴿ **ان الله كان عليما حكيما** ﴾ وقال عز من قائل : ﴿ **وهو الحكيم الخبير** ﴾[1] .

ومن كل هذا نقرر أن الحكمة من أمهات الفضائل التى يجب أن يتحلى بها الانسان الرجل المسلم .

ولهذا كله نرى الرسول صلى الله عليه وسلم يشجع على طلب الحكمة قائلا : « الكلمة الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها »[2] .

وفى رواية أخرى «الحكمة ضالة المؤمن»[3] . وقال : «لا حسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها »[4] وقال أيضا : « نعم المجلس مجلس ينشر فيه الحكمة »[5] ثم اننا يجب أن نعلم أن من أسباب انصراف كثير من المسلمين فى العالم الاسلامى عن التمسك بالمبادىء الاسلامية الجهل بحكمة الأحكام التشريعية لهذا الدين . ولهذا كله يجب الاهتمام بالتربية بالحكمة فى ميدان التربية الاسلامية[6] .

* * *

(١) انظر : الاخلاق فى الاسلام والفلسفة القديمة ـ أسعد السحمرانى ، ص ١٠١

(٢) سنن ابن ماجه : جـ ١٣٩٥/٢ كتاب الزهد ، باب الحكمة .

(٣) المقاصد الحسنة ـ السخاوى جـ ٩١/١

(٤) تفسير ابن كثير جـ ٣٣٥/١

(٥) التاج الجامع للأصول لأحاديث الرسول جـ ٧٥/١

(٦) انظر : جوانب التربية الاسلامية الأساسية ـ مقداد يالجن ـ بيروت : مؤسسة الريحانى ص ٩٦ ـ ١٠١ ( بتصرف ) .

# المبحث الأول

## قوة العقـــل

فى كتاب الله سبحانه وتعالى تكررت الدعوة الى استخدام العقل ، ومرادفاته كالفكر واللب ، والعقل هو وسيلة أعطاها الله عز وجل للانسان من أجل الاستنباط والاجتهاد والفهم ، وبه تميز الانســـان عن ســـائر المخلوقات ، والعقل فى حقيقته لا يرى ، ولا يلمس ، وانما تلمس آثاره •

### ● معنى العقـــل :

يذكر الامام المحاسبى فى رسالته ( ماهية العقل وحقيقته ) معنى العقل وفضله فيقول :

انه غريزة وضعها الله سبحانه فى أكثر خلقه ، لم يطلع عليها العباد بعضهم من بعض ، ولا اطلعوا عليها من أنفسهم برؤية ولا بحس ولا ذوق ولا طعم ، وانما عرفهم الله اياها ــ يعنى غريزة العقل[1] •

فقد جاءت نصوص متعددة تعبر عن أن العقل قوة مدركة فى الانسان خلقها الله فيه ليكون مسئولا عن أعماله على أساس قدرته للادراك والتمييز بين الحق والباطل والخير والشر والحسن والقبح ثم تكليفه بناء على ذلك أن يتبع طريق الحق والخير والحسن وأن يتجنب طريق الباطل والشر والقبح والضلال والانحراف • وعلى الانسان بناء على هـــذا وذاك أن يستخدم هذه القدرة ويعمل بها كما أرشـــده خالقه والا كانت عاقبتـــه

---

(١) انظر : ماهية العقل ومعناه ــ الحارث المحاســـبى ــ بيروت : دار الفكر ، ص ٢٠١

الخسران والهلاك فى الدنيا والآخرة ولهذا بين الله تعالى أن سبب الانحراف والضلال هو عدم العمل بمقتضى هدى العقل السليم فقال :

**﴿ وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير ﴾(١) .**

وقال تعالى :

**﴿ يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه ﴾(٢) .**

**﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب ، أفلا تعقلون ﴾(٣) . ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس ، وما يعقلها الا العالمون ﴾(٤). ﴿ أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ﴾(٥) . ﴿ ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ﴾(٦) .**

وأهم ما يمكن أن نستخلصه من هذه النصوص وغيرها فيما يتعلق بالعقل هو أن العقل قوة مدركة فطرية فى الانسان وأنه يستعمل لثلاثة معان الأولى : الادراك ، الثانى : العمل بمقتضى الادراك وهو العقل العملى أو الحكمة والثالث : التعقل القلبى .

والفرق بين الادراك العقلى والادراك القلبى هو أن الانسان يحس بالفرق بين الادراكين من حيث ان ما يدركه الانسان بقلبه غير ما يدركه بعقله ، وما يدركه بعقله قد لا يدركه بقلبه اذ ان هناك خصوصية لادراك كل من العقل والقلب فان الادراك العقلى منطقى تسلسلى واستدلالى ، بينما ادراك القلب مباشر وفجائى وأن ادراك القلب الهامى واضح كالعيان

---

(١) الملك : ١٠ .
(٢) البقرة : ٧٥
(٣) البقرة : ٤٤
(٤) العنكبوت : ٤٣
(٥) الحج : ٤٦
(٦) الأنفال : ٢٢

ولهذا عبر الله عن ادراك القلب بالرؤية فقال تعالى : ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى** ﴾(١) .

وينبغى أن نفرق هنا بين القلب المادى الجسمى المعروف وبين القلب المعنوى الذى هو جوهر الانسان وحقيقته كما أن قلب الشىء جوهره وحقيقته أو وسطه الهام .

اذن رؤية القلب غير ادراك العقل ودليل وجود هذا الفرق تجريبى أكثر من أن يكون منطقيا . فالانسان أحيانا قد يشعر بحقيقة فى نفسه ولا يجد لها دليلا منطقيا . وبالعكس قد يجد دليلا منطقيا على فكرة ولا يطمئن اليه قلبه أو يقتنع به قلبيا(٢) .

والعقل به يكون الحظ ، ويؤنس الغربة ، وينفى الفاقة ، ولا مال أفضل منه ، ولا يتم دين أحد حتى يتم عقله .

فبالعقل تعمر القلوب ، كما أن بالعلم تستخرج الأحلام ، وعمود السعادة العقل ، ورأس العقل الاختيار ، ولو صور العقل صورة لأظلت معه الشمس لنوره ، فقرب العاقل مرجو خيره على كل حال ، كما أن قرب الجاهل مخوف شره على كل حال .

ولكى تكون رجلا عاقلا لا تستحقر أحدا ، لأن من استحقر السلطان أفسد دنياه ، ومن استحقر الأتقياء هلك دينه ، ومن استحقر الاخوان أفنى مروءته ، ومن استحقر العام أذهب صيانته .

والعاقل لا يخفى عليه عيب نفسه ، لأن من خفى عليه عيب نفسه خفيت عليه محاسن غيره ، وان من أشد العقوبة للمرء أن يخفى عليه عيبه ، لأنه ليس بمقلع عن عيبه من لم يعرفه ، وليس بنائل محاسن الناس من لم يعرفها .

والعاقل يبذل لصديقه نفسه وماله .

---

(١) النجم : ١١

(٢) انظر : جوانب التربية الاسلامية ـ مقداد يالجن ، ص ٨٧ ـ ٨٨

والعاقل يكرم على غير مال ، كالأسد يهاب وان كان رابضا والعاقل لا يطول أمله ، لأن من قوى أمله ضعف عمله ، ومن أتاه أجله لم ينفعه أمله .

والعاقل لا يقاتل بغير عدة ، ولا يخاصم بغير حجة ، ولا يصارع بغير قوة ، لأن بالعقل تحيا النفوس ، وتنور القلوب ، وتمضى الأمور ، وتعمر الدنيـــا .

والعاقل يقيس ما لم ير من الدنيا بما قـــد رأى ، ويضيف ما لم يسمع منها الى ما قد سمع ، وما لم يصب منها الى ما قد أصاب[1] .

وقال الامام المـــاوردى رحمه الله :

اعلم أن لكل فضيلة أســا ، ولكل أدب ينبوعا ، وأس الفضـــائل وينبوع الآداب هو العقل الذى جعله الله تعالى للدين أصلا ، وللدنيـــا عمادا ، فأوجب التكاليف بكماله ، وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه وأنشـــد بعض أهل الأدب هذه الأبيات ، وذكر أنها لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه:

ان المكارم أخـــلاق مطهـــرة فالعقـــل أولهـــا والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعهـــا والجود خامسها والعرف سادسها
والبر ســـابعها والصبر ثامنها والشكر تاســـعها واللين باقيها

واعلم أن بالعقل تعرف حقائق الأمور ، ويفصـــل بين الحســـنات والسيئات ، وهو ينقسم الى غريزى ومكتسب[2] .

أخى المســـلم الرجل .. ان العقل هبة الرحمن ، فينبغى علينـــا أن نقوم بشكره عليها بفعل طاعته ، والبعد عن معصيته .

ان العقل مع امتثال طريق الله هو بحق العقل السليم ، وصـــاحبه هو العاقل حقيقة .

---

(1) انظر : مختصر روضـــة العقلاء ص ١٦ ــ ٢٦ ، وكتاب العقـــل وفضله : ابى الدنيا ــ تحقيق مجدى السيد ابراهيم ــ القاهرة : مكتبة القرآن ص ١٣ ، ١٤

(2) انظر : أدب الدنيا والدين ــ المـــاوردى ، ص ١٤ ــ ٢٢

اذن فالمراد من العقل الارادة الجازمة القوية القادرة على عقل النفس وأهوائها وشهواتها ، وضبطها فى حدود الخير ، مع استنادها الى معرفة الأمور ، وبصيرة بما فيها من خير وشر .

ولا ننسى أن القرآن الكريم رفع من شأن العقل ، وطالبنا بالتحلى به والسير على هديه ، والتمسك بأهوائه ، وقد تكررت مادة العقل فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : عقلوه — تعقلون — يعقلون — يعقلها — فعقل ، تسعا وأربعين مرة[1] .

وجاء فى الأثر :

ان جبريل أتى آدم عليه السلام ، فقال له : « انى آتيك بثلاث فاختر واحدة منها » ، قال : وما هى يا جبريل ؟ قال : « العقل والدين والحياء » قال : قد اخترت العقل ، فخرج جبريل الى الحياء والدين فقال : « ارجعا فقد اختار عليكما العقل ، فقالا : أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان » .

وقال عليه السلام أيضا مشيدا بالعقل : « ما اكتسب رجل مثل عقل يهدى صاحبه الى هدى ، ويرده عن ردى ، وما تم ايمان عبد ولا استقام دين حتى يكمل عقله »[2] .

ان الاسلام قد وضع يد الانسان على أسرار هذا الكون ليلمس بعقله العبرة والعظة من هذه المظاهر الكونية ، ولكن عقل الانسان لو تجاوز حدوده لأدى ذلك الى التفكير المضطرب ، الى الانحدار ، الى الهاوية .

ونحن البشر لا يعنينا أن نعرف حقيقة هذا العقل ، لأن الذى يهمنا فقط هو آثار هذا العقل ، تلك الآثار التى نلمسها فى حياتنا ، وفى ميادين البحث والمعرفة والسلوك ، والنظر فى هذا الكون العريض لنركع فى خشوع أمام مبدعه :

---

(١) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم — محمد فؤاد عبد الباقى ( عقل ) .

(٢) انظر : مقام العقل عند العرب ، ص ٣٠ ، ٣١

﴿ صنع الله الذى أتقن كل شىء ﴾(1) .

قال أبو زكريا الرازى : ان البارى عز اسمه انما أعطانا العقل ، وحبانا به لننال ونبلغ به من المنافع العاجلة غاية ما فى جوهر مثلنا نيله وبلوغه[٢] ..

فبالعقل فضلنا على الحيوان غير الناطق حتى ملكناه وسسناه .. وبالعقل أدركنا جميع ما يرفعنا .. وبالعقل أدركنا الأمور الغامضة البعيدة المستورة عنا ، وبه عرفنا شكل الأرض والفلك ، وعظم الشمس والقمر ، وسائر الكواكب ، وأبعادها وحركاتها وبه وصلنا الى معرفة البارى عز وجل الذى هو أعظم ما استدركنا . وبالجملة فانه الشىء الذى لولاه لكانت حالتنا حالة البهائم والأطفال والمجانين[٣] .

* * *

(١) النمل : ٨٨

(٢) انظر : الطب الروحانى ــ الرازى .

(٣) انظر : مقام العقل عند العرب ــ لحافظ طوقان ص ١٠

# المبحث الثانى

## حسن التدبير

التدبير : فى أصل اللغة التوفيق بين أوائل الأمور ومباديها ، وأدبارها وعواقبها ، بحيث تكون المبادىء مؤدية الى ما يريد من غاياتها ، كما أن تدبر الأمر أو القول هو التفكر فى دبره ، وهو ما وراءه وما يراد منه وينتهى اليه .

والتدبر هو النظر فى أدبار الأمور ، أى أواخرها ونتائجها وعواقبها ، وتدبر الكلام هو النظر والتفكر فى غاياته ومقاصده التى يرمى اليها ، وعاقبه العامل به والمخالف له ، وقد استعملت كلمة « التدبر » فى كل تأمل ، سواء أكان نظرا فى حقيقة الشىء وأجزائه ، أم فى سوابقه وأسبابه ، أم فى لواحقه وأعقابه .

وتدبر فلان الأمر ودبره تدبيرا : نظر فى عواقبه وأدباره ليقع على الوجه المحمود ، ولذلك يقال : التدبير هو النظر فى عواقب الأمور أو التفكير فى دبر الأمور .

وقد وردت مادة « التدبير » فى طائفة من آيات القرآن الكريم ، فجاء فى سورة يونس : ﴿ **ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش ، يدبر الأمر ، ما من شفيع الا من بعد اذنه ، ذلكم الله ربكم فاعبدوه ، أفلا تذكرون** ﴾(1) .

وقوله « يدبر الأمر » : أى يقضى ويقدر على حسب ما تقتضيه الحكمة والكمال . وجاء فى سورة الرعد : ﴿ **الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش ، وسخر الشمس والقمر ، كل يجرى لأجل مسمى ، يدبر الأمر ، يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون** ﴾(2) .

---

(1) يونس : ٣ (2) الرعد : ٢

وجاء فى سورة السجدة : ﴿ **يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون** ﴾(١) .

وجاء فى سورة النازعات : ﴿ **فالمدبرات أمرا** ﴾ والمراد بالمدبرات أمرا هنا الملائكة الموكلة بتدبير الأمور ، أو الملائكة المدبرات أمر الدنيا باذن الله تعالى .

ويرى الامام محمد عبده أنها الكواكب التى انفردت بتدبير بعض الأمور الكونية فى عالمنا الأرضى ، وليس التدبير هنا الا ظهور الأثر ، ونسبة التدبير اليها لأنها أسباب ما نستفيده منها ، والمدبر الحكيم هو الله جل شأنه .

وقد وردت مادة « التدبر » فى آيات من القرآن المجيد ، ففى سورة النساء : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** ﴾(٢) .

أى : ألا يتأملون معانيه ويتبصرون ما فيه ؟ أفلا يتدبرون كتاب الله تعالى ، فيعلموا أنه كلام الله ، لاتساق معانيه ، وائتلاف أحكامه ، وتأييد بعضه بعضا بالتصديق ، وشهادة بعضه لبعض بالتحقيق ، لأن القرآن لا يكذب بعضه بعضا ، ولا ينقض بعضه بعضا ، وما يجهله بعض الناس من أمره هو من قلة علمهم وتقصير عقولهم .

وفى تفسير المنار : يتعرض السيد رشيد رضا لتفسير هذه الآية الكريمة بما يكشف عن مكانة فضيلة التدبر بين الفضائل الاسلامية القرآنية فيقول : والمعنى : جهل هؤلاء حقيقة الرسالة ، وكنه هذه الهداية . أفلا يتدبرون القرآن الذى يدل على حقيقتها ، وعاقبة المؤمنين بها ، والجاحدين لها ، فيعرفوا أنه الحق من ربهم ، وأن ما أنذر به الكافرين والمنافقين واقع بهم ، لأنه كما صدق فيما أخبر به عما يبيتون فى أنفسهم ، وما يثنون عليه صدورهم ، ويطوون عليه سرائرهم ، يصدق كذلك فيما يخبر به من سوء مصيرهم ، وكون العاقبة للمتقين الصادقين ،

---

(١) السجدة : ٥ (٢) النساء : ٨٢

والخزى والسوء على الكافرين والمنافقين بل لو تدبروه حق التدبر لعلموا أنه يهدى الى الحق ، ويأمر بالخير والرشد ، وأن عاقبة ذلك لا تكون الا بالفوز والفلاح والصلاح والاصلاح . فاذا كانوا لاستحواذ الباطل والغى عليهم — لا يدركون كنه هداية هذا القرآن فى ذاتها ، أفلم يأن لهم أن يدركوا من خصائصه ومزاياه ، أنه لا يمكن أن يكون الا من عند الله ؟

ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ، أى لو كان من عند محمد بن عبد الله القرشى ، لا من عند الله الذى أرسله به ، لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ، لعدم استطاعته واستطاعة أى مخلوق أن يأتى بمثل هذا القرآن فى تصوير الحق بصورته كما هى ، لا يختلف ولا يتفاوت فى شىء منها ، لا فى حكايته عن الماضى ، الذى لم يشاهده محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يقف على تاريخه ، ولا فى اخباره عن الآتى فى مسائل كثيرة وقعت كما أنبأ بها ، ولا فى بيانه لخفايا الحاضر ، حتى حديث الأنفس ومخبآت الضمائر » .

وجاء فى سورة محمد ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ، أم على قلوب أقفالها** ﴾(١) أى : أفلا يلاحظون معانى القرآن ودقائقه ورقائقه ، وما فيه من المواعظ والزواجر ، حتى لا يقعوا فيما وقعوا فيه من الموبقات ، ولا ينكشف لها الأمر ، فكأنها مقفلة ، لا تقبل التدبر ولا الاعتبار ؟.

ويصور ابن جرير الطبرى معنى الآية بما خلاصته : أفلا يتدبر هؤلاء الضالون مواعظ الله تعالى التى يعظهم بها فى آيات القرآن الذى أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ويتفكرون فى حججه التى بينها لهم فى تنزيله ، فيعلموا خطأ ما هم عليه مقيمون ، أم أقفل الله على قلوبهم ، فلا يعقلون ما أنزل الله فى كتابه من المواعظ والعبر ، انهم لو فعلوا لوجدوا فى القرآن الكريم زاجرا عن معصية الله ، وداعيا الى طاعته .

---

(١) محمد : ٢٤

وهذا معناه أن التدبر اذا صار للانسان خلقا يتحلى به ، وفضيلة يتزين بجمالها ، فان التدبر يعصم صاحبه من السوء ، ويقربه بالخير وهذا التدبر انما يثيره فى الانسان قلب حى يقظ ، وعقل متفتح مستجيب واحساس دقيق مرهف ، وبهذا الاستعداد يتمكن الانسان من أن يحسن التدبر الدنيوى والتدبر الدينى ، وهما اللذان يشير اليهما خالد بن معدان فى قوله : « ما من آدمى الا وله أربع أعين : عينان فى رأسه لدنياه ، وما يصلحه من معيشته ، وعينان فى قلبه لدينه ، وما وعد الله من الغيب فاذا أراد الله بعبد خيرا أبصرت عيناه اللتان فى قلبه ، واذا أراد الله به غير ذلك طمس عليهما » .

ويشير تفسير المنار الى أن التدبر للقرآن الكريم هو طريق الهداية السليم وصراط الحق المستقيم ، وأن تدبر القرآن فرض على كل مكلف بحسب قدرته وطاقته ، وهذا التدبر هو الذى يحقق للانسان الاستقلال فى الفهم والادراك ، ويصونه من فساد التقليد والمتابعة العمياء .

ثم يقول : « يجب على كل مسلم يتدبر القرآن ، ويهتدى به بحسب طاقته ، وأنه لا يجوز لمسلم قط أن يهجره ويعرض عنه ، ولا أن يؤثر على ما يفهمه من هدايته كلام أحد من الناس لا مجتهدين ولا مقلدين ، فانه لا حياة للمسلم فى دينه الا بالقرآن ، ولا يوجد كتاب لامام مجتهد ، ولا لمصنف مقلد ، يغنى عن تدبر كتاب الله فى اشعار القلوب عظمة الله تعالى وخشيته وحبه ، والرجاء فى رحمته والخوف من عقابه ولا فى تهذيب الأخلاق وتزكية الأنفس ، وتنزيهها عن الشرور والمفاسد وتشويقها الى الخيرات والمصالح ، ورفعها عن سفاسف الأمور الى معاليها ، ولا فى الاعتبار بآيات الله فى الآفاق ، وسننه فى سير الاجتماع البشرى وطبائع المخلوقات ، ولا فى غير ذلك من ضروب الهداية التى امتاز بها على سائر الكتب الالهية ، فكيف تغنى عنه فيها المصنفات البشرية . أما وسر القرآن لو أن المسلمين استقاموا على تدبر القرآن والاهتداء به فى كل زمان ، لما فسدت أخلاقهم وآدابهم ، ولما ظلم

أو استبد حكامهم ، ولما زال ملكهم وسلطانهم ، ولما صاروا عالة فى معايشهم وأسبابها على سواهم .

هذا التدبر والتذكر الذى نطالب به المسلمين آنا بعد آن ، كما هى سنة القرآن ، لا يمنع أن يختص أولو الأمر منهم باستنباط الأحكام العامة فى السياسة والقضاء والادارة العامة ، وأن يتبعهم سائر الأمة فيها »[1] .

وجاء فى سورة المؤمنون قوله تعالى : « **أفلم يدبروا القول ، أم جاءهم ما لم يات آباءهم الأولين** »[2] .

وكلمة « يدبروا » فى الآية أصلها « يتدبروا » أى : أفلم يتأمل هؤلاء المشركون كلام الله تعالى وتنزيله ، فيعلموا ما فيه من العبر ، ويعرفوا حجج الله التى احتج بها عليهم ، فيكون ذلك داعيا الى التوبة والاهتداء .

ويقول القرآن فى سورة ص : « **كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب** »[3] .

أى ليتدبر أصحاب العقول آيات هذا الكتاب الالهى المجيد ، وما شرعه الله فيه من شرائع ، فيعملوا به فيهتدوا ويسعدوا .

وكان السلف الصالح يعد « التدبر » فضيلة تزين أحرار الرجال وخيار الأبطال ، لما فى التدبر من عمق النظر فى عواقب الأمور ، ولذلك قال الامام على فى عبد الله بن عباس : « انه لينظر الى الغيب من ستر رقيق » وكثر قول حكماء العرب فى مدح الذين يتدبرون وينفذون بأبصارهم وبصائرهم فى طيات الأمور ونتائج الأحداث ، فهذا أخذهم يمدح زكيا متدبرا ، فيقول فيه :

---

(1) انظر : تفسير المنار ـ السيد محمد رشيد رضا .
(2) المؤمنون : ٦٨ (3) سورة ص : ٢٩

عليم بأعقـاب الأمـور برأيه كان له فى اليوم عينا على الغد
وهذا ثان يقول :
بصير بأعقاب الأمور ، كأنما تخاطبـه من كل أمر عواقبـه
وهذا ثالث يقول :
بصـير بأعقـاب الأمور كأنما يرى بصواب الرأى ما هو واقع
وكان أسلافنا يحثون على المبادرة الى التدبر فى الوقت المناسب ، قبل فوات الأوان ، ولذلك يقول أكثم بن صيفى :
« لا تتدبروا أعجاز أمور قد ولت صدورها » .

وحسن التدبير من علامات الرجولة فى الاسلام لأن المسلم المتدبر الذكى الألمعى هو الذى يتطلع أولا الى المـاضى يدرسه ويستخلص منـه العبرة ، ثم يدرس الحاضر بماله وما عليـه ، ثم يتطلع ببصيرته الى الغد ليستدل بالحاضر على المقبـل ، كما انتفع بعبرة المـاضى فى الحاضر ، ولذلك قال حكماؤنا :
« كفى بالدهر مخبرا بما مضى عما بقى » .

ان الرجل المؤمن اذا صدق فى تدبره يصير يقظا فى تفكيره وتعبيره ، وفى قوله وعمله ، وفى صلاته ، فهو يضىء صـدره بنور الفكرة ، ويعمر قلبه بوازع العبرة ، ويقدر لرجله قبل الخطو بوضعها ، ويجعل لسـانه وراء عقله ، فلا يلفظ اللفظة الا بعـد أن يزنها بميزان هذا العقل ، لأن الحكيم يقول : « الكلمة أسيرة فى وثاق الرجـل ، فاذا تكلم بها عاد أسـيرا فى وثاقها » .
وخير الناس من كان التدبر له خلقا فى أقواله وأعماله ، متخذا اه شعارا مثل قول القائل الحكيم :
اذا شئت أن تحيا عزيزا مسـلما فدبر وميز ما تقول وتفعـل
اللهم هبنا صواب الفكرة وصدق العبرة ، واجعلنـا من المتدبرين أولى الألباب[1] .

* * *

(١) انظر : موسـوعة اخلاق القرآن ــ احمد الشرباصى ــ لبنان : دار التراث العربى ١٣٩١ هـ ، ( ١٩٧١ م ) ، جـ ١ ص ٢٢٠ ( بتصرف ) .

# المبحث الثالث

## الحـذر

أصل مادة الحذر يدل على التيقظ والتحرز والانتباه ، والرجـل الحذور هو المتيقظ المتحرز ، والانسان الذى يتحلى بفضيلة الحذر يكون صاحب خشـية ، فهو يقدر لرجله قبل الخطو موضعها ، وهو لا يتكلم الا عن تفكير وبصيرة ، ولا يتصرف الا عن تدبر وحكمة ، وهو يحسب لكل أمر حسابه ، ويعد لكل نازلة عدتها ، فلا يؤخذ على غرة ولا يخدعه غيره بسهولة ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « المؤمن كيس فطن » .

ويقول : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » .

وهو يحذر أن يقف موقف المؤاخذة أو المعاقبة أو المحاسبة ، ولذلك لا يرتكب ما يعتذر عنه ، ولا يقترب مما يعيبه أو يؤخذ عليه ، وهو يحصن نفسـه وحسه وعقله وقلبه ، بما يجعله بعيدا عن الخطأ والخطر والعقاب .

ويؤكد القرآن الكريم الأمر بالحـذر والدعـوة اليـه ، فيقول فى سـورة المـائدة : ﴿ **وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا ، فان توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين** ﴾(١) .

ونفهم من هذا النص الكريم أن الحذر يقتضى الطاعة . وأن الطاعة تعود صاحبها الحذر والبعد عن المخالفة ، فيحذر المطيع أن يصيب شـيئا مما نهى عنه الله أو نهى عنه الرسـول ، لأن طاعة الرسول من طاعة الله : ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾(٢) .

---

(١) المـائدة : ٩٢ (٢) النسـاء : ٨٠

كما نفهم أن انعدام روح الحذر فى نفس الانســان يؤدى به الى الاعراض عن ســبيل الله ، والتولى بعيدا عن صراطه المستقيم ، وياســوء من استخف بأمر الله ، وأعرض عن طاعته ، فان له عذاب الجحيم وبئس المصــير .

ويقول الله سبحانه وتعالى :

**﴿ أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه ، قل هل يســتوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الألباب ﴾(١) .**

وكأن الآية تشــير ــ والله أعلم بمراده ــ الى أن فضيلة الحــذر اذا تأصلت فى نفس صاحبها جعلته حريصا على طاعة ربه والتعبد له ، وتوجيه الدعاء والرجاء اليه فى أوقات الليــل المختلفة ، وهو يحق له بعد ذلك أن يتطلع الى فضل الله ونعمته ، لأنه يؤمن بالله على علم ، ويعبده بفهم وحذر ، وهذه عبرة ينتفع بها أصحاب العقول والقلوب .

ونستطيع أن نفهم عن القرآن المجيد أن فضيلة الحذر تكون ثمرة للتفقه فى الدين والتأثر بالانذار ، ولذلك يقول الله تعالى فى سورة التوبة :

**﴿ وما كان المؤمنــون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفــة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ﴾(٢) .**

وبعد أن يستوفى كتاب الله خطر الحديث عن حذر المؤمن من عقاب ربه ينتقل الى الأمر بالحذر من طوائف من الناس ، فالله تعالى يحذر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يفتنه أهل الكتاب ، أو يتبع شيئا من أهوائهم ، لأن النبى هو المثل الأعلى فى الخضــوع لأمر الله ، والبعد عن مخالفته فى قليــل أو كثير . فقال تعالى :

**﴿ وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليــك ، فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصــيبهم ببعض ذنوبهم ، وان كثيرا من الناس لفاسقون ﴾(٣) .**

---

(١) الزمر : ٩ — (٢) التوبة : ١٢٢

(٣) المــائدة : ٤٩

ثم ينتقل القرآن المجيد من تحذير الرسول الى دعوة المؤمنين جميعا الى الحذر والخوف من العدو غير الظاهر ، أو ممن يظنهم الانسان سندا له وعونا ، فاذا هم أحيانا يكونون سببا فى خسارة أو بواره ، فقال تعالى :

**﴿ يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم ﴾(١)**
فهم عدو يشغلكم عن طاعة الله تعالى ، أو يخاصمكم فى أمر الدين والدنيا ، والعدو هنا ليس عدو لذاته ، لأن الأصل فى الزوجة والأولاد أن يكونوا محبين محبوبين بالنسبة الى الزوج والأب ، وانما هم عدو يشغلكم عن طاعة الله ، فاذا فعل الزوج أو الولد فعل العدو كان عدوا ، ولا فعل أقبح من الحيلولة بين العبد والطاعة .

ولقد روى أهل التفسير أن هذه الآية الكريمة نزلت فى عوف بن مالك الأشجعى ، كان ذا أهل وولد ، وكان اذا أراد الغزو بكوا اليه ورققوه وقالوا : الى من تدعنا ؟! فيرق لهم فيقيم معهم ويترك الغزو ، فنزلت الآية لتكون عظة وعبرة .

فاللبيب اذن هو من حاذر وخاف ، ولم يستسلم لأحد ، ولو كان من أولاده أو أقاربه ، فانهم قد يزينون الاثم ، أو يحملونه بفتنتهم على ارتكاب المحظور أو كسب الحرام .

ويتحدث كتاب الله تعالى عن الحذر من العدو الباغى الطاغى ، فيقول جل جلاله فى سورة النساء :

**﴿ يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا ﴾(٢) .**

وثبات : معناها جماعات متفرقة ، ومفردها ثبة . والمعنى : استعدوا للأعداء بالحذر والانتباه واليقظة والا عصفوا بكم على حين غرة منكم : « ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة » .

---

(١) التغابن : ١٤ (٢) النساء : ٧١

وفى مفردات القرآن أى معنى « خذوا حذركم » هو : خذوا ما فيه الحذر من السلاح وغيره ، أى استعدوا واعدوا ما يكون سببا لتحقيق فائدة الحذر ، وهو كل أنواع القوة : ﴿ **واعدوا لهم ما استطعتم من قوة** ﴾(١) .

وهذه الآية الكريمة خطاب من الله تعالى للمؤمنين المخلصين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأمر لهم بجهاد الكفر ، والخروج فى سبيل الله ، وقد أمرهم ربهم ألا يقتحموا على عدوهم على جهالة ، بل يجب أن يتحسسوا ما عند الأعداء ، ويعلموا كيف يواجهونهم ويردون على اعتدائهم ، فذلك أثبت لهم ، وهذا لا ينافى التوكل على الله ، بل هو مقام عين التوكل — كما يذكر القرطبى — والحديث النبوى يقول : « اعقلها وتوكل » .

فكونوا يا أهل الايمان متيقظين دائما ، وضعتم السلاح أم لم تضعوه ، ولا شك ان هذا يدل على تأكيد الوصية بالحذر والتأهب للعدو فى كل الأحوال ، وترك الاستسلام والاغترار ، فان الجيش ما جاءه مصاب قط الا من تفريط فى حذر .

ولقد عاد القرآن الكريم يقول فى سورة النساء أيضا وهو يتحدث عن المصلين صلاة الحرب : ﴿ **وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم** ﴾(٢) ، فجعل الحذر سلاحا وآلة يتحصن بها الغازى ، ولذلك عطف الأسلحة على الحذر ، فقال : « وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم » ، وهذا الحذر مطلوب حتى فى الصلاة ، لأن الأعداء يتمنون أن ينالوا منكم غفلة فيشدون عليكم شدة واحدة : ﴿ **ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة** ﴾(٣) .

وهذه وصاة بالغة وأخذ السلاح ، لئلا ينال العدو مأربه ويحقق مطلبه ، ولذلك جاء فى كتب التفسير أن أكثر أهل العلم يستحبون للمصلى

---

(١) الأنفال : ٦٠.
(٢) النساء : ١٠٢
(٣) النساء : ١٠٢

أن يأخذ سلاحه اذا صلى فى الخوف • ولقد قال الحكماء : « لا تطمئن الى العدو وان أبدى لك المقاربة ، وان بسط لك وجهه ، وخفض لك جناحه ، فانه يتربص بك الدوائر ، ويضمر لك الغوائل ، ولا يرتجى صلاحا الا فى مساوئك ، ولا رفعة الا بسقوط جاهك » •

والعرب لم يفتها الحديث عن الحذر والاشارة الى قيمته ، فكان من دعائهم قولهم : « وقاك الله كل مكروه محذور » • وضربوا الأمثال فى الحذر ، فقالوا : فلان أحذر من غراب ، أو فلان أحذر من ذئب لأنه يبلغ من شدة حذره أن يراوح بين عينيه اذا نام ، فيجعل احداهما مطبقة نائمة ، والأخرى مفتوحة حارسة ، بخلاف الأرنب الذى ينام مفتوح العينين ، لا من حذر بل خلقة ، وقال حميد بن ثور فى حذر الذئب :

ينام باحدى مقلتيه ، ويتقى      بأخرى المنايا ، فهو يقظان هاجع

وقالوا : « أحذر من ظليم » — والظليم الذكر من النعام — لأنه يشم ريح القانص من مسافة بعيدة ، فيأخذ حذره • وقالوا فى حكمهم : « الحذر قبل ارسال السهم » • أى يجب أن يكون الحذر قبل فوات الأوان ، والا قيل : « سبق السيف العذل » •

والرجل المسلم يجب أن يكون حذرا متيقظا منتبها ، لأن الحذر فضيلة من فضائل الرجولة فى الاسلام ، لأن الرجل المسلم لا يتكلم الا بعد تفكير وبصيرة ولا يتصرف الا عن تدبر وحكمة •

نسأل الله جل جلاله أن يجعلنا من المستجيبين لقوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم** ﴾ انه ولى التوفيق[1] •

***

---

(١) انظر : موسوعة اخلاق القرآن — احمد الشرباصى • — بيروت : دار الرائد العربى ١٩٧٢ ، جـ ٢ ، ص ٨٠ — ٩٠ ( بتصرف ) •

# المبحث الرابع

## حســن الظن

الظن : فى اللغة هو ما يحصل عن أمارة ، وهو بهذا شك ، ولكنه قد يلحقه تدبر فيصير ضربا من اليقين ، ولكنــه دون يقين المعاينة ، وقد تضعف الامارة فيكون الظن توهما ، وفى هذه الحالة يكون الظن مذموما ، واذا قويت أمارته وصــار ضربا من اليقين ، فان الظن يكون محمــودا حينــذاك .

والظن فى كثير من الأمور مذموم كمــا يقول الأصــفهانى ، وكل ما لا يوثق به فهو ظنين وظنــون ، والظن الحسن هو تغليب جانب الخير على جانب الشر ، وتجنب المسارعة بالاتهام دون برهان .

وقد قال العلماء ان حسن الظن بالله هو أن تظن أنه سيعفو عنك ، ويرحمك بواســع رحمته وأنت على طاعته ، وهذا لا يتعارض مع حذرك اذا كنت عاصيا . وحسن الظن بالناس هو أن تظن أنهم على خير ، وعلى هدى من ربهم فيما بينهم وبينه ، بل ربما كانوا عند الله أحسن منك ، وهذا فى المسلمين المســتورين ، وأما أهل العصيان والفسوق والأهواء الفاســدة والمجاهرين بالمعصية فلا يتأتى فيهم حسن الظن .

والقرآن الكريم قد عد حسن الظن فى مواطنه خلقــا من أخلاقه وفضيلة من فضــائل المجتمع المؤمن ، فتحدث عن الظن الحسن بطريق التصريح حين قال من ســورة النور وهــو يتحدث عن حديث الافك :

**﴿ لولا اذ ســمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا ﴾(١) .**

وبطريق النهى عن الظن السيىء الخبيث فى أكثر من آية كما سنرى : ها هو ذا القرآن المجيد يقص علينا قصــة الافك فيقول فيمــا يقول :

---

(١) النــور : ١٢

**﴿ ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم ، لا تحسبوه شرا لكم ، بل هـو خير لكم ، لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم ، والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم . لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا وقالوا هذا آفك مبين ﴾(١) .**

ان هذه الكلمات القدسية تحكى ما حدث من افك وافتراء على الصديقة بنت الصديق عائشة بنت أبى بكر الصديق رضوان الله عليهما ، وكان ذلك الافك ناشئا من سوء الظن المتعاون مع النفاق الوضيع ، وتشير الآيات الى أن حسن الظن كان أولى وأجدر بالمسلمين ، وكان الواجب على كل من سمع هذا الافتراء القذر أن يرده قائلا : « هـذا افك مبين » وذلك كما فعل أبو أيوب خالد بن زيد الأنصارى وزوجته رضى الله عنهما ، فقد روت السيرة أن أبا أيوب قالت له زوجته : يا أبا أيوب ، أما تسمع ما يقول الناس فى عائشة رضوان الله عليها ؟

قال : نعم ، وذلك الكذب . ثم سألها : أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب ؟

قالت : لا والله ما كنت أفعله .

فقال لها : فعائشة والله خير منك .

ويروى أيضا أن أبا أيوب قال لها عن حديث الافك : ألا ترين ما يقال ؟

فقالت له : لو كنت بدل صفوان بن المعطل ــ وهو الصحابى الجليل الذى اتهموا به عائشة ــ أكنت تظن بحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوءا ؟

قال : لا .

فقالت : ولو كنت أنا بدل عائشة رضى الله عنها ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعائشة خير منى ، وصفوان خير منك .

---

(١) النور : ١١ ، ١٢

يا لروعة الظن الحسن الجميل فى موطنه الأصيل الجليل[1] .

وليس أروح للسرء ، ولا أطرد لهمومه . ولا أقر لعينه من أن يعيش سليم القلب مبرأ من وساوس الضغينة ، وثوران الأحقـاد ، اذا رأى نعمة تنسـاق الى أحـد رضى بها وأحسـن فضـل الله فيها ، وفقر عباده اليها ، وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحـد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشـكر »[2] ، واذا رأى أذى يلحق أحدا من خلق الله رثى له ، ورجا الله أن يفرج كربه ويغفر ذنبه ، وذكر مناشدة الرسول به :

ان تغفر اللهم تغفر جما    وأى عبـد لك ما ألمـا

وبذلك يحيا المسلم ناصع الصفحة ، راضيا عن الله ، حسن الظن بالله ، راضيا عن الحياة ، حسن الظن بالناس ، مستريح النفس من نزعات الحقد الأعمى ، فان فساد القلب بالضغائن داء عياء وما أسرع أن يتسرب الايمان من القلب المغشـوش ، كما يتسرب السائل من الاناء المثلوم !.

ونظرة الاسلام الى القلب خطيرة ، فالقلب الأسـود يفسد الأعمال الصالحة ويطمس بهجتها ويعكر صفوها .

أما القلب المشرق فان الله تبارك وتعالى يبارك فى قليله ، وهو اليه بكل خير أسرع .

ومن ثم كانت الجماعة المسـلمة حقا ، هى التى تقوم على عواطف الحب المشترك ، والود الشـائع ، والتعاون المتبادل ، والمجاملة الرفيقة ، لا مكان فيها للفردية المتسلطة الكنود[3] .

وقال تعـالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ، ان بعض الظن اثم** ﴾[4] .

---

(١) انظر : موسوعة اخلاق القرآن ـ أحمد الشرباصى . ـ بيروت : دار الرائد العربى : (١٩٧٩ م) ، ١٣٩٩ هـ ، جـ ٤ ص ٤٢

(٢) رواه أبو داود .

(٣) انظر : خلق المسلم ـ محمد الغزالى ، ص ٨٦

(٤) الحجرات : ١٢

فهذا أمر الهى باجتناب كثير من الظنون حتى لا يتركوا أنفسهم تغرق فيما يهجس بداخلها من ظنون وشكوك ، وكأن الآية الكريمة تنهى عن أن يتلوث الانسان بالظن السيىء فيقع فى الاثم ، وتحث على أن يظل الانسان طاهر القلب نقى الصدر برىء الساحة ، يطوى فؤاده على حسن الظن بالناس .

ولقد تحدث القرآن حديث التعريض بالذين يفتحون على أنفسهم باب الظن السيء بالله حتى فى أشد الأحوال وأقسى الظروف فذلك حيث يقول : ﴿ **اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذا زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا** ﴾(١) .

ومن الواضح أن سوء الظن — دون موجب — يؤدى الى الاتهام المتعجل ، وتتبع العورات ، وتسقط الهفوات ، والتجسس الدنىء . وغير ذلك من الآثام .

ولقد روى البخارى ومسلم فى الحديث القدسى قول رب العزة : « **انا عند ظن عبدى بى** » أى قادر على أن أعمل به ما ظن انى عامل به ، وكأن هذه اشارة الى ترجيح جانب الأمل والرجاء على جانب الخوف ، أو تغليب جانب حسن الظن على جانب سوء الظن .

وفى الحديث الصحيح : « اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث » . أراد اياكم وسوء الظن وتحقيقه ، أو أراد الشك يعرض للانسان فى السيء فيحققه ويحكم به . ويروى أبو داود بسند صالح أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « حسن الظن من حسن العبادة » . فتحسين الظن بالناس يحفظه من بغضهم وحسدهم ولذا كان من عبادة ، كما أن سوء الظن بهم معصية ، وأما سوء الظن بالله تعالى فكفر نعوذ بالله منه .

والشيطان يحاول دائما اثارة سوء الظن ، وتحريكه فى نفس

---

(١) الأحزاب : ١٠

الانسان ليؤدى به الى المعاطب ، والسنة المطهرة تخبرنا بذلك ، فقد روت أم المؤمنين صفية بنت حيى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان معتكفا فى المسجد ، فذهبت اليه وتحدثت معه فمر به رجلان من الأنصار ، فسلما وانصرفا ، فناداهما النبى وقال : « أنها صفية بنت حيى » .

فقالا : سبحان الله يارسول الله !! قال : « ان الشيطان يجرى من الانسان مجرى الدم ، وانى خشيت ان يقذف فى قلوبكما شرا » .. أو قال « شيئا » .

« فعلى قدر حسن ظنك بربك ، ورجائك فيه ، يكون توكلك عليه : ولذلك فسر بعضهم التوكل بحسن الظن بالله .. والتحقيق ان حسن الظن به يدعوه الى التوكل عليه ، اذ لا يتصور التوكل على من ساء ظنك به ، ولا التوكل على من لا ترجوه » .

ومن أهم صفات الرجولة الاسلامية أن يكون المسلم رجلا حسن الظن بالله أولا ثم حسن الظن بالناس لأن سلامة القلب والصدر يحتمان على الرجل المسلم أن يتمنى الخير للناس .

ومن فضل الله على العباد ، أن استحب ستر عيوب الخلق ، ولو صدق اتصافهم بها ، وما يجوز لمسلم أن يتشفى بالتشنيع على مسلم ولو ذكره بما فيه .

وصاحب الصدر السليم يآسى لآلام العباد ، ويشتهى لهم العافية .

أما التلهى بسرد الفضائح وكشف الستور وابداء العورات فليس مسلك الرجل المسلم الحق .

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا ممن يحسنون الظن بفضله ويحسنون الظن بالناس .

* * *

# المبحث الخامس

## الفطنـة

● **تعريف الفطنـة :**

هى فضـيلة عقلية تمكن صاحبها حسن القيـام بعمله . ذلك انه لحسن الفعل لابد أن تعرف معرفة صحيحة مع الفضـيلة الأخلاقية التى تجعلنا نريد ارادة صحيحة . ويكون الفعل حسـنا اذا التقت الحكمـة والفضيلة على موضوع واحد ترى الحكمة أنه ما يجب علينا فعله ، وترى الفضـيلة أن الارادة ينبغى أن تنعقد عليـه ، وباجتماع الفكر والارادة يتم العزم ، وبالعزم يكون الفعل ، لأن العزم هو مبدأ الفعل .

والحكمة تعرف الصواب ، وتعرف بالوسـائل الى تحقيق ما هـو صواب ولهذا فان الحكمة فضيلة للعقل بما يعرف الانسان ما ينبغى أن يفعله ، وما يجب عليـه أن يتجنبـه ويتضـمن الروية والحكم العملى والتصميم أو العزم .

وتندرج فى الحكمة عدة عوامل منها الحنكة من التجارب الشخصية، والافادة من تجارب السـابقين من الحكماء ، وتقصى الحقائق قبل اصدار القرار والاهتمام بتحديد الغاية السليمة[1] .

وحدد ديكارت ثلاث قواعد للحكمة :

الأولى : أن يعمل الانسان دائما على أن يستخدم عقله على أحسن وجه ابتغاء أن يعرف ما يجب أن يفعله أو ألا يفعله فى كل ظروف الحياة .

والثانية : أن يكون ذا عزم راسخ على انجاز ما ينصحه به العقل دون أن تصرفه عن ذلك شـهواته .

---

(١) انظر : الأخلاق النظرية ــ عبـد الرحمن بدوى ــ الكويت : وكالة المطبوعات ، ١٩٧٥ م ، ص ١٦٢

والثالثة : أن يعتبر أثناء سلوكه هذا وفقا للعقل — أن كل الخيرات التى يملكها هى كلها خارج سلطانه ، وعلى هذا الطريق يتعود على ألا يشتاقها ، لأنه لا شىء مثل الشهوة أو الحسرة أو الندم يمكن أن يحول بيننا وبين أن نكون راضين ، لكن اذا فعلنا دائما حسبما يملى علينا العقل ، فلا نجد أبدا ما يدعونا الى الندم ، حتى لو بينت لنا الأحداث فيما بعد أننا أخطأنا ، وذلك لأنه لم يكن الذنب ذنبنا .

وما يجعلنا لا نشتهى مثلا أن تكون لنا أذرع أكثر أو أطول فى الدنيا ، وانما نشتهى أن تكون صحتنا أحسن أو ثرواتنا أكبر هو اننا نتصور أن هذا الرأى يمكننا أن نتخلص منه حين نتأمل أنه مادمنا قد تابعنا دائما نصيحة العقل ، فاننا لم نهمل شيئا مما كان فى استطاعتنا ، وأن الأمراض والبلايا ليست أقل طبيعة الانسان من السعادة والصحة .

وفضلا عن ذلك فليست كل الرغبات غير متفقة مع السعادة ، وانما فقط تلك المصحوبة بالقلق والحزن . وليس من الضرورى أيضا ألا يخطىء عقلنا أبدا ، بل يكفى أن يشهد ضميرنا أننا لم تعوزنا العزيمة ولا الفضيلة من انجاز كل الأمور التى حكمنا بأنها هى الأحسن ، وهكذا فان الفضيلة وحدها كافية لجعلنا راضين فى هذه الحياة[1] .

ويمكن التمييز بين الفطنة فى فهم الأشياء وبين البلادة ، فهما ملكتان تحملان على تسمية بعض الناس فطنين أذكياء وتسمية آخرين بلداء الفطنة التى تفهم الأشياء لا يمكن بحال أن تشتبه لا بالعلم ، ولا بالرأى لأنه اذا لم يكن الأمر كذلك لكان جميع الناس بلا استثناء فطناء .

ان الناس الذين يسمونهم فطناء ، هم أولئك الذين لهم فهم تام الأشياء التى تهمهم[2] .

---

(١) انظر : رسالة الى اليصابات — ديكارت — اغسطس سنة ١٩٤٥م .

(٢) انظر : علم الأخلاق — أرسطوطاليس — ترجمة احمد لطفى السيد جـ ٢ ، ص ١٤٠

وهاهنا على سبيل المثال مواقف فى الفطنة مع النعمان بن المنذر :

هبات عظمى وهبها الله لهذه الأمة منذ أقدم العصور •• ما رأيت •• ما سمعت •• وما قرأت عنها فى أثر من آثار أمة أخرى • لست بالداعية المكابر •• ولا بالغمر المجامل •• ولا بالطالب المتطاول •• انما هى حقائق خلقيـــة من الله لا حيلة لأحد قط فى أن يتنكر لها • فالعظيم الحقيقى من كان صاحبا لتلك الحقائق •• وسليم النفس الحقيقى من أمتلك فهمها عن وعى وعن ادراك •• لا أغلو أبدا عندما أقول ، بأن سقيم العقــل هو من ينكر تلك الحقائق عن يقين بلا وجدان •

لا أحد من المثقفين يجهل من النعمان بن المنذر •• ولا أحد من الحاضرة أو البادية الا وله مع ذلك الرجل موقف • يصيب منه اما نصيبا من علم •• واما نصيبا من معرفة •• واما نصـــيبا من حالة أو خبر •

كان ـــ كما قلنا ـــ ابن بادية • نعمة من نعم الله تعالى على قومه • وكان فى نفس الوقت • ربيب مجد وجاه حضرى • يتنقل من الشـــدة الى الرخاء •• ويتقلب ما بين خيرات الاثنين • قد يتصارع مع سماتها الفكرية تارة •• أو مع نبرات المنطق تارة أخرى • يتفقد أحوال القـــوم بالليل ، ويراقب أحواله وتصرفاته فى النهار ، حتى خرج وله من الحصيلة ثلاث : الخلق الجميل •• والخلق الجليل •• والذكاء الوقاد مع العرق النبيل • كان النعمان يعظم تلك الصــفات بنشوة لا يفرق فيها بين الصبية والشـــيوخ • وكان أقرب ما يكون الى الرجـــل الكامل ، يجزيه عليها بسخاء ويعذبه عليها بدهاء ، ما دام لتلك السمات طروبا وكان يربيها فى أهله وفى أقرب المقربين الى نفســه ، حتى صـــار بحق عظمة الســـلطان ونغمة الصولجان ، عبرة من عبر التاريخ ، ونعمة تهتز لها المشاعر ، وتطرب لها القلوب •

لقى ( النعمان ) مرة سعد بن مالك ، وكان حبيب الأرض والتراب جواب المســالك وعشــيقا للوطن والترحــال • كان معه من الخيـــل ما يقاد ، ومن الابل ما هو عار ومهمل • ســـأله النعمان مداعبا عن الحال

والغيث والأرض ، وهل جاءها من السـماء نصيب ؟! فأجابه سعد بما هو أعظم من الحكمة ، أما المطر فغزير • وبلغة فطرية سـاذجة :

ــ أما الورق فشـكير •

ــ أما النافذة فسـاهرة •

ــ فأما الحازرة فشبعى نائمة •

العيب كل العيب ألا نفهم ما قيـل ، والعيب كل العيب اذا أنا لم أتسهل كلمات رخية من نفس سـوية بسيطة وأبية ، قد يصعب علينا فى هذه الأيام فهم تكوينها ومراميها • كلمات بدهية قيلت على السجية •• تنساب من لسان ابن الأرض بدقة كالشفاء ، عباراتها جميلة لا غموض فيها ، وأجمل منها ذلك التعبير اللغوى والتصوير العربى الفطرى :

الورق الشكير هو : العشب الصغير ، والنافذة الساهرة هى : من نفذت بخير من داء الضعف والهزال ، أما الحازرة فهى : تلك التى آمنت على نفسـها من النعمة فنامت •

لم يستغرب النعمان من ذلك الانسان ما سمع بل كان بشخصه الى الحفاوة أقرب ، مع شيء من الحذر الشديد والاندهاش • فقال له باعجاب انك لمفوه يا هذا !! ألا يصعب عليك أمر من مداخل الحديث ومخارجه ؟! ان شئت أتيتك بما تعيـا وتعجز عن جوابه ••• فهل أنت لها يا هذا ؟!

فقال سـعد : أجل أيها العظيم لقد شئت • فأمر النعمان وصـيفه فلطمه وعلى الأثر سـأله : ما جواب هذه عندك ؟!

فقال سعد : سـفيه مأمور •

فأمر الوصيف بلطمة ثانية ففعل ، وعلى الأثر سـأله : وما جواب هـذه ؟!

فقال له سعد : لو نهى عن الأولى ما عاد للثانية •

فأمر الوصيف بلطمة ثالثة وعلى الأثر سـأله : وما جواب الثالثة ؟!

فقال سعد : لقد ملكت فاسجح !! أى لقد بدأتها ساخنة ، وأنا أطلب منك العفو والصفح .

مكث سعد عند النعمان ما مكث أثيرا عزيز القدر والجانب صاحب رأى وله من المقام أرفعه ، ووقع فى خلاله أمام أعظم محنة .

بعث النعمان مرة أخا لسعد يقال له عمرو بن مالك ، فى بعثة يرتاد فيها أخبار الكلأ . فأبطأ فى العودة غضب النعمان لذلك أيما غضب ، وأقسم لئن جاء ذاما الكلأ أو حامدا له ليقتلنه فكانت على نفس سعد عصيبة ، ومالك أخوه لابد مقتول .

قدم عمرو من بعثته ، ودخل على التو الى النعمان ، وكان أخوه سعد الى يمينه ، فهمس متلطفا ينشد أمرا : أبيت اللعن .. أتأذن لى بكلمة ؟!

فقال النعمان : ان كلمته بكلمة قطعت لسانك .. ـ فقال سعد : أفأشير اليه بيدى ؟! ـ فقال النعمان : ان أشرت اليه قطعت يدك .

فقال له سعد : أفتأذن لى بأن أقرع العصا ؟!

فقال له النعمان حين قال : أما هذه فلك . تناول سعد عصا من جلسائه فوضعها بين يديه ، ثم جمعها مع الأخرى ، وأخوه لا يزال واقفا يترقب ، وكانت فى وقتها لحظات شدة ما بعدها شدة ، كيف لا . ومصير الأخ معلق بين شفاه أخيه ؟!

قرع سعد عصاه قرعة واحدة مع الأخرى فانتبه لتلك القرعة نظر عمرو وكان حادا شديد الذكاء . ثم أومأ له بواحدة ، فعرف من أخيه : أن لا تبرح المكان . ثم قرع العصا قرعة واحدة ، رفعها للسماء بعد أن مسحها بالثانية ، فعرف من أخيه كلمات النفى : ( لا شىء ) ... وهو يقصد الأرض ( بلا زرع ) . ثم قرع العصا ( مرارا ) بطرف الأخرى .. ورفعها بالتدريج شيئا فشيئا ، وعين الأخ تتبعها حتى فهم المعنى ( لا عشب ولا نبات ) . فاندفع عمرو بعدها فى الكلام منطلقا وهو

يقول : ( لم أذمم جـدبا .. ولم أحمد بقلا . الأرض مشكلة ، لاخصبها يعرف ، ولا جدبها يوصف . رائدها واقف ، ومنكرها عارف ، وآمنها خائف ) .

فقال له النعمان : ( لقد نجوت يا هذا أقبل على أخيك فقد سـبقك بالرأى ، لولا فطنتك ما نجوت )[1] .

هذا مثال حى من أمثلة الفطنـة ، لأنه ينبغى لكى يكون المسـلم رجلا ، أن يكون فطنا سريع الفهم ، لأن اللبيب بالاشارة يفهم .

ولأن الفطنة فضيلة عقلية تمكن صـاحبها حسن القيـام بعمله ، ولا بد أن تكون مطبوعة فى نفس الرجل المسلم لتكتمل فيـه معنى من معانى الرجولة ، لأن الرجل الفطن الذكى سريع الفهم محبوبا عند الناس محبوبا عند الله لأن من أحبـه الله وضع له القبول فى الأرض ..

اللهم اجعلنـا من الفطينين الأذكيـاء الذين يسـتخدمون ذكاءهم وحكمتهم وفطنتهم فى خدمة الاسـلام والمسلمين .

* * *

---

(١) أنظر : مجلة الحرس الوطنى : ع ، (٢٤) بتاريخ صفر ١٤٠٥ هـ ـ نوفمبر ١٩٨٤ م ص ١١٠ ــ ١١١

# المبحث السادس

## خفايا آفات النفوس

حياة الانسان قد تتجه نحو تكميل النفس وطهارتها ، وقد تتجه نحو الشرور واقتراف الجرائم والآثام .

وأثبت القرآن الكريم ان النفس لها هوى ، والهوى شعور يميل بها الى ما تحب من مطالب وحاجات ، أو متع ولذات وشهوات ، أو عواطف وانفعالات وقد يكون ما تهواه شرا لها ، أو أذى أو ضرا ، قال تعالى .

**﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فان الجنة هى المأوى ﴾(١) .**

ومن الخصائص الادراكية معرفة طريق الفجور وطريق التقوى ، وقد منح الخالق النفوس الانسانية القدرة على معرفة هذين الطريقين من طرق سلوك الانسان فى الحياة ، طريق الفجور وطريق التقوى . فحينما تتجه النفس الى سلوك طريق الفجور تتجه اليه وهى عارفة بأنه طريق شر ، فهى بصيرة بما تعمل ، وحيثما تتجه الى سلوك طريق التقوى ، تتجه اليه وهى عارفة بأنه طريق خير ، فهى بصيرة بما تعمل . هنا ما دل عليه قوله تعالى :

**﴿ ونفس وما سواها . فالهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها ﴾(٢) .**

وأثبت القرآن أن النفس الانسانية كاسبة لما يصدر عن الانسان من أعمال خير وأعمال شر ، وان الله يعلم ما تكسب كل نفس ، قال الله تعالى مبينا علمه بما تكسب كل نفس :

**﴿ يعلم ما تكسب كل نفس ، وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار ﴾(٣) .**

---

(١) النازعات : ٤٠ — ٤١ (٢) الشمس : ٧ — ١٠
(٣) الرعد : ٤٢

ودلت النصوص القرآنية على أن النفس الانسانية ذات ارادة حرة ، تختار بها طريق هدايتها أو طريق ضلالتها ، فهي غير مجبرة ، نفهم هـذا من قول الله تعالى :

**﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين ﴾(١) .**

أي لو شئنا أن نجعل النفوس من الجن والانس مجبرة غير مخيرة ، لآتينا كل نفس هـداها ، ولكن المشيئة قررت التخيير ، ويلزم من التخيير أن تختار بعض النفوس طريق هـداها ، وتختار الأخرى طريق ضلالها ، وعندئذ تقضي الحكمة بالتفريق في الجزاء ، ففريق في الجنة وفريق في السـعير .

والنفس الانسانية ذات أطراف ثلاثة أعلى وأسفل وأوسط :

فالطرف الأسـفل من النفس يوسوس ويسـول بالسوء وممارسة ما فيه شر وضر واثم ، طلبـا للمتع واللذات العاجلة ، فهو أمار بالسوء ، دل على هذا الطرف الشيطاني من النفس ووساوسـه وتسويلاته وكونه أمارا بالسـوء ، في قوله تعالى :

**﴿ ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن أقرب اليه من حبل الوريد ﴾(٢) .**

والطرف الأعلى من النفس يأمر بفعـل الخير ، وينهى عن فعـل الشر ، فاذا استجابت له مراكز الارادة المنفذة في الطرف الأوسـط من النفس ، اطمأن وسكن ، وذاق حلاوة فعل الخير وترك الشر ، واذا لم تستجب له مراكز الارادة المنفذة ، مسـه القلق والاضطراب ، وشـعر بوخزات الاثم ، والخوف من العقاب ، وبدأ يوجه الملام فهو في هـذه الحالة الطرف اللوام . وقد دل على هذا الطرف الرباني من النفس ، عدة نصوص من القرآن ، منها ما يلي ، قال تعالى :

**﴿ لا أقسم بيوم القيامة . ولا أقسم بالنفس اللوامة ﴾(٣) .**

---

(١) السجدة : ١٣ — (٢) ق : ١٦

(٣) القيامة : ١ ، ٢

فالنفس اللوامة هي التي توجه اللوم الداخلي على فعل الاثم ، ولا تكون لوامة ما لم تكن من قبل ناصحة ، آمرة بالخير ناهية عن الشر ، وهذا الجانب من النفس هو ما قد يسمى بالضمير .

والنفس المطمئنة هي التي توجه النصح لفعل الصالحات ، وتأمر بالخير ، وتنهى عن الشر ، فتستجيب مراكز الارادة لها ، فتطمئن للنتيجة ، ولا يمسها الخوف والقلق من سوء المصير ، وظاهر أن هذا ما يسند الى الضمير من الراحة لدى فعل الخير وترك الشر .

وأما الطرف الأوسط فهو الطرف المنفذ الذي تقع فيه الارادة الحرة ، وهو طرف يتجاذبه الطرفان الأعلى والأسفل .

واذا ثبت لدينا وجود الطرفين الأعلى والأدنى لزم منطقيا وجود الطرف التنفيذي الأوسط ، لأن وظيفة الطرفين المتناقضين لا تتعدى الدعوة والطلب ، ودل على هذا الطرف ما أثبت الارادة الحرة المختارة للنفس ، كقول الله تعالى في سورة السجدة : ﴿ **ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها** ... ﴾ . وقد سبق وجه الاستدلال به .

والانسان يسلك باستجابته للطرف الرباني تزكية نفسه ، ويسلك باستجابته للطرف الشيطاني تدنيس نفسه ، والمفلح هو من زكاها ، والخائب هو من دساها . قال الله تعالى :

﴿ **ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها** ﴾(1) .

ان الله تبارك وتعالى قد منح الانسان الارادة الحرة ، ليضعه موضع الامتحان ، وهذه الارادة الواعية لديه واقعة بين دوافع علوية ودوافع سفلية . فاذا استجابت ارادته لتلبية الدوافع السفلية فقد اختارت الشر بما لديها من حرية اختيار ، واذا استجابت لتلبية الدوافع العلوية فقد اختارت بما لديها من حرية اختيار .

---

(1) الشمس : ٧ — ١٠

ودوافع الخير تعتمـد على الايمان بالغيب ، وهـو قضـية فكرية ووجدانية ودوافع الشر تعتمد على منطق الحس ولذات الجسد ، وهذه حيوانية بهيمية •

ولكن أكثر الناس تسـتجيب ارادتهم للجانب الحيـوانى فيهم ، فينزلون بأنفسـهم الى أسـفل سـافلين ، فيكونون كالأنعام بل أضل سبيلا ، وبذلك يقتلون فى ذواتهم العنصر التكريمى الذى كرمهم الله به ، وفضلهم به على كثير ممن خلق ، وهو العنصر الفكرى والوجدانى الذى يدفعهم الى الايمان بالغيب ، والارتقاء الى الكمال الانسانى • وهـذا مسخ يفعلونه فى أنفسهم بارادتهم اذ ينزلون بها الى مستوى الأنعـام أو أضل ، والمسئول عن ذلك ارادتهم الحرة •

فارادات الناس الحرة الواعية للخير والشر هى مناط الامتحان ، وأساس الفطرة الانسانية أكثر ميلا الى الحق والخير والفضيلة ، ولذات الجسد ليست كلها شرا ، بل المقدار النافع المنضبط منها هو من الخير لا من الشر ، والشر منحصر فيما فيـه ظلم أو عدوان أو ضرر أو تجاوز لحـدود الله •

ومع ذلك فاننا نلاحظ أن أكثر الناس يستخدمون ارادتهم الحرة فى اختيـار المتاع الجسـدى الذى ينزل بهم الى أسفل سافلين ، فيجعلون ما فضـلهم الله به سـببا فى انحطاطهم ونزول مكانتهم ، اذ يسـيئون الاختيـار •

ومما سـبق يتبين لنا أن منابع الخير والشر لدى الانسان موجودة فى زوايا نفسـه ، فسلوكه الظاهر وأعماله المختلفة ثمرة ونتيجة لحركات نفسـه واندفاعاتها واتجاهاتها الجازمة •

ولمـا كان الجزاء الربانى المعجل فى الحياة الدنيا منوطا بأعمـال الناس ، وأعمالهم نتيجة ما فى نفوسهم ؛ كان من الطبيعى المنطقى أن لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم •

وهذا ما بينه القرآن فى قوله تعالى :

**﴿ ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ، واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ومالهم من دونه من وال ﴾(١) .**

ويعرف الشيطان هذه الحقيقة ، فيقول يوم القيامة للذين استجابوا لوساوسه وتسويلاته فى الحياة الدنيا : «لا تلوموني ولوموا أنفسكم»(٢).

والمسارعة الى فعل الخير شأن المؤمن المخلص الذى يتصف بالرجولة لأن الرجل المسلم لا يتباطأ عن مواطن الخير ، وفى طليعتها مواطن العبادة ، لأن التباطؤ فى الخير هو شأن الذين فى قلوبهم مرض ، كما قال الله تعالى فى شأن المنافقين فى سورة النساء :

**﴿ ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا . مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ﴾(٣) .**

ولأن المؤمنين الصادقين من شأنهم أن يسارعوا الى الطاعات والقربات ، قالت الآية بعد وصفهم بهذه المسارعة : «وأولئك من الصالحين» أى للذين صلحت نفوسهم ، فاستقامت أحوالهم وحسنت أعمالهم .

ويقول الله تبارك وتعالى : **﴿ وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾(٤) .**

والمسارعة الى المغفرة والجنة هى المبادرة الى أسبابها ، وما يعد الانسان لنيلهما والفوز بهما ، أى سارعوا الى ما يوجب لكم مغفرة ربكم ونعيم جنته .

وكرام الناس يوصون أنفسهم وغيرهم بأن يتعجلوا خطواتهم نحو عمل الخير قبل أن تعوق العوائق .

نسأل الله عزت قدرته أن يجعلنا من الرجال المسارعين الى الخير ، السابقين الى البر ، انه الرؤوف الرحيم(٥) .

* * *

---

(١) الرعد : ١١ (٢) انظر : الأخلاق الاسلامية واسسها ـ عبد الرحمن الميدانى : جـ ٢٢٢/١ وما بعدها ( بتصرف ) .

(٣) النساء : ١٤٢ ـ ١٤٣ (٤) آل عمران : ١٣٣

(٥) انظر : موسوعة اخلاق القرآن ـ أحمد الشرباصى ـ بيروت : دار الرائد العربى جـ ١ ص ٢٤٢ وما بعدها ( بتصرف ) .

# الفصل الثاني

- الشـــــجاعة
- الكرم .
- الحلم .
- الثبـــات .
- كظم الغيظ .
- العفـــو .
- المودة .

# الفصل الثانى

## الشـــــجاعة

● **تعريف الشـجاعة :**

يقول الوطواط ان الشجاعة هى : « الاقدام على الأمور المتلفة »[1].

وينص « المحكم » على ان الشـجاعة هى : « الاشـتداد عنـد البأس »[2].

وينص « المحكم » على أن الشـجاعة هى : « الاشـتداد عنـد الوسط بين خلتين : هما التهور والجبن ، كما تشـير الى ذلك نظرية الأوسـاط ، وهى غريزة من الغرائز يعليها ما يراه الانسان منذ حداثتـه فى بيئته التى عاش فيها من ألوان البطولة والاقدام ، وما يلقنه عن أبيه وأمه وسـائر المحيطين به من مواقف التضحية والتفانى وعدم الخوف والفزع ، ويمحو أثر هذه الغريزة أن يعيش المرء فى وسـط يرزح تحت أعباء من التقاليد البالية والتربية الفاسـدة التى تجسم له الأشـباح والخيـالات وتخيفه من الظلام والوحدة ، وأعباء من العـادات التى تضرب حول الناشئة سياجا منيعا ليس من حقهم أن يظهروه أو يحطموه . وتولد عنـدهم كبتا وحقدا على مجتمعهم الذى يعيشـون فيه ، وتحملهم على أن يتهيبوا جميع المواقف المشرفة .

والشجاعة هى احدى أمهات الفضـائل التى ينبغى أن يتحلى بها الانسـان لكى يكون رجلا .

وللشجاعة ضروب مختلفة ، ولكل منها عشـاق ، ويندر أن تتجمع

---

(١) انظر : غرر الخصائص الواضحة ـ مصر : المطبعة الأدبية المصرية سنة ١٣١٨ هـ ص ١٩٩

(٢) المحكم جـ ٣ ص ١٧٤

ضروبها فى فرد من أفراد المجتمع البشرى ؛ لأن من يهوى الشـجاعة المـادية قد تعجزه الشجاعة النفسية والأدبيـة ، وأكثر تلك الضروب تبادرا الى الذهن اللون المعروف الذى يفهم عند الاطلاق وهو الشجاعة الجسمية ، وأصحابها هم ذوو العضلات المفتولة ، والسواعد القـوية ، والبنية السـليمة ، والطول الفارع ، الذين ينازلون الأبطال ، ويصرعون الآسـاد والرجال ، ويتسلقون الأطواد ، ويغيرون على الأعداء ، ويكرون ولا يفرون ، ويقدمون ولا يدبرون ، ولسان حالهم يقول :

فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنـا ... ولكن على أقدامنـا تقطر الدما

ولقد أقام العرب لهذا اللون دولة ونصبوا لأصحابه المهرجانات ، وتغنوا بمآثرهم وأفاضـوا فى الحديث عنهم ، وفى الذروة من أبطـال العرب عنترة بن شـداد ، وعمرو بن معدى كرب ، وغيرهم .

ولمـا كانت للشجاعة من الصفات التى يرنو اليها الكثير فقد أحبها بعض الأدباء والشـعراء : كحسان بن ثابت وأبى العلاء المعرى وغيرهما من أولئك الذين لم يمارسـوا حربا ، أو ينازلوا أحدا .

ومن يطلع على الشعر قديمه وحديثه ، ويتنقل بين رياضه ، يرى أن الشجاعة قد احتلت فيه المكان الأول ، وفازت منـه بالنصيب الأوفر ، والى القارىء الكريم طرفا من تلك الأشـعار :

قال المتنبى فى قصيدته التى يعاتب فيها سيف الدولة :

ومرهف سرت بين الجحفلين بـه ... حتى ضربت ومـوج الموت يلتطم

فالخيل والليـل والبيداء تعرفنى ... والسيف والرمح والقرطاس والقلم

صحبت فى الفلوات الوحش منفردا ... حتى تعجب منى القور والأكم[1]

والشجاعة ــ اذن ــ نوعان :

( أ ) شجاعة فى القول أو الرأى .

(ب) شجاعة فى الفعل أو الحرب .

---

(١) انظر : الشجاعة فى نظر الاسلام ــ زكى سويلم ( مقالة ) .

ولما كان رسولنا صلى الله عليه وسلم « القدوة الحسنة » وبطل الأبطال فسنكتفى ببيان خلق الشجاعة بنوعيه عنده لأنه ضرب أروع الأمثلة فى هذا الخلق وبشكل لا نجد له شبيها على الاطلاق .

وتتجلى شجاعته صلى الله عليه وسلم فى الرأى حين خرج على قومه مفاجئا بالدعوة التى كرهوها ، وحين صبر على الأذى والسخرية ، وحين المقاطعة وحين بعث أنصاره الى الحبشة فرارا من الأذى والموت ، وبقى هو يتعرض للأذى ، وحين مات عمه أبو طالب وزوجه خديجة فى أيام متتابعات ، وكان فى عمه وزوجه الوزير والنصير ، وحين عرض نفسه على القبائل ، وحين هاجر أنصاره الى يثرب ، وبقى هو يقيم صلاته ويجهر بالقرآن قبل أن يهاجر[1] .

وسنضرب بعض الأمثلة لشجاعته فى الرأى لا نجد لها نظيرا فى التاريخ القديم أو الحديث ، فمن ذلك ما حدث بينه وبين عمه أبى طالب ، والذى حدث أن وفدا من زعماء قريش قد جاء الى أبى طالب ينذره ، ويطلب اليه أن يكف ابن أخيه عن قريش ، أو تنازله حتى يهلك أحد الفريقين ، فعظم الأمر على أبى طالب ، وخشى عواقب ذلك ، فبعث الى محمد قائلا له : أن قومك قد أنذرونى ، فابق على وعلى نفسك ، ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق .

فأجاب محمد صلى الله عليه وسلم : « ياعمى والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله ، أو أهلك فيه ما تركته » . وبكى وقام ، فلما ولى ناداه أبو طالب : أقبل يا ابن أخى ، فأقبل فقال : أذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشىء أبدا » .

فهذا مثال عظيم للشجاعة فى الرأى والثبات على الحق والمبدأ ضربه الرسول صلى الله عليه وسلم ليكون قدوة لنا .

---

(١) انظر : بطل الأبطال — أو أبرز صفات النبى محمد ﷺ — عبد الرحمن عزام ، ص ٢٤

أما شجاعته فى الحرب فلا تقل عن شجاعته فى الرأى ، وأكتفى هنا بمثالين فقط لهما أهميتهما الكبرى .

( أ ) فزع أهل المدينة ليلة ، فانطلق ناس قبل صوت ، فتلقاهم رسول الله راجعا ، وقد سبقهم الى ذلك الصوت ، وعرف الخبر وكان راكبا فرسا وسيفه فى عنقه ، وهو يقول لأهل المدينة : لن تراعوا .

(ب) ويوم حنين وقف على بغلته ، والناس يفرون عنه ، وهو يقول :

أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب

فما رئى أحد يومئذ كان أثبت منه ، ولا أقرب للعدو . وهاتان الحادثتان مهمتان جدا ، لأن الأولى منهما هب فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكان الخطر ، قبل أن يتحرك الناس ، وفى الثانية ثبت فى مكان الخطر وقد فر الناس . والذين لهم علم بالحرب يعرفون أنه بهذين الموقفين تمتحن الشجاعة ، فليس أصعب على النفس من السبق الى الخطر ، ولا من الصبر عليه وقد استولى الخوف وغلب الرعب .

**● الشجاعة فطرية ومكتسبة :**

يتفاوت الناس فيما لديهم من شجاعة أو جبن فى أصل فطرتهم ، فبعض الناس مفطورون على خلق الشجاعة ، وبعضهم مفطورون على الجبن ، وبعض الناس أشجع من بعض فى أصل الفطرة ، فللشجاعة عند الشجعان نسب متفاوتة ، وبعض الناس أجبن من بعض فى أصل الفطرة ، وللجبن عند الجبناء نسب متفاوتة . وما من شجاع الا لديه نسبة ما من الجبن الفطرى ، وما من جبان الا لديه نسبة ما من الشجاعة الفطرية ، والتفاوت من الناس فيما لدى كل منهم من نسبة من الجبن ونسبة من الشجاعة . كسائر المزدوجات فى التكوين النفسى أو التكوين الجسدى ، ففى التكوين الجسدى نلاحظ هرمونات الذكورة والأنوثة فى كل ذكر وأنثى ومتى غلبت نسبة احداها الأخرى برزت صفاتها ، فان كانت الغالبة هى هرمونات الذكورة كان الانسان

ذكرا ، وان كانت الغالبة هى هرمونات الأنوثة كان الانسان أنثى ، وعند التساوى يكون الانسان خنثى ، وما من انسان يوجد فيه الصنفان معا ، وتزداد الذكورة كلما ازدادت نسبة هرموناتها فى الجسد ، وتزداد الأنوثة كلما ازدادت نسبة هرموناتها فى الجسد •

كذلك مزدوج الجبن والشجاعة فى كل انسان •

**● كيف تكون شجاعا ؟**

وحال خلق الشجاعة فى قابليته للاكتساب كحال سائر الأخلاق فالأخلاق كلها منها ما هو فطرى ومنها ما هو مكتسب ، فمن الشجاعة شجاعة فطرية ، ومنها شجاعة مكتسبة ، ومن الجبن جبن فطرى ومنه جبن مكتسب ، ولاكتساب خلق الشجاعة وسائل ، منها الوسائل التالية :

الوسيلة الأولى : التدريب العملى بدفع الانسان الى المواقف المحرجة التى لا يتخلص منها الا بأن يتشجع ، وينبغى أن يكون ذلك بالمقدار الذى يغذى بخلق الشجاعة ، ولا يزيد نسبة الجبن •

الوسيلة الثانية : الاقناع بأن معظم مثيرات الجبن لا تعدو أنها أوهام لا حقيقة لها •

الوسيلة الثالثة : القدوة الحسنة وعرض مشاهد الشجعان ، وذكر قصصهم ، مع تمجيدهم ، والثناء عليهم ، ومنحهم المكافآت المغرية ، لاثارة عنصر المحاكاة ، ثم المتابعة ، ثم المنافسة •

الوسيلة الرابعة : اثارة دوافع التنافس ، ومكافأة الأشجع بعطاءات مادية مع الثناء والاطراء والتمجيد •

الوسيلة الخامسة : ترسيخ عقيدة الايمان بالقضاء والقدر ، وأن الانسان لن يصيبه الا ما كتب الله له • وترسيخ عقيدة الايمان باليوم الآخر •

ولما كان التدريب العملى من أفضل الوسائل لاكتساب الأخلاق والمهارات ، وجدنا أهل البادية يتمتعون بشجاعة اجتياز المفازات ومقارعة

خطوبها ، ووجدنا أهل الجبـال يتمتعون بشـجاعة ارتقاء شـواهقها ، واختراق عقباتها ، ووجـدنا أهل الجزر البحرية والسـواحل يتمتعون بشـجاعة ركوب البحار وخوض غمارها ، ومصارعة أمواجها ، كل ذلك بسبب التدريب العملى الذى يمارسونه بحكم بيئتهم التى تفرض عليهم ظروفا معينة تغرس فيهم لونا من ألوان الشـجاعة ، لاسيما اذا ارتبطت أرزاقهم ووسـائل عيشهم بخوض غمار المخاوف .

وللاقناع تأثير فعال فى غرس الأخلاق أو تهذيبها فى الأنفس ، فمن عرف فضيلة الشـجاعة وفوائدها ، ورذيلة الجبن ومضاره ، تكونت لديه عناصر مهمة مساعدة على اكتسـاب خلق الشـجاعة ، وكذلك سـائر الأخلاق .

وللقدوة الحسنة وللمشاهدة والقصة أثر ايحائى كبير فى الأنفس ، فمشاهدة أعمال الشجعان الأبطـال ، وذكر قصصـهم ، من الوسـائل المسـاعدة على غرس خلق الشجاعة ، وهذا ما كانت تلجأ اليه الأمم فى مشـاهد البطولات وفى تداول سـير أبطالها وشجعانها ، ليغرس ذلك فى قلوب ناشـئتها خلق الشجاعة .

ولوسيلة التنافس والمكافآت أثر عظيم فى التربية بوجه عام ، ومن ذلك اكتسـاب الفضائل الخلقية .

وكانت حياة الرسـول صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة مشـحونة بالتدريب العملى للمسـلمين على خلق الشـجاعة ، فكان يدفع أصحابه باستمرار الى مواقف البسالة والاقدام ، حتى اكتسبوا من خلق الشجاعة ما فاقوا به كل الشـجعان ، وقصص بطولات الرسول وأصحابه فى هذه الحقبة كثيرة . ولقد حث الرسـول صلى الله عليه وسلم على تعلم الرمى واسـتمرار التدريب عليه ولو كان على سبيل اللهو بين المتدربين .

**● أمثلة فى الشـجاعة الايمانية :**

١ ـ روى البخارى ومسلم عن جابر بن عبد الله قال : قال رجـل للنبى صلى الله عليـه وسلم يوم أحـد : أرأيت ان قتلت فأين أنا ؟.

قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم : فى الجنة ، فألقى تمرات كن فى يده ، ثم قاتل حتى قتـــل .

يتبين لنا من هذه القصة أن الصحابى ســـأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن مكانه بعـــد الموت اذ هو قتـــل فى سبيل الله ، وأخبره الرسول صلى الله عليـــه وسلم بأن مكانه فى الجنة ، توقدت فى قلبـــه نيران الشـــوق الى لقاء ربه ، فلم يصبر مدة يسيرة يأكل فيها تمرات معدودات كانت فى يده مع ما يشـــعر به من جوع ، بل ألقى بها واندفع بشـــجاعة نادرة يبتغى الشـــهادة فى ســـبيل الله ، وما زال يقاتل قتال المســـتميت حتى قتل رضى الله عنه وأرضـــاه[1] .

وخلاصة القول أننا لكى نربى المسلم الرجل الشجاع الذى لا يعرف الجبن علينا أن نرسخ فى أعماقه الايمان بالقيمة العليا للدين ، والأمة ، وأن يكون الرســـول صلى الله عليـــه وسلم وأصـــحابه رضى الله عنهم القدوة والمثل الأعلى فى الشجاعة والرجولة .

*** 

(1) انظر : الأخلاق الاسلامية وأسسها ــ عبد الرحمن الميـــدانى ، ص ٥٦٧ ــ ٥٨١ ( بتصرف ) .

# المبحث الأول

## الكـــــــرم

الكرم واحدة من الشــمائل الحسنة والفضائل الخلقية التى تدلل بأن صاحبها يمتاز بالأخلاق الخيرة ، وأن ما يقوم به يســتحق عليــه الاطراء وعبارات الاستحسان • فالكرم والسخاء يعبران عن ايثار رفيــع المستوى والكرم فى الوقت عينه هو حال اعتدال تتناقض مع الاسراف والافراط فى الانفاق وكذلك تتناقض مع الشح والتقتير •

ويكون الكرم عند صاحبه ســجية متأصلة فى نفســه انطلاق من قواعد النظام التربوى الذى أعد عليــه وساهم فى تقويم شخصيته منذ الصغر • لأن الكرم ليس الصرف فحسب ، وانما هو سلوك فى الانفاق مقترن بطيب نفس ، وتابع من نية فعل الخير ، لذلك ترى الكريم غير متكلف ولاساع الى مظاهر تعبر عن اصطناع يكمن وراءه هدف آنى • أو مصــلحة معينـــة •

قد يكون مفيدا أن نعلم بأن صفة « كريم » هى من صفات الله تعالى وأسمائه ، ولكن يجب أن نعلم بأن الله تعالى هو الكريم المطلق الكرم المنقذ ، وبهذا جمع اسم كريم كل ما يحمــد عليــه الله تعالى • والقرآن سمى : « قرآن كريم فى كتاب مكنون » لمــا حواه من الهدى للناس والبيان والحكمة والعلم •

ان الله تعالى وهو الكريم أحب كل كريم ، وذم البخل وجاء بالوعيد البخيــل فى قــوله تعالى : ﴿ **وأما من بخل واستغنى • وكذب بالحسنى • فسنيسره للعسرى • وما يغنى عنه مالــه اذا تردى** ﴾(١) •

ان الاسلام يأمرك فى حياتك الخاصة بالاعتدال لا اسراف ولا تقتير فيقول الله تعــالى : ﴿ **ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محســورا** ﴾(٢) •

---

(١) الليــل : ٨ ــ ١١ (٢) الاسراء : ٢٩

أما فى حياتك الاجتماعية وصلتك بالناس فليس فى الجود فيها سرف ولا تبذير ، انه الميدان الذى تزداد مكانتك عند الله بمقدار ما تنفق فيه من مالك .

**﴿ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾(1) .**

بهذه الأخلاق ربى رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته ، وربى صحابته الناس ، فكان ما خلد التاريخ من آثار برهم وسخائهم مما لا ينقضى منه عجب التاريخ .

لقد كان أبو بكر رضى الله عنه فى حياته الخاصة من أبسط الناس معيشة ومأكلا وملبسا ، حتى اذا احتاج المسلمون الى المال للانفاق فى غزوة تبوك ، وحث رسول الله الناس على تجهيز الجيش ، جاء أبو بكر بكل ماله فقال له رسول الله : ماذا أبقيت لأهلك يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر : لقد أبقيت لهم الله ورسوله ، وفى هذا الوقت ذاته جاء عمر بن الخطاب بنصف ماله ، وجاء عثمان بن عفان بمال كثير ورواحل كثيرة وجهز كثيرين من الصحابة على حسابه ، ولقد كان النساء يأتين بحليهن وزينتهن الى رسول الله راضيات مستبشرات ، وانكم لترون فى أخبار الكرم الاجتماعى لدى المسلمين الأوائل ، ما لا يقتصر أثره على فئة الأغنياء دون الفقراء ، أو على الرجال دون النساء .

فهذا عثمان الغنى يصيب الناس فى عهد خلافة عمر قحط وشدة ، فتأتيه قافلة من الشام ألف جمل ، عليها أصناف الطعام واللباس مما لا يقدر فى تلك المحنة بثمن ، فيجيئوه التجار يطلبون أن يبيعهم هذه القافلة ، فيقول : كم تعطونى ربحا ؟ قالوا خمسة فى المائة ، قال انى وجدت من يعطينى أكثر ، قالوا ستة ، قال وجدت من يعطينى أكثر ، فما زالوا يزيدونه حتى أعطوه عشرة فى المائة ، فقال لهم وجدت من يعطينى أكثر ، فقالوا ما نعلم فى التجار من يدفع أكثر من هذا الربح ،

---

(1) البقرة : ٢٧٤

ونحن تجار المدينة والآن وصلت القافلة ، فمن أعطاك أكثر من هـذا ، فقال لهم عثمان انى وجدت من يعطينى على الدرهم سبعمائة فأكثر ، انى وجدت الله يقول : ﴿ **مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبـة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسـع عليم** ﴾(١) .

أشهدكم أنى بعتها لله وأنها صدقة على المسلمين .. **هذا مثل من الأغنياء** . واشـتغل عامل فى الليل لجماعة يسـقى لهم أرضهم بالمـاء ، حتى اذا انتهى فى الصباح قبض أجرته صـاعين من الشعير ، فجاء بهما الى النبى صلى الله عليـه وسلم ، فقال : يا رسـول الله هذان صاعان اشتغلت بهما الليل كله ، فصاع أمسكه لأهلى وصاع أضعه بين يديك لتعطيه الى اخوانى المحتاجين ... **وهذا مثل من العمال** ..

وكان على كرم الله وجهه يأكل مع زوجته فاطمة ما لا يكاد يكفيهما فجاءهما سـائل فأعطياه ما يأكلان ، وظلا طاويين من الجوع حتى نزل فيهما قـول الله تبـارك وتعـالى : ﴿ **ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾(٢) **وهذا مثل من الفقراء** .

وتتصدق عائشة يوما بمائة ألف درهم من عطاء لها ، وهى صائمة لا تلبس الا ثوبا باليا .. فقالت لها خادمتها بعد أن أنفقتها : لو أبقيت لنا ما نفطر عليـه لكان خير ، فقالت عائشة وقد نسيت نفسها وذكرت أمتها .. لو ذكرتينى لفعلت .. **وهذا مثل من النساء** .

بهذه الأخلاق وهذا الكرم الاجتماعى شيدت المساجد فى صـدر الاسلام وأنشئت المدارس ، وكثرت الأوقاف وبنيت الخانات ليـأوى اليها أبناء السـبيل[٣] .

---

(١) البقرة : ٢٦١ (٢) الحشر : ٩
(٣) انظر : اخلاقنا الاجتماعية ـ مصطفى السباعى ـ دمشـق : المكتب الاسلامى ـ الطبعة الخامسة ١٤٠٧ هـ ( ١٩٨٧ م ) ص ١٦ وما بعدها ( بتصرف ) .

ويحثنا الاسلام الى اكرام الضيف لأنه من السجايا العربية وأعتبرها من مكارم الأخلاق • وفى السنة النبوية أحاديث كثيرة تحث على اكرام الضيف وتشـــيد بالكرام ، وقد التزمنا فى هذه الأحاديث الاقتصار على ما يرد فى القـــرآن الكريم من حث على مكارم الأخـــلاق أو نهى عن مســـاوئها •

ومن أكرام الضيف حمايته من الأذى ومنع وقوع أى تعد عليه فى جســـمه أو ماله أو عرضه •

قال تعـــالى : **﴿ وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات ، قال يا قوم هؤلاء بناتى هن أطهـــر لكم ، فاتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى ، أليس منكم رجل رشيد ﴾(١) •**

وقال تعالى : **﴿ وجاء أهل المدينـــة يستبشرون • قـــال ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون • واتقوا الله ولا تخزون ﴾(٢) •**

وقال تعـــالى : **﴿ ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عـــذابى ونـــذر ﴾(٣) •**

ومن اكرام الضيف الترحيب به وتقديم الميســـور من الطعام اليه دون مبالغة ولا تكلف • قال تعالى حكاية عن ابراهيم عليه الســـلام : **﴿ ولقد جاءت رســـلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما ، قـــال ســـلام ، فما لبث أن جـــاء بعجل حنيذ ﴾(٤) •**

وقال تعالى : **﴿ هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين • اذ دخلوا عليه فقالوا ســـلاما ، قال ســـلام ، قوم منكرون • فراغ الى أهله فجـــاء بعجل سمين • فقربه اليهم قال ألا تـــأكلون ﴾(٥)،(٦) •**

---

(١) هود : ٧٨ — (٢) الحجر : ٦٧ ـــ ٦٩

(٣) القمر : ٣٧ — (٤) هـــود : ٦٩

(٥،٦) الذاريات : ٢٤ ـــ ٢٧ ، انظر مكارم الأخلاق فى القرآن ـــ يحيى المعلمى ـــ القاهرة : المطبعة العالمية ١٣٩٥ هـ ( ١٩٧٥م ) ، ص ١٣١ ، ١٣٢

فالانسان الكريم هو من كان سخيا جوادا دون بخل ولا اسراف ، لأن الأخلاق الفاضلة التى أمر بهـا الله تعالى تقوم على قاعدة الوسطية والاعتدال التى تحكم كل صـفة من صفات الخلق الحسن • عن هـذا المنهج جـاء الخطاب الالهى :

**﴿ والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ﴾(1)•**

وفى العودة الى الأخلاق الاسلامية فى سلوك النبى محمـد صلى الله عليه وسـلم نرى أن الاعتدال كان قرين الكرم والسخاء اللذين أمر بهما، وحث عليهما صلى الله عليه وسـلم • وقد جاء ذلك الحديث الشريف : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه »(2) •

كما أن صـفة الكرم عند النبى صلى الله عليه وسلم اقترنت بالصفح عن المسيىء وهـذا من كرم النفس اضافة الى الجود بما فى اليد ، فلقد نقل الرواة فى غير لفظ عن انس بن مالك رضى الله عنه قوله : « خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين وأنا غلام ، ليس كل أمر أمونى كما يشتهى صاحبى أن يكون ، فما قال : لم فعلت هذا ؟ أو : ألا فعلت هـذا ؟ » •

وينقل الرواة أيضا فى أكثر من لفظ الامام على كرم الله وجهه كان إذا وصف النبى صلى الله عليه وسـلم ، يقول : « كان أجود النـاس كفـا ، وأجرأ الناس صدرا ، وأصدق الناس لهجة ، وأوفاهم بذمته ، وألينهم عريكة ،وأكرمهم عشرة من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه فعرفه أحبـه » •

ويحمل لنـا الأثر عن السلف الصـالح كثيرا من مواقف الكرم والانفاق دون خوف من الفقر •

والكرم وهو قيمة أخـلاقية هامة من قيم الاسلام كان من قيم الأخلاق عند العرب قبل الاسلام وأكد عليها الاسلام لأهميتها •

(1) الفرقان : 67

(2) رواه البخارى •

وما نعلمه من التاريخ العربى ذلك المثل الذى ضرب بكرم حاتم الطائى الذى ورث الكرم فى تربيته عن أمه « عقبة » التى كانت لا تمنع العطاء عن طالب أو صاحب حاجة ، ولا تدخر شيئا ، مما جعل أشقائها يتهمونها باتلاف المال فيحجرون عليها ، ويمنعونها مالها .

لقد ضرب المثل بكرم حاتم واستعمل اسمه صفة لكل سخى جواد من الناس ، ومما يؤثر أن ابنة له أسرت فى احدى غزوات المسلمين ضد الكفار ، ولما عرفت عن نفسها قال النبى صلى الله عليه وسلم لصحبه : « خلوا سبيلها من الأسر فان أباها كان يقرى الضيف »[1] .

وخلاصة القول :

ينبغى على المسلم لكى يكون رجلا أن يتحلى بالكرم ، لأن التوازن النفسى ، والاعتدال السلوكى لا يكونان الا مع الكرم ، وعدم الانجرار وراء الشهوات الحسية مع القناعة بما قسم الله تعالى له من رزق ، اللهم بعد أن يكون قد أعطى الجهد اللازم فى تحصيل رزقه بالطرق المشروعة والمتاحة .

لأن الرجل الكريم هو من كان سخيا جوادا دون بخل أو اسراف .
والكرم سمة مميزة للرجولة الاسلامية .

* * *

(1) انظر : فى الأخلاق الاسلامية والانسانية ـ على معبد فرغلى ـ القاهرة : دار الكتاب الجامعى ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥ م) ، ص ٢٩ وما بعدها ( بتصرف ) .

# المبحث الثانى

## الحلم

الحلم صفة كريمة وهو من أشرف الأخلاق ، وأحقها بذوى العقول الناضجة . فلا توجد نتيجة حسنة ، ولا غاية حميدة ، ولا نهاية سعيدة ، الا كان الحلم سبيلها ، والموصل اليها لأنه يقتلع الشر من جذوره ، ويطفىء النار فى أول بدوئها . ويقضى على كل فتنة فى مهدها ، ويرغم الشيطان أن يكون من المدحورين المذمومين .

وقد وصف الله به المتقين فى قوله تعالى :

**﴿ وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين ﴾(1) .**

ولعظم شأن الحلم عند الله تعالى فقد أمر به النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : **﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾(2) .**

ولعظم شأن الحلم وأهميته فى الاسلام نجد أن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قد تحلوا بالحلم واتصفوا به حتى قال الله عز وجل فى مدحهم : **﴿ والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون ﴾(3) .**

ومن أجل ذلك نستطيع أن نقول : ان الحلم من خير ما تحلى به الرجال العباد الزهاد ، وأفضل ما تمسك به الاتقياء العلماء .

---

(1) آل عمران : ١٣٣ ــ ١٣٤ (2) الأعراف : ١٩٩
(3) الشورى : ٣٧

وفى هذا العصر الذى نعيش فيه ، لهث النـاس خلف الحيـاة المـادية وتركوا التعاليم الربانية ، الا من رحم ربى . ولهـذا ظهرت الأمراض الخطيرة ، والعلل الوبيلة التى لم تظهر فى أسـلافنا . ومن الأمراض الخلقية التى انتشرت الغضب ، وعـدم امتلاك زمام الأمور بقوة .

فكم من بيت خرب بسبب الغضب .

وكم من امرأة طلقت بسبب غضب زوجها .

وكم من رجل شـل بسبب الغضب .

وكم من أولاد شردوا بسبب الغضب .

وما اهتم الاسلام الحنيف بأمر من الأمور ، قدر اهتمامه ببنـاء الانسان ، وتربية المشاعر فيه تربية طيبة [1] .

والحلم من فروع خلق الصبر ، اذ الحلم هو الأناة والتثبت فى الأمر ، وما يلزم عن ذلك من ضبط للنفس عن الغضب ، وكظم للغيظ ، وعفو عن السـيئة .

والحليم هو ذو الأناة الذى لا يستفزه الغضب اذا واجه ما يغضبه ، ولا يتسرع بالعقوبة ، بل يضبط نفسه ، ويتريث ، وبعد الأناة يتصرف على وفق مقتضيات الحكمة ، وكل ذلك لا يكون الا بضبط النفس عن الاندفاع بعوامل الغضب ، وهو وجه من وجوه الصبر .

ولمـا كان الحلم أحـد فروع الصبر جاء فى أسـماء الله الحسنى اسـم الله ( الحليم ) وقد ذكر العلماء أن معناه الصبور الذى لا يستخفه سبحانه عصيان العصاة ولا يستفزه الغضب عليهم ، ولكنه جعل لكل شىء مقدارا فهو منته اليه . وذكروا أيضا أن معناه الذى لا يعجل بالانتقام من عباده المجرمين ، ليفسح لهم مجالات التوبة والندم وليقيم الحجـة

---

(1) انظر : الحلم ــ ابن أبى الدنيا ــ القاهرة : مكتبة القرآن ، ( د. ت ) ص ١٣

عليهم بأنهم لم يصلحوا قلوبهم وأعمالهم بعد الحلم بهم • وهذه المعانى لا تخـرج عن معـانى الصـبر ، وفى وصف الله قال عـز وجـل : ﴿ وكان الله عليما حليمـا ﴾(١) •

**● بين الحلم والعقـل :**

يوجد ارتباط ايجـابى قوى بين الحلم والعقل ، وذلك لأن العقل السوى هو الذى يعقل صاحبه عن الاندفاع وراء عواطفه وغرائزه أو وراء انفعالاته وشـهواته ، أو وراء طبائعه النـارية ، أو وراء كل ما يميل به الى الجنوح والانحراف •

**● توجيه الاسلام للتخلق بخلق الحلم :**

١ ـ من تمجيد الحلم وتعظيم أمره ، وتمجيد الأناة التى هى من الحلم أو قرينته ، روى الامام مسلم فى صحيحه ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم لأشج عبد القيس : « ان فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة » •

وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا البيان التفصيلى لقول الله تعـالى : ﴿ والله يحب الصابرين ﴾ ، لأن الحلم والأناة من فروع الصـبر •

٢ ـ وكان الرسـول صلى الله عليه وسـلم حليما ، وقد أعطانا دروسـا عملية وقولية فى خلق الحلم منها قصة الأعرابى الجاهل بحرمة المساجد ، اذ بال فى المسجد النبوى •

روى البخارى عن أبى هريرة قال : بال أعرابى فى المسجد ، فقام الناس اليه ليقعوا فيه ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « دعـوه ، وأريقوا على بوله سجلا من ماء فانما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين» السجل : هو الدلو المملوء ماء •

---

(١) الأحزاب : ٥١

فقد علم الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا أصحابه كيف يكون الحـلم بالجاهلين وكيف يكون الرفق بهم ، وكيف يجب أن يكون الدعاة الى الله والحق والخير والفضيلة ميسرين لا معسرين .

وروى البخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه قال : بينما نحن فى المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاء أعرابى فقام يبول فى المسجد فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : مه ، مه ، فقال رســول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تزرموه ، دعوه » فقال أنس : فتركوه حتى بال ، ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له : « ان هذه المساجد لا تصلح لشىء من هذا البول والقذر ، انما هى لذكر الله ، والصــلاة ، وقراءة القرآن » أو كما قال رسول الله صلى الله عليــه وسلم .

قال أنس : وأمر رجلا من القوم فجاء بدلو من ماء فسنه عليه . أى صبه عليه .

فى هذه الرواية عن أنس زيادة رائعة ، تبين حكمــة الرســول التربوية لهذا الأعرابى الجاهل بآداب المساجد ، وهى تدل على حلم الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى رفقه وحســن سياسته ، وهــذا الخلق العظيم هو الخلق الذى ملك به قلوب أصــحابه ، وفرض به احترامه على أعــدائه .

وهكذا كان حلم الرسول صلى الله عليه وسلم حلما عظيما ، فى أقسى حالات الشدة التى واجهها من قبل قومه .

٣ ــ وكما رغب الاسلام بالحلم وحث عليه ومجده حذر من الأخلاق المنافية له ، وعمل على تربية المسلمين تربية عملية تأخـذ بأيديهم حتى يكونوا حلماء .

● **الغضب :**

فمن التحذيرات النبوية من الغضب ، أى : من الاستجابة لدوافع الغضب ، والغضب مناف للحلم ، ما رواه البخارى عن أبى هريرة ، أن

رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم أوصنى ، قال : « لا تغضب » فردد ذلك مرارا ، فقال : « لا تغضب » .

ان الرسول صلى الله عليه وسلم طبيب حكيم ، والطبيب الحكيم هو الذى يتبصر بواقع حال مريضه ، فيصف له العلاج المناسب لحالته المرضية ، والظاهر أن هذا الرجل الذى طلب من الرسول أن يوصيه كان الغضب أقوى أمراضه الخلقية ، ومن أجل ذلك اقتصر الرسول صلى الله عليه وسلم على قوله : « لا تغضب » .

ومن الحق أن ضبط النفس عن الاندفاع بعوامل الغضب بطولة لا يستطيعها الا الأشداء أقوياء الارادة ، والمؤمنون أقوياء الايمان ، فليس من السهل اذا غضب الانسان أن يضبط نفسه ويكف غضبه ، وليس من السهل اذا اغتاظ الانسان أن يضبط نفسه ويكظم غيظه ، ويكف عن الانتقام ممن أغضبه أو غاظه . ولذلك جعل الرسول صلى الله عليه وسلم البطولة فى الناس ضبط النفس عن الاندفاع بعوامل الغضب ، وعرف الصرعة من الرجال وهو بطل المصارعة ، بأنه الذى يملك نفسه عند الغضب .

روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس الشديد بالصرعة ، انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب »[1] .

ومن هنا نقرر تلك الحقيقة الخالدة بقدرة الله وعزته وهى أن الحليم رجل جعل النبى صلى الله عليه وسلم قدوته الحسنة وامامه فى كل ما يتخلق به ، فتمسك بأخلاقه ، وتحلى بصفاته ، وسار على هديه ومنهجه فكان عطاء الله له عظيما ، وجزاؤه له فى دار الجزاء وافرا كريما .

---

(١) انظر : الأخلاق الاسلامية وأسسها ـ عبد الرحمن الميدانى ـ دمشق : دار القلم ، ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م ) ص ٣٢٣ وما بعدها (بتصرف) .

● **من روائع الأمثلة فى الحلم :**

ـــ ومن الأمثلة العظيمة لخلق الحلم ، حلم هود عليه السلام على قومه ، فلقد قابل شــتائم قومه له وجهلهم عليه ، بحلم عظيم ، وصبر جسيم ، وصدر واسع . شتموه بأنه ناقص العقل ســفيه ، وبأنه من الكاذبين ، فقابلهم بنفى صفة السفاهة عنه ، وأكد لهم أنه صادق فى رســالته غير كاذب ، وفى بيان ذلك يقول الله فى سورة ( الأعراف ) : **﴿ والى عاد اخاهم هودا ، قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من الــه غيره ، افــلا تتقون . قــال المــلأ الذين كفروا من قومــه انــا لنراك فى سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين . قال يا قوم ليس بى ســفاهة ولكنى رســول من رب العــالمين . ابلغكم رسالات ربى وانا لكم ناصح امين ﴾(١) .**

*** * ***

**(١) الأعراف : ٦٥ ـــ ٦٨**

# المبحث الثالث

## الثبات

الثبات : فى اللغة الثبات هو دوام الشيء ، وهو ضد الزوال والرجل الثبيت هو الفارس الشجاع ، والثابت العقل ، والعالم الثبت هو الثقة فى العلم ، واستثبت تأنى ، فمادة « الثبات » تدل على الاستقرار والرسوخ ، وعلى ضد التزلزل والاضطراب ، وفيها أيضا معنى القوة ، ولذلك يقال : ثبته الله أى قواه .

والثبات خلق من أخلاق القرآن الكريم ، تحتاج اليه أشد الاحتياج لأن طريق العبادة والطاعة طويل ، لابد من ثبات واستقرار ، وطريق العمل والسعى الحميد فى الحياة طويل لا بد له من ثبات واستقرار وطريق الحرية والعزة والكرامة طويل لا بد له من ثبات واستقرار ، وطريق الأبطال وتحقيق الآمال بكريم النضال طويل لابد له من ثبات واستقرار ، ولذلك نادى الله جل جلاله عباده الأخيار بقوله فى سورة آل عمران :

**﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾(١) .**

وقد أخبر الله تبارك وتعالى عباده أن الثبات صفة كريمة من صفات المؤمنين ، تتحقق لهم عن طريق الاهتداء بهدى القرآن المجيد ، وبالاقبال على طاعة الله والاعتصام بحبله وهداه . فقال تعالى فى سورة النحل :

**﴿ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ﴾(٢) .**

---

(١) آل عمران : ٢٠٠
(٢) النحل : ١٠٢

كما أخبر الحق سبحانه وتعالى بأنه من على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بنعمة الثبات ، وانما تحقق الثبات لرسول الله بفضل الله وبما آتاه من وحيه ، وبما قص عليه وذكر له فى قرآنه الكريم من آيات وأنباء وعظات ، ولذلك يقول فى سورة الفرقان : **﴿ وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك ، ورتلناه ترتيلا ﴾(١) .**

ويقول فى سورة هود : **﴿ وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك ﴾(٢) .**

ويقول فى سورة الاسراء : **﴿ ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا ﴾(٣) .**

فالله تعالى قد أقر رسوله على الحق ، وحصنه به ، وعصمه من موافقة الكافرين ، وكان رسول الله يدرك خير الادراك فضل الله العظيم فى هذا التثبيت ، ولذلك كان يدعو فيقول : « اللهم لا تكلنى الى نفسى طرفة عين »(٤) .

ومما يذكر أن جميع المناهج الوضعية والقوانين البشرية يعوزها الثبات سواء كانت هذه المذاهب عقلانية أو روحية أو حسية أو تجريبية ، فما يلبث أن تظهر بين الحين والحين نظريات جديدة تدحض حججها . وتبين ضآلة صدقها ، ويعرض بعض العلماء وجهات نظر جديدة تهدم المناهج القديمة وتلغى قواعدها ونظرياتها(٥) .

---

(١) الفرقان : ٣٢ (٢) هود : ١٢٠ .
(٣) الاسراء : ٧٤
(٤) انظر : موسوعة اخلاق القرآن — أحمد الشرباصى ، جـ ١ ، ص ٩٦
(٥) انظر : الغزو الفكرى الالحادى — عبد الحميد متولى ، الأخلاق الاسلامية — حسن الشرقاوى ، ص ١١٢

واذا كان الباحث قد هــداه الله الى تأمل منهج الله وحظى بنعمة الايمان به وجعل إمامه وقدوته الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ نجا بنفسه وثبت قلبه على الحق وأمن من شر الانحراف عن الصراط المستقيم **﴿ للذين استجابوا لربهم الحسنى ﴾(١) .**

اذا تيقن الانســان المســلم بفطرته السليمة أن طريق الله هــو الحق ، فانه يربط على قلبــه ، ويثبت قدمه فلا يشك فى أمر الله ، ولا يتردد فى طريقــه ، اذ تفتح أمامه السـبل كمـا وعـد الله : **﴿ يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم ﴾(٢) .**

فالذى يتمسك بالمنهج الاسلامى يرشد الى العلم الصحيح ويثبت بالقول الثابت ويعده الله بالأمن الداخلى وبالالهام الملائكى ، فلا يفقد أبدا طريق الســلامة والأمن : **﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ﴾(٣) .**

والمنهج الاسلامى ثابت فى حقائقه ، يحظى فيه المؤمن بدرجات تزداد يوما بعد يوم من العلم والمعرفة واليقين فلا يخذله أو يتركه تعالى مادام سائر فى طريق التوحيد والايمان : **﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾(٤) .**

وهذه هى سنة الله للناس جميعا لا تحول فيها فان ســنته تعالى لا تتبدل ولا تتغير اذ هى ثابتة أبدا .

**﴿ فلن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا ﴾(٥) .**

**﴿ وآتيناك بالحق وانا لصادقون ﴾(٦) .**

ومن المواقف المشهودة التى تحتاج الى الثبات ، والى الاعتصام بحبل الله القوى المتين موقف الجهاد ومقاومة الأعداء ، ولذلك جاء فى ســورة الأنفال :

---

(١) الرعــد : ١٨ — (٢) محمد : ٧
(٣) ابراهيم : ٢٧ — (٤) المجادلة : ١١
(٥) فاطر : ٤٣
(٦) الحجر : ٦٤ . انظر المرجع الســابق .

**﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحــون ﴾ (١) .**

والثبات فى الجهاد قوة معنوية لها قيمتها ، فقد يكون السـلاح والعتاد فى أيدى المجاهدين ، وفيهم الكثرة والقوة الحسية ، ومع ذلك يظلون فى حاجة الى ما هو أهم ، وهو القوة المعنوية المتمثلة فى الثبات ، والبصراء بأمور النضال يقررون أن الثبات يكون فى كثير من الأحيان السبب القوى والأخير للنصر والفوز . فالجيوش تتقاتل وتتصارع ، والأكثر منها صبرا ودواما واسـتمرارا هو الذى يتغلب ويفوز ولعل هـذا هو الذى جعل القرآن المجيـد يحذر تحذيرا شديدا من ترك الثبـات فى القتـال ، ويتهدد من يتنكر لهذا الخلق الكريم بالعقاب والعذاب ، فيقول فى سورة الأنفال : **﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومـأواه جهنم ، وبئس المصير ﴾(٢) .**

ونوه خير تنويه بالذين لا يضطربون ، ولا يتزلزلون ، ولا يهابون ، فقال فيهم فى سـورة آل عمران : **﴿ الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم ﴾(٣) .**

وقد ربط القرآن برباط دقيق بين الثبات الحسى والثبات المعنوى حين يتوافر الايمان واليقين لدى أهله .

ومن أروع مواقف الثبات فى تاريخ الاسلام ، ثبات القلة المؤمنة فى اليوم العصيب الشديد ، يوم غزوة أحد ، وكأن القدر أجرى على

---

(١) الأنفال : ٤٥ (٢) الأنفال : ١٥ ـ ١٦
(٣) آل عمران : ١٧٣ ـ ١٧٤

لسان الرسول فى أول الغزوة ما يشير الى ضرورة هذا الثبات ، حيث قال للرماة الذين طالبهم بحماية ظهر الجيش من فوق الجبل : « ان رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل اليكم ، وان رأيتمونا قد هزمنا القوم فلا تبرحوا مكانكم حتى أرسل اليكم » .

والحق الذى لا شك فيه أنه لم ينقذ المسلمين من حرب الابادة والافناء فى هذه الغزوة — غزوة أحد — الا ثبات الطائفة القليلة من المجاهدين المخلصين .. فحينما أشيع بين المحاربين أن الرسول قد مات ، تخاذل بعض المقاتلين ، ولكن أنس بن النضر هتف بأعلى صوته يقول : « يا قوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل ، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد صلى الله عليه وسلم ، اللهم انى أعتذر اليك مما يقول هؤلاء ، وأبرأ اليك مما جاء به هؤلاء » ..

ثم شد بسيفه وقاتل حتى قتل ، وكان لأنس من المسلمين أشباه ونظائر ثبتوا وقاوموا وفى هذا نزل قول الله تعالى فى سورة آل عمران :

**﴿ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، افان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزى الله الشاكرين . وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله ، كتابا مؤجلا ، ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ، وسنجزى الشاكرين ﴾(١) .**

ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى فى ثبات النفس ، وثبات الحس فى غزوة أحد .. فقد أصيب فى وجهه وشفتيه وأسنانه ، وسال الدم الزكى على وجهه الشريف ، وتعب كثيرا ، حتى صلى الظهر قاعدا بسبب الجراح التى نالته ، وحينما جاء عدو الله « أبى بن خلف » يقول : أين محمد ؟ لا نجوت ان نجا . فقال الصحابة : يا رسول الله ، هل يعطف عليه أحدنا ليقتله ؟ فقال : دعوه ..

---

(١) آل عمران : ١٤٤ — ١٤٥

فلما اقترب من الرسول تناول الرسول الحربة من أحد أصحابه وبكل ثبات واطمئنان طعنه بها طعنة قتلته .

ومن هنا قال المقداد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد : « فوالذى بعثه بالحق مازلت قدمه شبرا واحدا ، وان لفى وجه العدو ، تفىء اليه طائفة من أصحابه مرة ، وتفترق عنه أخرى ، وهو قائم يرمى عن قوسه ، ويرمى بالحجر ، حتى انحازوا عنه » .

والثبات فضيلة يجب أن يتحلى بها الرجل المسلم ليكون مثالا للرجولة ويجب أن نحتذى بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم لأنه المثل الأعلى فى الكمال والرجولة ولا ننسى موقف الرسول الخالد الذى علم به الدنيا كلها كيف يكون الثبات على الحق ، والاستمساك بالعقيدة ، وذلك يوم قال : « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الأمر ما تركته ، حتى يظهره الله أو أهلك دونه » ..

ولا عجب ولا غرابة ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ثبت الله قلبه ، وقواه وجعله راسخا فى ثباته كالجبال ، فقام بأعباء الرسالة ، ونشر الدعوة ، وترك الناس على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها الا هالك .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أفضل الجهاد كلمة حق عند امام جائر » .

ولقد قال القرآن الكريم : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ويضل الله الظالمين ، ويفعل الله ما يشاء »(1).

اللهم ثبتنا على الحق والقيام بأفضل الطاعات ومراقبة الحق على دوام الأوقات(2) .

* * *

(1) ابراهيم : ٢٧

(2) انظر : موسوعة أخلاق القرآن - احمد الشرباصى ، ج ١ ص ٩٦ - ١٠٣ ( بتصرف ) .

# المبحث الرابع

## كظم الغيـــظ

كظم الغيظ : خلق قرآنى جعله الله تبارك وتعالى من صفات المتقين فقال فى ســـورة آل عمران : ﴿ **وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها الســـموات والأرض اعـــدت للمتقين • الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين ﴾(١)• المحسنين ﴾(١) •**

فالمغفرة من الله والجنة التى أعدت للمتقين يظفر بها الذين ينفقون فى السراء والضراء • والذين يكظمون غيظهم ، ويعفون عن الناس ، يســـتحقون محبة الله لهم لأنهم ارتقوا الى مرتبة الاحســـان فكانوا من المحسنين •

ولا يكظم غيظه الا صابر ، ولا يعفو عمن أســـاء اليه الا صابر ، فكظم الغيـــظ والعفو عن الناس من مظاهر خلق الصـــبر[٢] • ومادة « كظم » تدل فى أصلها اللغوى على الامساك والجمع للشىء ، والكظم هو اجتراع الغيظ والامساك عن ابدائه ، وكأنه يجمعه الكاظم فى جوفه ، والكظم أيضـــا مخرج النفس ــ بفتح الفاء ــ ويقال : كظم البعير ، اذا ترك الاجترار ، ويقال : كظمه الغيظ ، اذا أخذ بنفسه ، فهو كظيم ومكظوم •

وقد جاء فى سورة النحل قال تعالى : ﴿ **واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ﴾(٣) •**

---

(١) آل عمران : ١٣٣ ــ ١٣٤

(٢) انظر : الأخلاق الاسلامية واسسها ــ عبد الرحمن الميدانى ، ص ٣١١

(٣) النحل : ٥٨

وفى سورة يوسف : ﴿ **وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم** ﴾(١).

وفى سورة غافر : ﴿ **وانذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين** ﴾(٢) .

وفى سورة الزخرف : ﴿ **ظل وجهه مسودا وهو كظيم** ﴾(٣) .

وفى سورة القلم : ﴿ **ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم** ﴾(٤) .

و « الغيظ » صفة تدل على تغير فى المخلوق عند احتداده يتحرك لها ، وفى الحديث جاءت كلمة : « غيظ جارتها » ، لأنها ترى من حسنها ما يغيظها ويهيج حسدها .

ولقد قال الأستاذ الامام محمد عبده عن الغيظ : « الغيظ ألم يعرض للنفس اذا هضم حق من حقوقها المادية ، كالمال ، أو المعنوية ، كالشرف ، فيزعجها الى التشفى والانتقام ، ومن أجاب داعى الغيظ الى الانتقام لا يقف عند حد الاعتدال ، ولا يكتفى بالحق بل يتجاوزه الى البغى ، فلذلك كان من التقوى « كظمه » .

وقد وردت مادة « الغيظ » فى آيات من القرآن الكريم .

ففى سورة آل عمران : ﴿ **واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ ، قل موتوا بغيظكم ، ان الله عليم بذات الصدور** ﴾(٥) .

وفى سورة التوبة : ﴿ **ويذهب غيظ قلوبهم** ﴾ (٦) . وفيها أيضا : ﴿ **ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار** ﴾(٧) .

وفى سورة الأحزاب : ﴿ **ورد الله الذين كفروا بغيظهم** ﴾(٨) .

و « كظم الغيظ » هو تجرعه واحتمال سببه والصبر عليه .

وقد قال المفسرون فى قوله تعالى عن المتقين :

﴿ **والكاظمين الغيظ** ﴾(٩) . أنهم الذين اذا ثار بهم الغيظ ــ وهو

---

(١) يوسف : ٨٤
(٢) غافر : ١٨
(٣) الزخرف : ١٧
(٤) القلم : ٤٨
(٥) آل عمران : ١١٩
(٦) التوبة : ١٥
(٧) التوبة : ١٢٠
(٨) الأحزاب : ٢٥
(٩) آل عمران : ١٣٤

أشد الغضب ـ كظموه وكتموه ، ولم يستجيبوا لداعيه ، ولا يعملون غضبهم فى الناس ، بل يكفون عنهم شرهم ، ويحتسبون ذلك عند الله عز وجل .

ولشيخ المفسرين الامام ابن جرير الطبرى عبارة فى التعليق على كلمة « والكاظمين الغيظ » يقول فيها ما نصه : فى قوله : « والكاظمين الغيظ » يعنى والجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه ، يقال منه : كظم فلان غيظه اذا تجرعه ، فحفظ نفسه من أن تمضى ما هى قادرة على امضائه باستمكانها ممن غاظها ، وانتصارها ممن ظلمها . وأصل ذلك من كظم القربة ، يقال منه : كظمت القربة اذا ملأتها ماء . وفلان كظيم ومكظوم اذا كان ممتلئا غما وحزنا ، ومنه قول الله عز وجل : « **وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم** » يعنى ممتلىء من الحزن ، ومنه قيل لمجارى المياه : الكظائم : لامتلائها بالماء ، ومنه قيل : أخذت بكظمه ، يعنى بمجارى نفسه ، والغيظ مصدر من قول القائل : غاظنى فلان فهو يغيظنى غيظا ، وذلك اذا أحفظه وأغضبه[1] .

وكظم الغيظ واخماد جذوة الغضب ، والدفع بالتى هى أحسن ، أمور تحتاج الى حظ عظيم من خلق الصبر ، فالذى لا يتحلى بخلق الصبر لا يستطيع أن يكظم غيظه ، ولا يستطيع أن يسكن غضبه ، ولا يستطيع أن يدفع بالتى هى أحسن ، دلت الملاحظة على هذه الحقيقة ، ومن الأدلة الاسلامية التى دلت عليها أيضا قول الله تعالى فى سورة ( فصلت ) : « **ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم . وما يلقاها الا الذين صبروا ، وما يلقاها الا ذو حظ عظيم . واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ، انه هو السميع العليم** »[2] .

فالله تبارك وتعالى يأمر فى هذا النص بدفع السيئة بالتى هى أحسن ثم يقول : « **وما يلقاها الا الذى صبروا** » فدل بهذا على أن هذه الظاهرة من مكارم الأخلاق أثر من آثار خلق الصبر .

---

(١) انظر : موسوعة الأخلاق القرآنية ـ أحمد الشرباصى ص ٦٥
(٢) فصلت : ٣٤ ـ ٣٦

من الملاحظ فى المعاملات الاجتماعية بين الناس أن بعضهم قد يسيئون الى اخوانهم اساءات مختلفة فى ألسنتهم ، فى أيديهم ، فى غير ذلك من جوارحهم ، فى تصرفاتهم المالية أو غير المالية ، والاساءة قد تمس النفس ، أو تمس العرض والشرف ، أو تمس المال والمتاع ، أو تمس الأهل والعشيرة ، أو تمس أى حق من الحقوق .

والله تعالى يأمر المؤمن فى هذا النص بأن يدفع السيئة التى تأتيه من أخيه ، بالخصلة التى هى احسن ، والخصلة التى هى أحسن من رد السيئة بمثلها انما هى العفو والاحسان ، أو الاعراض وكف الأخذ والرد فى موضوع الاساءة .

وللدفع بالتى هى أحسن ثمرات اجتماعية عظيمة ، منها تحويل العدو المجابه بما يسوء ويؤذى الى نصير مدافع وصديق حميم ، وهذا ما نبه عليه وأوضحه قول الله تعالى : ﴿ **فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم** ﴾(١) .

وما أحوج القادة والموجهين الى هذا الخلق العظيم ، بل ما أحوج كل انسان اليه ، انه أحد المظاهر الاجتماعية لخلق الصبر ، وهو الدواء المرمم لما يبلى أو يتهدم من الروابط الاجتماعية ، والمصلح لما يفسد منها ، والمجدد لما يفنى منها ، ومن أجل ذلك أمر الله به ، وأثنى على من يتحلى به ثناء عظيما ، فقال تعالى : ﴿ **وما يلقاها الا الذين صبروا ، وما يلقاها الا ذو حظ عظيم** ﴾(٢) .

أى : ذو حظ عظيم من مكارم الأخلاق وفضائل السلوك ، وهو عند الله يوم الدين ذو حظ عظيم من الأجر والمنزلة الرفيعة فى دار النعيم ، اذا كان يدفع السيئة بالتى هى أحسن ابتغاء مرضاة الله ، والله تبارك وتعالى يكافئه بمثل عمله ، فيعفو عن سيئاته ويكفر له خطيئاته ، ويضاعف له أجره أضعافا كثيرة ، كل هذا من الحظ العظيم الذى يناله .

---

(١) فصلت : ٣٤ — (٢) فصلت : ٣٥

في مقدمة هذا النص جاء قول الله تعالى : ﴿ **ولا تستوى الحسنة ولا السيئة** ﴾ثم جاء بعده مباشرة قوله تعالى ﴿ **ادفع بالتى هى احسن** ﴾ على طريقة تقرير القاعدة الكلية العامة ، ثم التوجيه الى الأخذ بجزئية من جزئياتها .

ان ايراد القاعدة الكلية العامة : ﴿ **ولا تستوى الحسنة ولا السيئة** ﴾ بمثابة اقامة الدليل على كمال الدفع بالتى هى أحسن قبل الأمر به ، وفى ايراد هذه القاعدة اعلان لحقيقة لا ينكرها عاقل ، وهى أن الحسنة تقع فى مرتبة الكمال ، وأن السيئة تقع فى حضيض النقصان ، وهذان الضدان لا يستويان ، وكيف يستويان وأحدهما صاعد شطر القمة والآخر هابط شطر الحضيض ؟!

اذا كان الأمر كذلك ففاعل الحسنة لا يمكن أن يستوى مع فاعل السيئة ، ففاعل الحسنة يصعد فى معارج المحسنين ، وفاعل السيئة يهوى فى أودية المسيئين .

ولما كان الاسلام يدعو الى الكمال الخلقى ويدفع المسلمين اليه ، كان من الطبيعى بعد اعلان التفاوت الكبير بين الحسنة والسيئة أن يأتى الأمر بالدفع بالتى هى أحسن .

وفى هذا النص اشارة الى عامل من العوامل المحرضة على الغضب والانتقام مع وصف العلاج النفسى الناجح ، أما العامل المحرض على الشر فهو نزغ الشيطان فى داخل الأنفس ، وأما علاجه فهو الاستعاذة بالله منه ومن نزغاته ، قال الله تعالى : ﴿ **واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ، انه هو السميع العليم** ﴾[1] .

والسر فى هذا العلاج أن الاستعاذة بالله من شأنها أن تذكر به ، وبما أمر به وبما نهى عنه ، وبما أعد لعباده المؤمنين المحسنين من أجر عظيم[2] .

ولكى يكون المسلم رجلا ينبغى عليه أن يكظم غيظه لأن كظم

---

(١) الأعراف : ٢٠٠

(٢) انظر : الأخلاق الاسلامية واسسها ــ عبد الرحمن الميدانى : جـ ٢ ، ص ٣١٠

الغيظ يحتاج الى ارادة صلبة ، وعزيمة قوية وشخصية تتحكم في عواطفها ومشـاعرها وانفعالاتها ، فلا يستبد بها الغضب ، ولا يسـيطر عليها الهـوى الجامح ، فيدفعهـا الى الانتقام والتشـفى ، أو الى ارتكاب ما لا يحسن بالرجل الحكيم الوقور .

ولذلك قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « ليس الشـديد بالصرعة : انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » .

والعلماء يقولون ان الغضب هو فوران دم القلب لارادة الانتقام وهـذا شيء كان الانسـان مجبول عليه ، ولا يسـتطيع انتخلص منه بالكلية . ولكن المـأمول من الرجل المسلم صـاحب الأخلاق الفاضلة أن يتجنب أسـباب الغضب ما استطاع الى ذلك سبيلا ، وأن لا يطيع الشـيطان ، أى من أثر وسوسته ، وان الشيطان خلق من النار ، وانما ولا يتجبر ولا يندفع . وهذا خلق من أخلاق الأنبياء ، لأن الحلم شيمة من شـيمهم الأساسية .

وقد أرشدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وسائل تتقى بها عواقب الغضب السيئة ، وتؤدى بنا الى التحلى بحلية كظم الغيظ وهى كما يلى :

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا غضب أحـدكم وهو قائم فليجلس ، فان ذهب عنه الغضب فليضطجع » .

٢ ـ قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « ان الغضب من الشيطان ، أى من أثر وسوسته ، وان الشيطان خلق من النار ، وانما تطفأ النار بالمـاء ، فاذا غضب فليتوضأ » .

٣ ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا غاضبا ثائرا ، فقال : « انى لأعرف كلمة لو قالها أحدكم لذهب عنه الذى يجـد : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » .

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الرجال الذين تحلوا بكظم الغيظ ويجملنا بخلق الاستقامة على سواء السبيل[١] .

* * *

---

(١) أنظر : موسوعة أخلاق القرآن ـ أحمد الشرباصى : جـ ٢/٦٤ ( بتصرف ) .

# المبحث الخامس

## العفـو

« العفو » : كلمة يدل أصل معناها على المحو والطمس ، يقال : « عفت الريح الأثر اذا محته وطمسته ، وعفا الشيء امتحى ولم يبق له أثر ».

والعفو اصطلاحا : هو محو الذنوب ، وكل من استحق عقـوبة فتركته فقد عفوت عنه .. ويقال : عفـا الله عنك ، أى محا الله عنك ؛ فعفو الله هو محوه الذنوب عن العبد . وقيل ان العفو معناه الترك ، فعفو الله اذا هو تركه العقـوبة على الذنب ، وفى الدعاء المـأثور : « أسألك العفو والعافية » أى أسألك ترك العقوبة وتحقيق السلامة ، لأن العافية هى الصحة ، وهى أن تسلم من الأسقام والبلايا .

و « العفو » بضم الفاء وتشـديد الواو — هو الكثير العفو ، فالكلمة صيغة مبالغة على وزن فعول ، وهى اسم من أسماء الله — عز وجل — التى تكرر ذكرها فى القرآن الكريم .

و « المعافاة » مفاعلة من العفو ، بأن يعفو الانسـان عن الناس ويعفو الناس عنه ، وقيل هى أن يعافيك الله من الناس ، ويعافيهم منك ، أى يغنيك عنهم ، ويغنيهم عنك ، ويصرف أذاهم عنك ، وأذاك عنهم .

وحقيقة العفو أن يخطىء معك انسان ، وتكون قادرا على معاقبته ومؤاخذته ، ولكنك تعرض وتصفح ، ولذلك قيل : العفو عند المقدرة .

والعفو خلق من أخلاق القرآن الكريم التى كرر ذكرها ، ورفـع قدرها ولعل مما يبين هذا القدر الرفيع للعفو أن القرآن المجيد جعله صفة من صـفات الله — عز وجل[1] .

---

(١) انظر : موسوعة اخلاق القرآن — احمـد الشرباصى : جـ ١ ص ٣٤

والعفو والصفح عن عثرات المسلم من الصفات الحميدة التى جاء بها ديننا الاســلامى الحنيف ، والعافون عن الناس جزاؤهم عنــد الله تعالى جنة عرضها السموات والأرض .

يشير الى ذلك قول الله تعالى : ﴿ **وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين** ﴾(1).

ان الأخلاق الكريمة فى مثالية الاسلام . قال ابن عباس رضى الله عنهما ورد علينا الوليد بن عتبة بن أبى ســفيان المدينة واليا وكان وجهه ورقة من ورق المصحف فوالله ما ترك فينا فقيرا الا أغناه ولا مديونا الا أدى عنه دينه وكان ينظر الينــا بعين أرق من المــاء ويكلمنا بكلام أحلى من الجنى ولقد شهدت منه مشهدا لو كان من معاوية لذكرته ، تغدينا يوما عنده فأقبل الفراش بصحفة فعثر فى وسادة فوقعت الصحفة من يده فوالله ما ردها الا ذقن الوليد وانكب جميع ما فيها فى حجره فبقى الغلام متمثلا واقفا وما معه من روحه الا ما يقيم رجليه فقام الوليد فدخل فغير ثيابه وأقبــل علينا تبرق أســارير جبهته فأقبل على الفراش وقال يا بائس ما أرانا الا روعناك اذهب فأنت وأولادك أحرار لوجه الله تعالى .

ومرض أحمد بن أبى داود فعاده المعتصم وقال نذرت ان عفاك الله تعالى أن أتصــدق بعشرة آلاف دينار فقال له أحمد يا أمير المؤمنين فاجعلها فى أهل الحرمين فقد لقوا من غلاء الأسعار شــدة . فقال نويت أن أتصدق بها على من ههنا وأطلق لأهل الحرمين مثلها فقال أحمد متع الله الاســلام وأهله بك يا أمير المؤمنين فانك كما قال النميرى لأبيك الرشيد رحمة الله تعالى عليه :

---

(1) آل عمران : ١٣٣ ــ ١٣٤

ان المكارم والمعـارف أودية     أحلك الله منها حيث تجتمع
من لم يكن بأمين الله معتصما     فليس بالصلوات الخمس ينتفع[1]

وروى أن على بن أبى طالب كرم الله وجهه دعا غلاما فلم يجبه فدعاه ثانيـا وثالثـا فرآه مضـطجعا فقال اما تسـمع يا غلام قال نعم قال فما حملك على ترك جوابى قال : آمنت عقوبتك فتكاسلت فقال اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى •

وما زال السـلف الصالح يحرصون على الأخلاق الكريمة ويبارون فيها عملا بأخلاق الرسول وتوجيهاته الكريمة •

واذا كان الرسول الأعظم محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ هو المثل الأعلى لكل مسلم ، فان أخلاقه كذلك هى القدوة السامية التى لا تشبهها قدوة فى مكارم الأخلاق وفضائل الشـيم ، ولقد سئلت السيدة عائشة ــ رضى الله عنها ــ عن أخلاقه ، فأجابت كان خلقه القرآن • والقرآن يطلب الى الرسول الكريم أن يستمسك بخلق العفو ، فيقول فى سورة آل عمران:
﴿ فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر ﴾(٢) •

ويقول فى سـورة المـائدة : ﴿ فاعف عنهم واصفح ، ان الله يحب المحسنين ﴾(٣) •

ويقول فى سـورة الأعراف : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين ﴾(٤) •
واذا كان بعض المفسرين قد فسر قوله تعالى : « خـذ العفو » ، بقوله : أقبل السهل الميسور منهم ، فان كثيرا من المفسرين قد قالوا ان معنى ذلك هو تعاطى العفو عن الناس ، أى أعف عمن يليق به العفو منهم •

---

(١) انظر : كلمات من نور ــ ثانى المنصور ــ الرياض : مكتبة الرياض الحديثة ، ١٣٩٣ هـ ، ص ٢٦٨
(٢) آل عمران : ١٥٩     (٣) المـائدة : ١٣
(٤) الأعراف : ١٩٩

ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أروع المثل فى الحلم والصفح حتى رووا أنه كان أحلم الناس وأرغبهم فى العفو مع القدرة .

ولقد جاء فى سيرته العاطرة أنه كان يقسم للناس ذات يوم ، فقال رجل من أهل البادية فيه فظاظة : يا محمد ، والله لئن أمرك الله أن تعدل ، فما أراك تعدل ، فأجاب النبى ويحك فمن يعدل عليك بعدى ؟ وانصرف الرجل ، فقال الرسول فى عفو رائع : ردوه على رويدا .

وفى تاريخ عفو الرسول صلى الله عليه وسلم موقف لا ينسى ولا يبلى ، فذلك يوم فتح الله عليه مكة ، وانتصر على أعدائه الذين آذوه واضطهدوه وأخرجوه ، فانه قال لهم ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ فأجابوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم فقال اذهبوا فأنتم الطلقاء .

ولم يكتف القرآن الكريم بتعطير سيرة العفو فيه ، ولا بطلبه من الرسول ليكون قدوة ، بل طلبه أيضا من العباد ، فقال تعالى فى سورة النور : ﴿ **وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم** ﴾ .

هذا ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العفو : « ما زاد الله رجلا بعفو الا عزا » .

وتابع ابن عباس خطوات الرسول فقال : « ما عفا رجل عن مظلمة الا زاده الله عزا » .

ومن القول المنسوب الى معاوية : « انى لأستحيى من ربى أن يكون ذنب أعظم من عفوى ، أو جهل أكبر من حلمى ، أو عورة لا أوريها بسترى »[1] .

وتظهر لنا قيمة أخذ العفو اذا عرضناه فى الصورة التمثيلية التالية :

أقام أحد المربين ساحة للامتحان الأخلاقى ، وأخبر فريقا من

---

(١) انظر : موسوعة أخلاق القرآن ـ احمد الشرباصى ، جـ ١ ، ص ٣٤ ( بتصرف ) .

تلامذته بأنه سيدفع بهم الى هذه الساحة ، وأنهم سيتعرضون فيها لمن يؤذيهم ، وأنهم سيجدون أنفسهم فى مواجهة هؤلاء المؤذين أمام احتمالات يحملونها .

ففى وسط الساحة وعلى القرب منهم باب يقال له : باب العفو ، اذا دخلوا منه خلصوا من احتمال مضاعفة الأذى ، وحموا أنفسهم ووجدوا وراء هذا الباب مكانا رحبا ، وقصرا منيفا ، وحدائق وارفات الظلال ، ثم يأتى اليهم خدم فيقدمون لهم ما يريدون من مال ونعيم ، ويقولون لهم : هـذا عندنا ثواب من دخل باب العفو ، اذا كان من العافين عن الناس .

وفى أقصى الساحة باب يقال له : باب الانتقام بالعدل ، فمن أراد أن ينتقم لنفسه ممن آذاه فانه سيجد نفسه مضطرا الى مطاردة من آذاه ، حتى يلهث من شدة العدو ، ويبذل جهدا فى المطاردة ، وأخيرا يسبقه من آذاه فيدخل فى باب الانتقام بالعدل ، فيلاحقه الرجل فيدخل وراءه فيجد نفسه فى ساحة العدل وعندئذ قد يتمكن من مقابلته بالمثل ، وربما كان المعتدى صاحب شر فيقاوم ، وتشتد المعركة ، وقد لا يظفر فى هذه المعركة صاحب الحق ، فلا يستطيع أن ينتقم لنفسه ، فان ظفر وانتقم لنفسه وانتهى الأمر ، نظر فى ساحة العدل فلم يجد شيئا يأخذه ، فرجع من حيث آتى جاهدا تعبا ، لا يحمل ربحا ، ولم يصب متعة ولا مالا .

وفى أقصى ساحة العدل أبواب يخرج منها المعتدون والمنتقمون بالعدل ، فمن لاحق من المنتقمين خصمه من واحد منها ليسرف فى الانتقام أكثر من حقه انزلق فى وادى الظلم ، فأصابه فيه على مقدار ظلمه تهشيم وبلاء ، ثم يخرج وهو يحمل أوزاره ، وقد عرض نفسه لينتقم منه بمقدار ما زاد على حقه .

وقد أجرى المربى الأخلاقى اختباره على أتقن وجه . فكان من دخل باب العفو من المنعمين المكرمين المحظوظين بالعطاء السخى . وكان من دخل باب الانتقام بالعدل ولم يتجاوز حدود ساحة العدل

محروما من العطاء والتنعيم والتكريم ، ورجع بعد خسـارة الجهد بخفى حنين . وكان من تجاوز سـاحة العدل الى وادى الظلم محروما من العطاء ومن راحة النفس ، ورجع يحمل أوزاره مطلوبا بعد أن كان طالبا .

فأى الثلاثة هو الأخذ الرابح ؟ انه من أخذ العفو ، فما أروع قول الله تعالى : ﴿ **خذ العفو** ﴾ .

● **فضـل العفو :**

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما نقصت صدقة من مال . وما زاد الله عبـدا بعفو الا عزا ، وما تواضع أحد لله الا رفعه الله عز وجل » .

وعن « عبادة بن الصامت » رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « ألا أدلكم على ما يرفع الله به الدرجات ؟ قالوا : نعم يا رسـول الله ، وقال تحلم على من جهل عليك ، وتعفوا عمن ظلمك ، وتعطى من حرمك ، وتصل من قطعك » .

المعنى : أنه لأسلوب رائع من أسـاليب التربية الذى كان يستعمله النبى عليه الصـلاة والسلام مع صحابته رضوان الله عليهم أجمعين ، حيث كان ينوع فى أسـاليبه حسبما يقتضى المقام . فكان تارة يستعمل أسلوب الاغراء ، وأحيانا أسلوب النهى ، وتارة أسـلوب الاستفهام ، وهكذا كان ينوع فى أسـاليبه المشوقة البليغة حتى ربى أعظم جيـل عرفه التاريخ على الاطلاق[1] .

والعفو فضيلة من الفضـائل التى يجب أن يتحلى بها الرجل لأنها علامة من علامات الرجولة والرجل المسـلم الكيس الفطن اذا أخطأ معه أى انسان يصفح ويعفو عنه لأن أفضـل العفو هو العفو عنـد المقدرة ، والعفو جزاؤه جنة عرضها السموات والأرض .

وان العفو خلق من أخلاق القرآن ، فليحرص عليه أبناء القرآن ليسـتحقوا عفو الرحمن .

***

---

(1) انظر : الفضائل فى ضوء الكتاب والسنة ــ محمـد سـالم محسن ــ الاسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة ، ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م) . ص ٢٢٣ ( بتصرف ) .

# المبحث السادس

## المودة

المودة من الود ، وهو محبة الشيء وتمنى كونه ، والتمنى يتضمن معنى الود لأن التمنى هو تشهى الانسان حصول ما يوده • ويقال : ود فلان الشيء : أى أحبه وهويه وتمنى وقوعه • وواد فلان فلانا : أى أحبه ومال اليه وألفه •

ومن أسماء الله الحسنى اسم « الودود » وهو على وزن فعول بمعنى مفعول ، فهو مودود ، أى محبوب فى قلوب أوليائه ، ويجوز أن يكون على وزن فعول بمعنى فاعل ، أى أنه يحب عباده الصالحين ، بمعنى أنه يرضى عنهم •

وفى سورة هود يقول الحق جل جلاله : ﴿ **واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ، ان ربى رحيم ودود** ﴾(1) •

أى يضاعف الاحسان والأنعام لأوليائه ، ويغمرهم برضائه ، وكأن مودة الله تبارك وتعالى ينبغى أن يقابلها استغفار العبد من سالف الذنوب ، والتوبة الى الله فيما يستقبل من الأعمال السيئة ، فالله ودود لمن استغفر وتاب •

وفى سورة البروج : ﴿ **وهو الغفور الودود** ﴾(2) •

أى المحب لعباده الصالحين ، كما يود أحدكم أخاه بالبشرى والمحبة • أو الذى يوده هؤلاء العباد ويحبونه •

﴿ **رضى الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك لمن خشى ربه** ﴾(3) •

---

(1) هود : ٩٠ (2) البروج : ١٤
(3) البينة : ٨

وقد ذكر الرازى لكلمة « الودود » عدة أقوال : أولها المحب ، وثانيها المتودد الى أوليائه بالمغفرة والثواب ، وثالثها أنه محبوب من عباده الصالحين ، لما عرفوا من كمال فى ذاته وصفاته وأفعاله ، ورابعها أن الودود هو الحليم •

ونفهم من حديث القرآن الكريم أن المودة الطاهرة خلق من أخلاق القرآن وفضيلة من فضائل الاسلام • وهاهو ذا التنزيل المجيد يخبرنا أن هذه الفضيلة نعمة من الله على الأخيار من خلقه ، فهو يقول فى سورة مريم : ﴿ **ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا** ﴾(1) •

أى سيرزقهم محبة فى القلوب ، وذلك بشارة بسعة الاسلام وبسط سلطانه ، ومحق المنافقين الذين يضمرون البغض للمؤمنين ، أو أن ذلك يكون يوم القيامة ، اذ يتآلف المؤمنون ، ولا يكون فى قلوبهم غل •

وقيل ان المراد بالود هنا هو مراعاة الله لهم ، ويروى الأصفهانى أن الله تعالى قال لنبيه موسى عليه السلام : « انى لا أغفل عن الصغير لصغره ، ولا عن الكبير لكبره ، وأنا الودود الشكور » •

ولكن المعنى الأول أوضح ، لأن الله تعالى يغرس لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات محبة ومودة فى قلوب عباده الصالحين ، بدليل قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان الله اذا أحب عبدا دعا جبريل فقال : يا جبريل انى أحب فلانا فأحبه ، فيحبه جبريل ، ثم ينادى فى أهل السماء : ان الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول فى الأرض • وان الله اذا أبغض عبدا دعا جبريل فقال له : يا جبريل ، انى أبغض فلانا فأبغضه ، فيبغضه جبريل ، ثم ينادى فى أهل السماء : ان الله يبغض فلانا فأبغضوه ، فيبغضه أهل السماء ، ثم يوضع له البغضاء فى الأرض » •

---

(1) مريم : ٩٦

ويقول القرآن فى سورة الروم : ﴿ **ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾(١) .

ـ أى خلق لكم من جنسكم اناثا يكن لكم زوجات لتسكنوا اليهن ، وتجدوا لديهن الأمان والاطمئنان والائتلاف ، وجعل بينكم وبينهن محبة ورأفة .

والمودة بين المسلمين أمر واجب ، لأن الله جل جلاله يقول : ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض** ﴾(٢) .

والمودة التى يباركها القرآن المجيد يجب أن تكون على طهارة واخلاص والا كانت نفاقا ومراءاة ، ولذلك يقول القرآن فى سورة القلم : ﴿ **فلا تطع المكذبين . ودوا لو تدهن فيدهنون** ﴾(٣) .

فهم من نفاقهم تمنوا لو تلين فيلينون لك ، أو ودوا لو ركنت اليهم وتركت الحق فيمالئونك ، أو ودوا لو تصانعهم فى دينك فيصانعوك فى دينهم .

ومن هنا تنشأ المودة الحقيقية الصادقة من القلب ومن أعماق الانسان ولقد تتباعد الأشباح ويتواد مع ذلك الأرواح ، والرسول عليه الصلاة والسلام يشير الى ذلك حين يقول : « الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » .

وشوقى يقول :

فإن القرب بالروح     وليس القرب بالجسم

وكتب صديق الى صديقه يقول له : « انى صادقت منك جوهر نفسى ، فأنا غير محمود على الانقياد لك بغير زمام ، لأن النفس تتبع بعضها بعضا » .

---

(١) الروم : ٢١     (٢) التوبة : ٧١
(٣) القلم : ٨ ـ ٩

ويقول القرآن الحكيم فى سورة آل عمران : « **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء الا أن تتقوا منهم تقاة ، ويحذركم الله نفسه ، والى الله المصير** »(١) .

— لا ينبغى للمؤمنين أن يتخذوا الكافرين أولياء أصحاب مودة لهم ، أو أن يستعينوا بهم أو يلتجئوا اليهم ، ويجب أن تكون المودة والموالاة مع المؤمنين ، الا أن يكون الكفار غالبين والمؤمنين مغلوبين فيحار المؤمن ان لم يظهر موافقتهم ولم يحسن العشرة معهم ، فعنــد ذلك يجوز له اظهار موافقتهم بلســانه ومداراتهم تقيه منهم ودفعا عن نفســه ، من غير أن يعتقد ذلك .

— ولقد ورد ذكر المودة فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففى صحيح البخارى جاء قول الرســول : « **ان أمن الناس على فى** صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذا خليــلا من أمتى لأتخــذت أبا بكر ، ولكن أخوة الاسلام ومودته »(٢) .

وانما لم يتخذ النبى صلى الله عليه وسلم أبا بكر خليلا لأنه خلته أى محبته التى تتخلل القلب فتصير فى باطنه — كانت مقصورة على حب الله تعالى ، فليس فيها لغيره متســع ولا شركة ، وهذه حال شريفــة لا ينالها أحــد بكسب أو اجتهاد ، وانما يخص الله بها من يشاء من عباده ، مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وينوه النبى صلى الله عليه وسلم بالمودة التى ينبغى أن يقوم بها الولد نحو من كان يودهم أبوه فيقول : « **ان من أبر البر صــلة الولد** أهل ود أبيــه » .

كما يشير الى المودة الطيبة التى تنشــأ بين الزوج وزوجته حين يقول : « **تزوجوا الودود الولود** »(٣) .

---

(١) آل عمران : ٢٨ (٢) رواه البخارى .
(٣) رواه البخارى ومسلم .

ويتحدث أبو الحسين النووى عن أعلى أنواع المودة وهى محبة الله جل جلاله فيقول : « من وصل الى وده أنس بقربة ، ومن توسل بالوداد فقد اصطفاه من بين العباد »[1] .

ويشير هرم بن حيان الى حب الله تعالى هو الطريق الى استقامة المحبة مع الناس فيقول : « ما أقبل عبد بقلبه الى الله الا أقبل الله بقلوب المؤمنين اليه ، حتى يرزقه مودتهم ومحبتهم »[2] .

والمودة علامة بارزة من علامات الرجولة فى الاسلام ولكى يكون المسلم رجلا بمعنى الكلمة لابد أن تكون المودة سمة أساسية فى أخلاقه ويحب الناس ، فالناس يمثلون أهم عنصر فى هذه الحياة ، وبغير اهتمام منك باقامة علاقات معهم على أساس من الود والتفاهم فانك فى الحقيقة تفقد الشيء الكثير . فالانسان لا يمكن أن يعيش وحيدا ويكون سعيدا فى هذه الحياة . وكل فرد فى حاجة الى الشعور بالانتماء للجماعة التى يعيش فيها ، ويكره أن يكون منبوذاً ومنعزلا عن هذه الجماعة ، وكل فرد فى حاجة الى التقدير .

والواقع أن الشخص يمكنه أن يزيد من محبة الناس له اذا كان ودودا ويتيح الفرصة للأفراد الذين يتقابل معهم فى أن يتحدثوا عن أنفسهم وعن أهمية الأعمال التى يقومون بها .

اللهم هبنا حبك وحب من يحبك فانك أنت الودود الرحيم .

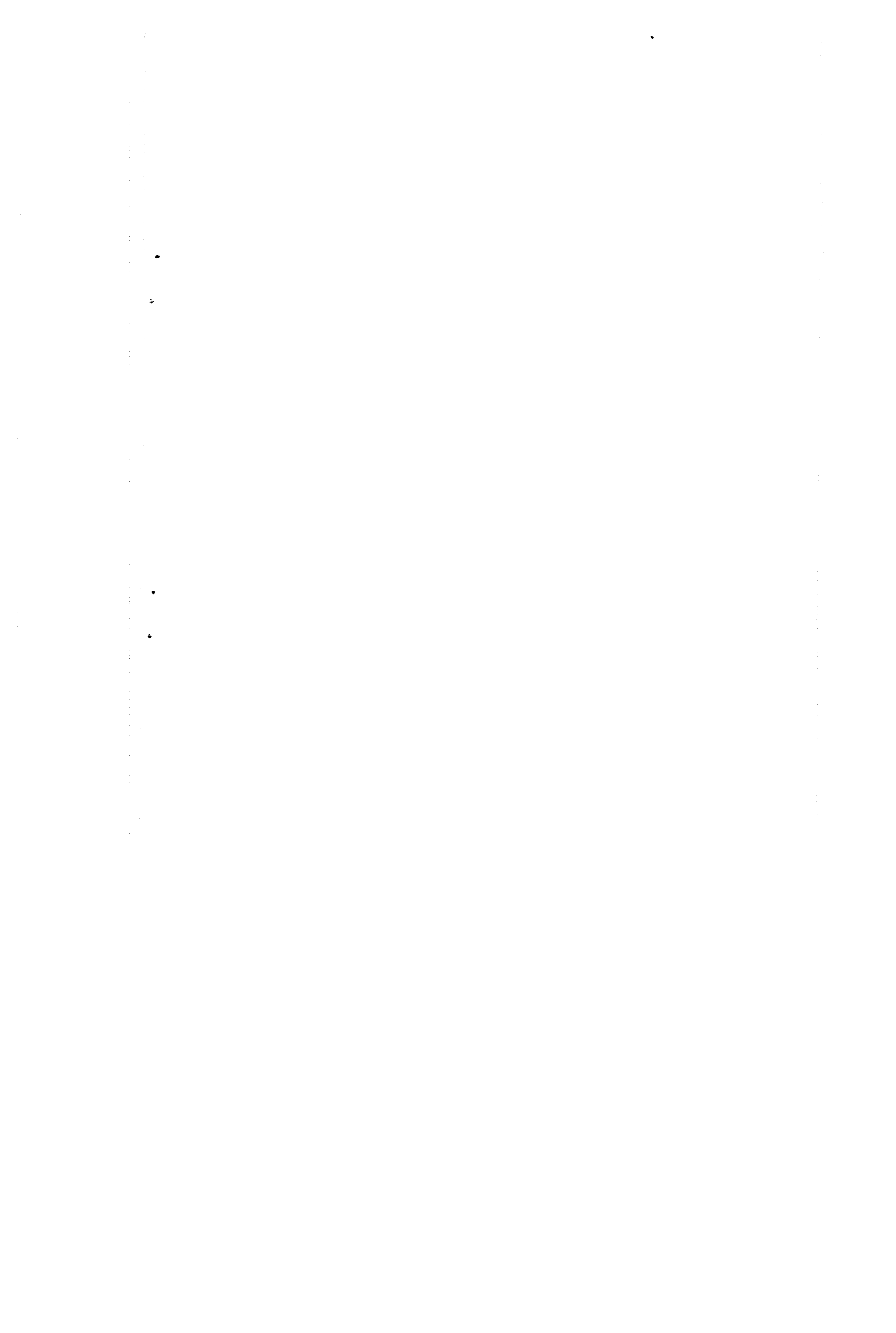
*** 

(١) رواه الامام احمد فى مسنده .
(٢) انظر : موسوعة اخلاق القرآن ــ احمد الشرباصى ، جـ ٤ ص ١٣٤ وما بعدها ( بتصرف ) .

# الفصل الثالث

**العفـــة**

- **السـخاء .**
- **الحيـاء .**
- **الصبر .**
- **التسامح .**
- **القناعة .**
- **الورع .**



# الفصل الثالث

## العفــة

● **تعريف العفــة :**

العفــة هي ضــبط النفس عن الشــهوات وقسرها على الاكتفاء بما يقيم أود الجســد ويحفظ عليــه صحته فقط واجتنــاب السرف والتقصير ، في جميع اللذات ، وقصد الاعتدال وأن يكون ما تقتصر عليه من الشهوات على الوجه المستحب المتفق على ارتضــائه وفي أوقات الحاجة التي لا غنى عنها ، وعلى القدر الذي لا يحتاج الى أكثر منــه ولا يحرم النفس والقوة أقل منه وهذه الحال هي غاية العفة[1] .

والعفة أصــل لكثير من الفضائل الهامة كالصبر والقناعة والصدق والحلم والســخاء والعدل في الأخذ والعطاء ومن حرم العفة لم تقم له واحدة من هذه الفضــائل . فان من يفقد العفة يصبح كالخنزير النهم لا يصبر عن شــهوة ولا يثبت على صحن الأيام ولا يقنعه قليل ولا كثير ولا يمســك لســانه عن باطــل ولا يتورع عن الولوغ في الأعراض ولا يســتطيع أن يتخلص من تعطش نفســه الى الانتقام مما انحطب الوســائل اليه ، كما لا يستطيع أن يســخو عند نداء صوت الواجب فيجود بما يقدر عليه ولا أن يعدل في معاملته بل يتمنى لو عاد كل نفع اليه ، واجتمع كل خير لديه ، العفيف يعطى الكثير ان وجد ويكتفى بالقليل ان فقد ، ويجازى عن الصنيعة ان استطاع بمثلها أو خير منها بالشكر حين يعجز عنها[2] .

والعفة هي كف النفس عن المحارم وعما لا يحمل بالانسان فعله . ومنها : العفــة عن اقتراف الشهوة المحرمة ، وعن أكل المــال الحرام ، وعن ممارســة ما لا يليق بالانســان أن يفعله مما لا يتناسب مع مكانته

---

(١) انظر : الأخلاق ــ الجاحظ .

(٢) انظر : الأخــلاق في الاســلام والفلســفة القديمة ــ أســعد السحمرأني ، ص ١٠٢ .

الاجتماعيـة ، ومما يراه الناس من الدناءات ، كالجشـع فى الولائم والتســابق على أطايب الطعام ، وكالجشع فى التجارة ومزاحمة صغار الكسـبة فى مجالاتهم الحقيرة قليـلة الموارد والأرباح ، وكالتعرض لمحقرات المنافع عن طريق التطفل أو ما يشـبه التطفل الى غير ذلك من أمور كثيرة .

ويأتى فى مقابل العفة الدناءة والخسـة فى كثير من صورها . والعفة من مكارم الأخلاق ، والدناءة والخسة وكل ما ينافى العفة من رذائل الأخلاق[1] .

وربما وجد من لا يفرقون بين العفة والقنـاعة لتقارب مدلوليهما ولكثرة ما يقع فى أسـاليب اللغة من التسامح ، ولكن الفرق بين العفة والقناعة فى لسان علم الأخلاق ظاهر بين ، اذ العفة تقتضى ضبط النفس عن جميع الشـهوات وعن كل ما لا يليق بانسـان فاضل ، فالعفيف تنهاه عفته عن التعرض للمحارم ما دق منها وما جل وعن الخوض فى الأعراض وعن مجاراة السـفهاء ، وعن كل ما يمس الكرامة ، وعن مد العين الى ما متع الله به بعض عباده من زهرة الحياة الدنيـا ، فالعفة قناعة وزيادة .

أما القنـاعة التى هى الاكتفاء باليسير من مطالب البدن ، فقـد توجد حيث لا توجـد العفة ، فقد يقال على رجل أنه قانع لأنه يكتفى بأقل مطالب البدن ، ولكن لا يقال عليه أنه عفيف لأنه لا يعف عن الكذب والغيبة والنميمة وأمثالها مما يعف عنه الكرام .

ويرى فريق آخر أن العفة فضيلة ذاتية لا تتغير بتغير الأحـوال والأشخاص أما القناعة فنسبية ، فان ما يقنع به صغار الناس وأوساطهم لا تعد القناعة به فضيلة عند غيرهم . كذلك ما يعد قنـاعة اليوم قد لا يحسن الاقتناع به غدا أو بالعكس[2] .

---

(1) انظر : الاخلاق الاسلامية وأسسها ــ عبد الرحمن الميدانى ، جـ ٢ ، ص ٥٦١ .

(2) الاخلاق فى الاسلام ــ أسعد السحمرانى ، ص ١٠٣

والعفة بالنسبة لجميع الأشخاص والأحوال اما أن يقال هذا الشخص عفيف أو غير عفيف .

والعفة لا تكون الا اذا وجد الدافع النفسى الى ما ينافيها ، فاذا لم يكن فى النفس دافع الى ما ينافى العفة ، أو لم يوجد ما يثير الدافع لم يكن للعفة وجود أصلا .

فأى معنى لعفة من لا ارب له ، أو لعفة معتزل فى صومعة لا يتعرض الى أى مثير ؟ انها عفة المحروم ، أو عفة عاجز لم يتعرض لامتحان .

ولما كانت عفة يوسف عليه السلام عفة مستوفية كل شروطها وأركانها كانت ما أعظم أمثلة العفة فى تاريخ الانسان . ففى يوسف الرجولة والشباب والدافع القوى ، وفى امرأة العزيز الاثارة بكل قواها ، جمال ومنصب ، واغراء كامل ، ودعوة ملتهبة ، وخلوة تامة ، وتهديد ان لم يستجب . ومع استيفاء كل هذه العوامل القوية تبرز فضيلة العفة فى يوسف عليه السلام ، فيضبط نفسه بصبر منقطع النظير ، ويقاوم الدوافع والمغريات باصرار وعزيمة قوية ترفعا عن الخيانة ، وطلبا لمرضاة الله ، وينتصر خلقه العظيم فى معركة الدوافع والمغريات والتهديدات .

وقد عرض القرآن قصة يوسف مع امرأة العزيز أروع عرض يبرز الساحة النفسية عند يوسف ، وساحة الاثارة بكل ملابساتها ، وقوة الضبط الخلقى الذى جعل يوسف عليه السلام يكف عما لا يحل له ، ويعطى أروع أمثلة العفة .

فقال تعالى فى سورة ( يوسف ) :

**﴿ وراودته التى هى فى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك ، قال معاذ الله ، انه ربى أحسن مثواى ، انه لا يفلح الظالمون . ولقد همت به ، وهم بها ، لولا أن رأى برهان ربه ، كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ، انه من عبادنا المخلصين . واستبقا الباب وقدت قميصه من**

**دبر والفيا سيدها لدا الباب ، قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا الا أن يسجن أو عذاب أليم ﴾ .**

وهكذا كانت عفة يوسف عليه السـلام مستوفية لكامل شروطها وأركانها ، وبذلك نال مجد هـذا الخلق العظيم[1] .

قال تعالى :

**﴿ ولا تقربوا الزنا ، أنه كان فاحشة وساء سبيلا ﴾(٢) .**

وقال : **﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم ، ان الله خبـير بمـا يصنعون . وقل للمؤمنـات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ...﴾(٣).**

وقال : **﴿ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضـله ﴾(٤) .**

من هـذا نفهم أن العفة الاسـلامية تطالب المسلم بتجنب الزنا والفاحشة ، وبحفظ فرجه ، وغض بصره عن النظرة الحرام . والفاحشة هى كل اتصـال جنسى بين الرجل والمرأة بغير الطريق الشرعى ، وهو الزواج ، وهى أيضا كل اتصـال جنسى بين الرجل والرجل والمرأة والمرأة بأى طريق كان . فالاسـلام يحرم المثلية تحريما مطلقا .

وحفظ الفرج يشمل أيضا تجنب اتيان الزوجة فى الدبر ، وفى أثناء الحيض ، وفى أثناء الصـيام والاحرام ، ولهذا أمر القرآن المسـلمين والمسلمات بغض الأبصار وعدم ابداء الزينة ، فذلك أزكى لهن وأطهر .

ويقول النبى صلى الله عليه وسلم : « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصـوم فانه له وجاء » .

---

(١) الأخلاق الاسلامية وأسسها / عبد الرحمن الميدانى ، جـ ٢ : ص ٢٤٥ .
(٢) الاسراء : ٣٢
(٣) النور : ٣٠ ، ٣١
(٤) النور : ٣٣

وفى القــرآن الكــريم اذن بوطء الرجل امرأته فى أى وقت ؛ قال تعــالى : ﴿ **نســاؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شــئتم** ﴾(١) • قال الرازى رحمــه الله ان هــذه الآية تعنى : أى وقت شــئتم من أوقات الحل ؛ يعنى اذا لم تكن أجنبيــة ، أو محرمة ، أو صــائمة ، أو حائضا (٢) •

وهــذا الاذن ينفى الاثم أو الكراهة عن كثرة الوطء ، أو ما يسميه البعض بالشره مسايرة لنظريات غير اسلامية • ولا يمكن ادانة المسلم الذى يكثر وطء زوجته أو نفى العفة عنه(٣) •

ولكى يمكن الاســلام من الممارسة الفعلية لم يجعل الزواج أبديا كالمســيحية مثلا • فأباح الطلاق اذا وقع النفور بين الزوجين ، وعند عجز الزوج أو مرضــه أو اعساره أو غيبته ؛ وأباح للزوج الطــلاق ، والتزوج بأكثر من واحدة على أن يعدل بينهن ، وبهذا فتحت الشريعة للمحصن كل أبواب الحلال وأغلقت دونه باب الحرام • وفضــلا عن هــذا فان المجتمع الاســلامى الحقيقى يخالف المجتمعات القائمة جذريا لصالح العفة ، فنظمه وقوانينه تعاون الرجال والنساء على التعفف •

بعد كل هــذه الكفالات للعفة يصبح من المنطقى ايقاع عقــوبة رادعة بالزناة ، وخاصة المحصنين منهم ، وهــذا هو بالتدقيق ما تفعله الشريعة الاســلامية بهم • فالمحصن يرجم حتى الموت ، وغير المحصن يجلد مائة جلدة • يقول عز وجل : ﴿ **الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ...** ﴾(٤) •

فالزنا اعتداء فاحش على الآخرين ، وليس مجرد رذيلة ، ولهذا شدد الاســلام أيضا على القذف ، أو الاتهام الباطل بالزنا ، فجعل عقــوبة

---

(١) البقرة : ٢٢٣

(٢) انظر : التفســير الكبير / الرازى — طهران : دار الكتب العلمية ط ٢ ، ج ٧٣/٦

(٣) مختصر منهاج القاصدين : ص ٣٤٢

(٤) النور : ٢

القذف ثمانين جلدة : « **والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا ، واولئك هم الفاسقون** »(1) .

فالزوج حين يزنى ينكث عهدا ، هو الذى يتضمنه عقد الزواج . وهو عهد خطير لأن موضوعه العرض ، لا المال أو أى عرض آخر محدود القيمة . والزنا طعنة فى الظهر تقترف خفية وتسفر عن انتقال الملك بغير حق ، تماما مثل السرقة والخيانة ، لأن ابن السفاح يرث غير أبيه(2) .

وان عفة رب الأسرة عن المحارم لتكون أبلغ درس فى العفة يلقنه لزوجته وأبنائه ، وتهاونه فى ذلك يجر الى فساد بيته وضياع شرفه ولذلك كانت الحكمة الشريفة «عفوا تعف نساؤكم» ، وانه ليندر جدا أن ترى فاجرا من بيت عفيف أو عفيفا من بيت فاجر ، وان وجد ذلك — على ندرته — فلابد أن يكون ذلك من تأثير بيئة أخرى غير بيئة المنزل التى هى المزرعة الأولى لبذور الأخلاق والعادات .

وهذا ، وأولى الناس بالعفة والحرص على التحلى بفضيلتها انما هم العلماء والعظماء لأنهم قدوة الدنيا وأئمة الهدى ، أقوالهم مأثورة وأفعالهم منظورة ، وهفواتهم عظائم ، وزلتهم أكبر الجرائم . فعليهم أن يعرفوا أقدار أنفسهم ، ويقدروا لها موضعها من الكرامة(3) .

* * *

---

(1) النور : ٤

(2) أنظر : الفضائل الخلقية فى الاسلام / احمد عبد الرحمن أبراهيم . — الرياض . — دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢م ص ٢٤٣ ( وما بعدها بتصرف ) .

(3) أنظر : الأخلاق فى الاسلام / اسعد السحمرانى ، ص ١٠٦

# المبحث الأول

## السـخاء

● **تعريف السـخاء :**

هو الجود بما لدى الانسان على الناس • ويتميز من المحبة والاحسان ، كما يتميز من النزاهة •

والسخاء فهو حيوية • والكريم الأصل يعطى ما عنده ، لا ما ليس عنده ، وعنده الكثير • صحيح أنه يستطيع أن يحتفظ بما عنده أو على الأقل يقرضه • أو يبادل به شيئا آخر ، أو يبيعه ، أو يؤجره تبعا لقواعد العدالة التعويضية •

لكن السخى يعطى ما عنده ولا يطالب بدفع أى مقابل • « مائة فى مقابل واحد • والسنبلة فى مقابل حبة والشجرة فى مقابل بذرة • الأن هذا هو عدل الله معنا ، ومقياسه الينا ، الذى يجازينا به ••• إن محبة الأب لا تنشد أى مقابل ، ولا حاجة بالولد الى أن يكسبه أو يستحقه »[1] •

والصوفية المسلمون قد خاضوا كثيرا فى هذا الباب • فميزوا أولا بين السخاء ، والجود ، والايثار • فالسخاء هو المرتبة الأولى ثم الجود بعده ، ثم الايثار : « فمن أعطى البعض ، وأبقى البعض فهو صاحب سخاء ، ومن بذل الأكثر ، وأبقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود • والذى قاس الضرر وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار »[2] •

وقالوا ان الجود اجابة الخاطر الأول ، أى المبادرة للعطاء قبل

---

(١) انظر : بحث فى الفضائل / ف . جنكليفتش جـ ٢ : ٩٨٢ .
وايضا الأخلاق النظرية / عبد الرحمن بدوى ص ٢١٨ . ( بتصرف ) .

(٢) انظر : الرسالة القشيرية : ص ١٢٣ ـ القاهرة سنة ١٩٥٩

التفكير ، حتى لا يتغير فيما عزم عليه ان فكر وقدر . ولا يجوزون أخذ المقابل أو الثمن عن الاضافة والقرى ويتمثلون بقول الشاعر :

واذا أخذت ثواب ما أعطيته ... فكفى بذاك لنائل تكديرا

ولهم حكايات كثيرة جدا شواهد على سخائهم وجودهم بكل ما يملكون ، فراجعها فى كتب الصوفية فى باب « الجود والسخاء » . وسخاؤهم اذن من النوع الثانى ، أى المختلط بالمحبة ، والذى يجود حتى بما يكون المرء فى مسيس الحاجة اليه[1] .

وينبغى أن نعرف أنه اذا كان المال مفقودا فان حال العبد ينبغى أن يكون القناعة وقلة الحرص ، وان كان موجودا فينبغى أن يكون حاله الايثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل فان السخاء من أخلاق الأنبياء عليهم السلام وهو أصل من أصول النجاة .

قال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل عليه السلام قال الله تعالى : « ان هذا دين ارتضيته لنفسى ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فأكرموه بهما ما استطعتم ، وفى رواية فاكرموه بهما صحبتموه » .

وروى البيهقى فى الزهد أنه سئل صلى الله عليه وسلم أى الأعمال أفضل قال : « الصبر والسماحة وحسن الخلق » .

وقال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خلقان يحبهما الله عز وجل ، وخلقان يبغضهما الله عز وجل ، فأما اللذان يحبهما الله تعالى ، فحسن الخلق والسخاء ، وأما اللذان يبغضهما الله . فسوء الخلق والبخل ، واذا أراد الله بعبد خيرا استعمله فى قضاء حوائج الناس » .

وقال ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم : « ان لله عبادا يختصهم

---

(1) انظر : الأخلاق النظرية / عبد الرحمن بدوى . ـ الكويت : وكالة المطبوعات ، ١٩٧٥ م ص ٢١٨ ( بتصرف ) .

بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع على العباد نقلها الله عنه وحولها الى غـيره » •

وقال صلى الله عليه وسلم : « اصنع المعروف الى من هو أهله ، والى من ليس بأهله ، فان أصبت أهله فقد أصبت أهله ، وان لم تصب أهله فأنت من أهله »[1] •

ومن الأسس العامة التى ترجع اليها مجموعة من الفروع والظواهر والمفردات الخلقية المحمودة ، خلق حب العطاء • ولهـذا الخلق آثار اجتماعية كريمة وعظيمة وهو عنصر من عناصر علو الفطرة وسمو الطبع ، وارتقاء الانسانية ، ورجاحة العقل •

ويأتى فى مقابل هـذا الأساس ضيق النفس ، وشعورها بالأنانية المفرطة التى ينجم عنها البخل والشح وكراهية العطاء ، والرغبة بالاستئثار بكل شيء ، والرغبة بالتسلط على كل شيء ، وقبض النفس واليد عن البذل والانفاق على الغير ، من مال أو جاه أو علم أو غير ذلك • ولهذا الخلق المقابل آثار اجتماعية سـيئة جدا وهو عنصر من عناصر هبوط الفطرة ، ودناءة الطبع ، ونقص الانسانية والحرمان من رجاحة العقل •

ان أعظم درجات السخاء والعطـاء الذى لا حـدود له ، والذى لا يكون ابتغاء عوض ، وهو من صفات الخالق جل وعلا ، ومن أخلاقه سبحانه • ولذلك جاء فى أسماء الله الحسنى : الوهاب ، والرزاق ، والكـريم •

وعطاء الله سبحانه وتعالى فيض لا ينقطع ولا ينتهى ، وهو فى كل الأحـوال مرتبط بعلمه وحكمته ، فهو يعطى خلقه وفق مشـيئته التى تقتضيها حكمته ، دون أن يكون له غاية من عطائه سبحانه أى عوض يرجوه من خلقه ، وأما عبادة عباده له فهى لخيرهم وسعادتهم ، ولترقية أرواحهم وتزكية نفوسـهم •

---

(١) انظر : النفس : أمراضها وعلاجها فى الشريعة الاسلامية / محمـد الفقى . ــ القـاهرة : مكتبة محمـد صبيح ١٣٩٠ هـ ، ١٩٧٠ م ، ص ( ٢٧٥ ) .

ولذلك فان الله تبارك وتعالى يمد بعطائه فى الدنيا أهل طاعته ، وأهل معصيته ، حتى الكافرين به والجاحدين له .

قال الله تعالى فى سورة الاسراء :

**﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا . ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا . كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك، وما كان عطاء ربك محظورا ﴾(١) .**

فهذا النص يفسر الظاهرة المشهورة فى دنيا الناس ، فيبين أن الله تبارك وتعالى يمد عباده بالعطاء غير المحظور ، أى : الذى لا تستطيع منعه قوة غير قوة الله . فهو يمد أهل الدنيا الذين يريدون العاجلة ، ولكن مالهم فى الآخرة ، ويدخر لهم العطاء الآجل الأعظم الى يوم القيامة ، فمنحهم بذلك عطاء الدنيا وعطاء الآخرة فضلا منه وكرما(٢) .

والسخاء والبخل ينقسم كل منهما الى درجات ، فأرفع درجات السخاء الايثار : وهو أن يجود بالمال مع الحاجة اليه ، وانما السخاء عبارة عن بذل ما يحتاج اليه المحتاج أو لغير المحتاج ، والبذل مع الحاجة أشد وكما أن السخاوة قد تنتهى الى أن يسخو الانسان على غيره مع الحاجة فالبخل قد ينتهى الى أن يبخل على نفسه مع الحاجة فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى ، ويشتهى الشهوة فلا يمنعه منها الا البخل بالثمن ولو وجدها مجانا لأكلها ، فهذا بخيل على نفسه مع الحاجة وذلك يؤثر على نفسه غيره مع أنه محتاج اليه فانظر ما بين الرجلين فان الأخلاق عطايا يضعها الله حيث يشاء ، وليس بعد الايثار درجة فى السخاء وقد أثنى الله على الصحابة رضى الله عنهم فقال :

**﴿ ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾(٣) .**

---

(١) الاسراء : ١٨ — ٢٠

(٢) انظر : الأخلاق الاسلامية واسسها / عبد الرحمن الميدانى ، جـ ٢ : ص ٣٥٨

(٣) الحشر : ٩

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أيما امرىء اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له » .

وقالت عائشة رضى الله عنها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكنا نؤثر على أنفسنا[1] .

لقد حث الاسلام على كل أنواع العطاء والسخاء ، وكل صور المعونة والمساعدة بالمال أو بالنفس ، أو بالجاه ، أو بغير ذلك ، مادام العطاء والسخاء فى الخير لا فى الشر .

● **القدوة الحسنة :**

كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو القدوة الحسنة والمثل الأعلى فى الجود وحب العطاء ، فقد كان أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان ، اذ كان فيه كالريح المرسلة .

وقد بلغ صلوات الله عليه مرتبة الكمال الانسانى فى حبه للعطاء والسخاء ، اذ كان يعطى عطاء من لا يحسب حسابا للفقر ولا يخشاه ، ثقة بعظيم فضل الله ، وايمانا بأنه هو الرازق ذو الفضل العظيم .

روى البخارى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو كان لى مثل أحد ذهبا لسرنى أن لا يمر على ثلاث ليال وعندى منه شىء الا شىء أرصده لدين » .

ان الرسول صلى الله عليه وسلم يقدم بهذا النموذج المثالى للقدوة الحسنة ، لاسيما حينما نلاحظ أنه كان فى عطاءاته الفعلية مطبقا لهذه الصورة القولية التى قالها ، فقد كانت سعادته ومسرته عظيمتين حينما كان يبذل كل ما عنده من مال .

ثم انه يربى المسلمين بقوله وعمله على خلق حب العطاء والسخاء ، اذ يريهم من نفسه أجمل صورة للعطاء وأكملها .

---

(١) انظر : النفس : امراضها وعلاجها / محمد الفقى ، ص (٣٧٨) .

أخى المسلم لكى تكون رجلا مسلما بمعنى الكلمة فأحرص على السخاء لأنه من خلق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وكذلك فإن له آثار اجتماعية كريمة وعظيمة منها رجاحة العقل وعلو الهمة وسمو الطبع ، وارتقاء الانسانية وحب الله وحب الناس .

جعلنا الله من عبـــاده الأسخياء الأتقياء الذين يعطون من أموالهم ومن علمهم ومن جهدهم دون مقابل يرجون وجه الله سبحانه وتعالى .

* * *

# المبحث الثانى

## الحيـــاء

**● تعريف الحيـاء :**

قال العلماء : حقيقة الحياء خلق يبعث على ترك القبيح ، ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق .

والحياء هو قوام الأخلاق ، وعمادها ، والمعيار الذى نستعين به لمعرفة ما يجب ، وما لا يجب ، وما يحسن ، وما لا يحسن ، وهو صفة يتميز بها الانسان عن باقى المخلوقات ، فبالحياء يتعفف الانسان على كل ما يشينه ، أو يخدش كرامته ، أو يسىء الى سـمعته ، فهو يربأ أن يزل لسـانه بقول بذىء يخجل من أن يسـمعه الناس منه ، ويعصمه من أن يرتكب الآثام حياء من الله ، وخجلا من رسوله الكريم .

والايمان خلق يوجب على المسلم أن يصون نفسه ، وعرضه ، وماله من الفساد ، لأن الحياء صفة خيرة ، لا تنتج الا خيرا ، قال عليه الصلاة والسلام : « الحياء لا يأتى الا بالخير »[1] .

وأولى بالانسان أن يستحى من الله سبحانه ، فيحفظ كل حاسة فيه ، وكل جارحة من أن تأتى بما يلام عليه عند ربه .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وتذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا ، وآثر الآخرة على الأولى ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء )[2] ، [3] .

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) رواه الترمذى .
(٣) انظر : الخلق الحميد فى القرآن المجيد / محمد عبد الرحيم عدس .

والحياء من صفات الله عز وجل ، عن سلمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان ربكم حى كريم ، يستحى من عبده اذا رفع يديه اليه أن يردهما صفرا »[1] .

والحياء عنصر نبيل فى عمل الانسان المسلم وهو رمز الصلاح والاصلاح وهو ملاك الخير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما كان الفحش فى شىء قط الا شانه ، ولا كان الحياء فى شىء قط الا زانه »[2] . والحياء علامة صادقة على طبيعة الانسان فهو يعلن عن مقدار أدبه وقيمة ايمانه فان الذين يخجلون اذا ظهر منهم ما لا يحبون فهم من معدن نفيس ومن عنصر أصيل ولهذا جعل الاسلام الحياء مما يميز المسلم فى خلقه فقال صلى الله عليه وسلم : « ان لكل دين خلقا وان خلق الاسلام الحياء »[3] . بل هو قرين الايمان لأن الايمان صلة بين العبد ومولاه والحياء عاطفة حية يترفع بها المؤمن عن ارتكاب المعاصى والبعد عن سفاسف الأمور . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحياء والايمان قرناء جميعا ، فاذا رفع أحدهما رفع الآخر »[4] .

وفقد الحياء يجعل الانسان بليد الشعور ، لا يبالى بالأمور ، يرتكب الدنايا ، ويقترف الآثام ، ويتدرج من سىء الى أسوأ ، وينحدر الى الأسفل ، لأن الحجاب اذا مزق عن الوجه ، طغى الانسان على كل من حوله ولقد أدرك صدق الرسول صلى الله عليه وسلم : آخر ما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى اذا لم تستح فأفعل ما شئت[5] . فاذا صار الانسان بهذا الوصف لم يؤتمن على شىء قط ، فهو سائب اللسان ، يأكل الأموال ، وينهش الأعراض ، كالوحش الكاسر ينطلق وراء الشهوات ، ويدوس كل الكرامات ، غير شاعر برقة ولا باحساس بآلام الآخرين .

---

(١) رواه الترمذى وابو داود والبيهقى .
(٢) رواه الترمذى وابن ماجه واحمد .
(٣) رواه ابن ماجه .     (٤) رواه الحاكم .
(٥) رواه ابن عساكر .

روى ابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« ان الله عز وجل اذا أراد أن يهلك عبدا نزع منه الحياء ، فاذا نزع منه الحياء لم تلقه الا مقيتا ممقتا ، فاذا لم تلقه الا مقيتا ممقتا نزعت منه الأمانة فاذا نزعت منه الأمانة لم تلقه الا خائنا مخونا فاذا لم تلقه الا خائنا مخونا نزعت منه الرحمة ، فاذا نزعت منه الرحمة لم تلقه الا رجيما ملعنا ، فاذا لم تلقه الا رجيما ملعنا نزعت منه ربقة الاسلام »[1] .

فلم لا تتصف بالحياء — أخا الاسلام — فتستحي من الذى لا يغفل ولا ينام ؟ وتحفظ جوارحك عن الذنوب والآثام وتتذكر لقاء الملك العلام فهو المنعم المفضال يطعمنا من خيره ، ونعيش على أرضه ونستظل بسمائه فحقه علينا عظيم وقدره يقابل بالشكر العميم ولذا قال النبى الأمين : « الحياء خير كله »[2] .

ولم لا تتصف بالحياء مع عباد الله الكرماء فنعطيهم حقهم وتتأدب معهم ونخفض الصوت أمامهم وذلك بين الصغير والكبير والمعلم والمتعلم والابن وأبيه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تواضعوا لمن تعلمون منه »[3] .

ولم لا تتصف بالحياء ، فنخجل من أن نظهر برذيلة أو نلوث أنفسنا بقبح المنظر ولذا عندما رأى بعض الصحابة رسول الله مع زوجته فى ناحية المسجد استوقفهم لينبئهم بأنه ليس مع امرأة غريبة عنه ؟ ![4] .

**● من أروع أمثلة الحياء :**

جاء فى وصف موسى عليه السلام أنه كان حييا ستيرا ، حتى كان يستر بدنه ، ويستحيي أن يظهر مما تحت الثياب شيئا حتى مما ليس

---

(١) رواه ابن ماجة . (٢) رواه مسلم .
(٣) رواه الطبراني وهو حديث ضعيف .
(٤) انظر : الموعظة الحسنة / محمد على ابو عباس ص ١٤٦

بعورة ، وبسبب تستره الزائد أذاه بعض بنى اسرائيل فى أقوالهم ، فقالوا : ما يبالغ فى ستر نفسه الا من عيب فى جسمه أو من أدرة هو مصاب بها • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبى هريرة أنه قال :

« ان موسى كان رجلا حييا ستيرا ، لا يرى شىء من جلده استحياء ، فآذاه من آذاه من بنى اسرائيل ، فقالوا ما تستر هذا التستر الا من عيب أو أدرة ، وان الله أراد أن يبرئه ، فخلا يوما وحده ليغتسل ، فوضع ثوبه على حجر ، ففر الحجر بثوبه ، فجمح موسى فى اثره يقول : ثوبى يا حجر ، حتى انتهى الى ملأ من بنى اسرائيل ، فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله ، وقالوا : والله ما بموسى من بأس وأخذ ثوبه وطفق بالحجر ضربا ، فوالله ان بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا [1] •

وحياء موسى الزائد كان من همته العلية التى تنشد الكمال ، وقد رأى فى ذوقه الرفيع أن ستر بدنه أكثر كمالا من كشفه فكان يستحيى من كشفه للناس •

● **حياء محمد صلى الله عليه وسلم :**

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء ، أشد حياء من العذراء فى خدرها •

عن أبى سعيد الخدرى قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء فى خدرها ، فاذا رأى شيئا يكرهه عرفناه فى وجهه[2] ومن شدة حيائه كان لا يرى من زوجاته عوراتهن الكبرى ، ولا يكشف أمامهن عورته ، وفى هذا قالت السيدة عائشة رضى الله عنها : ما رأيت منه صلوات الله عليه ولا رأى منى •

أى : مكان العورة •

عن عائشة قالت : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) رواه البخارى ومسلم .

ولا متفحشا ولا سخابا فى الأسواق • ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن كان يعفو ويصفح[1] •

وعن على بن ابى طالب كرم الله وجهه ، أن يهوديا يقال له فلان خبر ، كان له على رســول الله صلى الله عليه وسلم دنانير ، فتقاضى النبى صلى الله عليــه وسلم فقال له : « يا يهودى ما عنــدى ما أعطيك » • قال : فانى لا أفارقك يا محمد حتى تعطينى ، فقال رسول الله صلى الله عليــه وسلم : « اذا أجلس معك » • فجلس معه ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر والمغرب والعشــاء الآخرة والغــداة ، وكان أصحاب رســول الله صلى الله عليه وسلم يتهددونه ويتوعــدونه ففطن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الذى يصنعون به ، فقالوا : يا رسول الله ، يهودى يحبسك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « منعنى ربى أن أظلم معاهدا وغيره » فلما ترجل النهار ، قال اليهودى : أشــهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أنك رسول الله ، وشطر مالى فى سبيل الله ، أما والله ما فعلت بك الذى فعلت بك ، الا لأنظر الى نعتك فى التوراة ، محمد بن عبد الله ، مولده بمكة ، ومهاجرة بطيبة ، وملكه بالشــام ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الأســواق ، ولا متزى بالفحش ولا قول الخفا ، أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله ، وهذا مالى فاحكم فيه بما أراك الله ، وكان اليهودى كثير المــال[2] •

خلاصــة القول ينبغى أن يكون المسلم رجلا يتحلى بالحياء ويكون الرسول صلى الله عليه وسلم هو القدوة والمثل الأعلى لأنه لا تتم الرجولة الاســلامية فى انســان الا كان الحياء متأصلا فيه لأن الحياء شــعبة من شعب الايمان ومن لا حياء له لا ايمان عنده •

*** 

---

(١) رواه الترمذى •
(٢) رواه البيهقى فى دلائل النبوة •

# المبحث الثالث

## الصـــــبر

الصبر عزيمة من أقوى العزائم ، التى تمهد للانســـان طريق حياته الشائك ، وتساعده على السير فى طريق الحياة ، بقـــدم ثابتة ، وقلب وثاب ، يخترق معاقل الشدة ، وفى النهاية الحظوة بالغرض المنشود •

الصبر وما أدراك ما الصبر ؟ هو نفحة ربانية يهبها الله قلوبا قـــد استعدت لتحملها ، واستعدت أن تحتفظ بها كهدية نادرة ، ولا يمكن للانســـان أن يعيش بدونها ، اذ بدون الصبر يفنى الانسان أدبيا ، وتطغى عليه مشـــاكل الحياة ، وتهزه أعاصيرها ، ويلين عوده الصلب أمامها ، وحينذاك تكون الهزيمة ، والموت الذى لا حياة بعده •

والصـــبر غال ثمنه ، عظيم أثره ، هو خلق الأنبياء والمرســـلين ، وســـلاح المتقين والمصـــلحين ، ما نجح رسول ولا زعيم ولا مصـــلح الا بالصبر ، فهو العدة المنتجة التى توصـــل الى الغـــايات من أقصر طريق ، كل ســـلاح فى الحياة يســـتطيع أن يفله الزمن ، الا ســـلاح الصبر ، فانه الذى استطاع أن يهزم الزمن ، وصاحبه منصور مهما تلونت عليه الأيام ، ولعبت به السنون • وقال أحد الشعراء المحدثين :

يا بائع الصبر لا تشفق على الشـــارى
فدرهم الصـــبر يســـوى ألف دينـــار

### ● أســـماء الصـــبر :

ويقرر الغزالى أن الصبر تختلف أسماؤه باختلاف ما يصبر المرء عنه ، فهو جماع كثير من الفضـــائل ، أو هو نصف الايمان • فان كان صبرا ، عن شهوة البطن والفرج سمى عفة • وان كان فى احتمال مكروه سمى صبرا ، وضده الجزع • وان كان فى احتمال الغنى سمى ضبط

النفس ، وضـده البطر . وان كان فى الحرب سمى شجاعة ، وضـده الجبن ، وان كان فى كظم الغيظ سمى حلما ، وضده التذمر وان كان فى نائبة مضجرة سمى سـعة الصدر وضده الضجر . وان كان فى اخفاء كلام سـمى كتمان السر . وان كان عن فضـول سمى زهدا ، وضده الحرص . وان كان صبرا على يسير من الحظوظ سمى قناعة ، وضده الشره .

## ● صـورة الصـبر :

ان الانسان المسلم لكى يكون رجلا محتاج الى الصبر فى كل حال ، فهو يحتاج اليه فى السراء ، كما يحتاج اليه فى الضراء . بل هو اليه فى السراء أحوج ، فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية . والصبر هنـا يكون بأن يراعى المرء حقوق الله فى ماله بالانفاق ، وفى بدنه بـبذل المعونة للخلق ، وفى لسـانه ببذل الصدق .

والطاعة تحتاج الى صبر ، لأن النفس بطبعها تنفر من العبودية . وللصبر على الطاعة ثلاث أحـوال : الأولى قبل الطاعة ، وذلك تصحيح النية والاخلاص ، والصبر على شوائب الرياء ، والعزم على الاخلاص والوفاء ، والثانية حالة العمل ، كى لا يفتر قبل الفراغ منه . والثـالثة بعد انتهائه اذ يحتاج الى الصبر عن افشائه والتظاهر به ، والنظر اليه بعين العجب . ويحتاج الرجل الى الصبر عن المعاصى ، وعلى الأخص التى صـارت مألوفة بالعادة ، اذ تنضاف العادة الى الشهوة . ثم ان كانت المعصية مما يسـهل فعله كان الصبر عنها أثقل على النفس ، كالصبر عن معاصى اللسان من الغيبة والكذب ، والمراء والثناء على النفس تعريضا وتصريحا ، والمزح المؤذى للقلوب .

والصبر على أذى الناس فضـيلة ، وأعظم منه الصبر على أنواع البلاء : كموت الأعزة ، وهلاك الأموال ، وزوال الصحة[1] .

---

(١) انظر : الاخلاق عند الغزالى ــ زكى مبارك : بيروت : دار الجيل، ١٤٠٨ هـ ( ١٩٨٨ م ) ص ١٧٨ ، ١٧٩ ( بتصرف ) .

● **فضـــل الصـــبر :**

وفضل الصبر آت من أنه تعبير عن قوة الارادة ، وعن كمال العقل ، والبعد عن الطيش والرعونة ، وتعبير عن الحكمة فى معالجة مشـــكلات الحياة . يضـــاف الى ذلك أنه فى مستواه الرفيع ثمرة من ثمرات الفهم عن الله ، وتدبر حكمته العظيمة فى تصريف الأمور ، وامتحان عباده فى هـــذه الحياة ، وثمرة من ثمرات الرضى عن الله فيما تجرى به مقاديره ، ولذلك كان الصبر ضياء ، كما ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وســـلم فيما رواه مســـلم عن أبى مالك الحارث الأشـــعرى اذ قال : « والصبر ضياء »[1] .

وينبغى أن نعلم أن الصبر ينقسم الى ثلاثة أقسام :

الأول : الصبر على طاعة الله .

الثانى : الصبر عن معصية الله .

الثالث : الصبر على ابتلاء الله .

وفى الصنفين الأولين يد لكسب الانسان ، أما الصـــنف الثالث فليست فيه يد للكسب .

ويمكن أن نقول بعد التأمل فى أحوال سيدنا يوسف عليه السلام أن الصـــبر على فراق الأب وعلى الالقـــاء فى البئر أيضـــا من مقامات الصبر ، ولكن رفض طلب امرأة العزيز أعلى أقسام الصبر ، وخاصـــة بالنظر الى الأمور الآتية :

١ ــ الشـــباب .

٢ ــ المكان الخالى .

٣ ــ التجرد .

٤ ــ توفر مشتهى النفس .

٥ ــ التغرب حيث لم يكن ضغط الأقرباء ولا الحياء منهم .

٦ ــ المحكومية .

---

(١) انظر : الأخلاق الاسلامية وأسسها : عبد الرحمن بن حســـن حنبكة الميدانى ــ دمشق : دار القلم ١٣٩٩ هـ ( ١٩٧٩ م ) ج ٢ ص ٢٩٥

٧ ــ دعوة امرأة جميلة .
٨ ــ وأنواع المكر والخداع مع الطلب المذكور .
٩ ــ الاغراء والتملق .
١٠ ــ التهــديد .

فهذه هى الأمور التى يرفع وجودها منزلة يوسف الصديق كثيرا .
قال ابن تيمية : أن منزلة الصبر على الطاعات أكمل وأفضل من الصبر على اجتناب المحارم ، فان النبى صلى الله عليه وسلم كان يحب فعل الطاعة أكثر من ترك المعصية ، وخسارة عدم الطاعة أفظع من خسارة وجــود المعصية[١] .

ونعلم من قراءة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم مدى ما قاساه صلى الله عليه وسلم فى تبليغ أحكام الله وتعليم المؤمنين ومن معاملة الخاسرين وتدبير العالمين واعلاء كلمة الحق ، وكيف أنه صلى الله عليه وسلم تحمل المصائب وصبر على الهموم والأحزان !

فكان القذر يلقى حينا لدى بابه حتى يتشتت طبعه ، وكانت الحفرة تحفر حينا فى طريقه وتغطى بالأسلاك الخفيفة وتملأ الحفرة بالأشواك ، حتى يقع فيها حينما يخرج لصلاة الليل وكان الرداء يشــد به عنقه حينما يســجد فى صلاته ، ويوضع بعر الابل على ظهره فى حالة الصلاة ، فكان الكفار يضحكون عليه ويسخرون منه ، وكان يرمى بالحجارة ويمنع من قراءة القرآن[٢] .

وقد مضى عليه صلى الله عليه وسلم زمن حبس فيه فى شعب ومنع منه الأكل والمــاء .

ولكن النبى صلى الله عليــه وسلم صبر على ذلك كله حتى أن الله تعالى قد أثنى عليه بقوله : ﴿ **وما صبرك الا بالله** ﴾[٣] .

---

(١) فتاوى ابن تيمية جـ ١٠ ص ٥٧٥ ، ٥٧٦
(٢) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٣٠٨ ، ٣٨٠
(٣) النحــل : ١٢٧

فالأجدر بمثل هذا الرسول أن يجعل الصبر لباس التجمل والشوكة والوقار فيقول : « الصبر ردائي » .

صلى الله تعالى على حبيبه بقدر صبره على بلائه وشكره على آلائه وبارك وسلم[1] .

فالمؤمن شاكر لله تعالى صابر على ما يصيبه ، والاسلام الذى يقبل من الانسان أن يتعمد تعذيب نفسه وقهرها بطريقة عشوائية ، يطلب بالمقابل منه أن يروض نفسه على الصبر وتحمل المكاره ، والاناة فى لحظات الشدة وأن يكون تعبيره فى أحلك الظروف : ( حسبى الله ونعم الوكيل ) ، ( انا لله وانا اليه راجعون ) .. الخ . ان الأمر عام مطلق لكل المؤمنين أن يتحلوا بأخلاق الصبر فى أكثر من آية قرآنية منها :

**﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ، ان الله مع الصابرين ﴾(٢) .**

وعلينا أن نعلم بأن الصبر لا يستطيعه الا مؤمن باع نفسه لله ، أو حليم يمتاز بقدرة فائقة على تلقى الأمور بهدوء أعصاب وترو . ولذلك صنف الصبر بين عظائم المواقف التى يقدم عليها الانسان ، وفى ذلك قال الله تعالى : **﴿ يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ، ان ذلك من عزم الأمور ﴾(٣) .**

نستفيد من هذه الآية بأن رسالة الانسان هى عبادة الله تعالى ، ونشر الفضيلة بواسطة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولكن هذه الرسالة تستلزم الثبات والتضحية من أجل الوصول الى تحقيق الغاية

---

(١) انظر : رحمة للعالمين : محمد سليمان سلمان المنصور فورى — تعريب مقتدى الأزهرى — الهند : الدار السلفية ، ١٤١٠ هـ ( ١٩٨٩ م ) جـ ٣ ص ٢٨٢

(٢) البقرة : ١٥٣ (٣) لقمان : ١٧

المنشودة ولا يكون ذلك الا بالصبر على كل ما يبتلى به الفرد أو يصيبه من أجل الوصول الى ما فيه الخير[1] .

وأخيرا نقول أن الصبر فضيلة صعبة المنال ، لأن الذين يثبتون على « ما يشق على النفس » ، ويتحملون البأساء والضراء لا يمكن أن يكونوا أفرادا عاديين ، انهم رجال ذو قدرات روحية وطاقات خلقيـــة متميزة ، وايمان بالله لا يتزعزع .

* * *

---

(1) أنظر : فى الأخلاق الاسلامية والانسانية : على معبد فرغلى — القــاهرة : دار الكتاب الجامعى ، ١٤٠٥ هـ ( ١٩٨٥ م ) ص ١٢٧

# المبحث الرابع

## التســـامح

الانســان فى نظر الدين الاسلامى أكرم ما فى هــذا الوجود ، فهو مكرم عند الله ابتداء من آدم عليه السلام ، والى أن يرث الله الأرض ومن عليهــا ٠

والى هــذه الكرامة للانسان يشــير القرآن الكريم بوضـــوح اذ يقول الله تعالى وهو أصدق القائلين :

**﴿ ولقــد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾(١) ٠**

فهذا نص واضح بأن الله تعالى كرم الانسان كانسان من غير اعتبار آخر من دين أو لغة أو قومية أو لون ، فالناس جميعا فى عرف الاسلام أخوة متساوون ليس لأحد فضل على آخر الا بما يقدمه من خير للناس ٠ أو يدفع شرا عنهم ٠ وكلهم أولاد أب واحد وأم واحدة :

**﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ﴾(٢) ٠**

ففى القرآن الكريم والسنة الشريفة نصوص كثيرة واضحة تركت الجســور مفتوحة بين المســلمين وغيرهم من الناس ، وقد قررت تلك النصوص أن الانســان هو مخلوق الله المكرم المختــار ، وأنه خليفته سبحانه فى الأرض ، فاكتسب الانســان فى التصور الاسلامى حصانة ،

---

(١) الاسراء : ٧٠
(٢) النساء : ١

ترتفع فوق الأجناس والألوان حتى الأديان ، وهـذه الحصانة مترتبة على حقيقة كونه انسانا خلقه الله فى أحسن تقويم ، ونفخ فيه من روحه وكرمه أعظم تكريم .

كل انسان له فى الاسلام قدسية الانسان ، وبهذه الكرامة يحمى أعداءه كما يحمى أبناءه وأولياءه ، انه يحمى أعداءه فى حياتهم ، ويحميهم بعـد موتهم ، يحميهم فى حيـاتهم فيحول دون قتالهم الا اذا بدأوا بالعـدوان ، ويحميهم فى ميدان القتال نفسـه ، اذ يؤمنهم من النهب والسلب والاغتيال والغدر ، ثم يحميهم بعد موتهم ، اذ يحرم أجسادهم على كل تشويه أو تمثيل ، كما جاء فى الأحاديث : « أليسوا أناسى ؟ فلهم كرامة الانسان ... » .

هـذه الكرامة التى كرم بها الله الانسانية فى كل فرد من أفرادها ، هى الأساس الذى تقوم عليها العلاقات بين بنى آدم .

فلننظر الى هذا النص القرآنى العظيم :

**﴿ انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكانما قتل الناس جميعا ، ومن احياها فكانما أحيا الناس جميعا ﴾(١) .**

فهل هناك تصور أشد من هـذا التصور البالغ القوة فى الدلالة على بشاعة جريمة قتل الانسان ظلما بغير حق .

فان قتل الانسان ظلما ليس عدوانا على الفرد فقط ، ولا عدوانا على المجتمـع الذى يعيش فيـه فحسب ، ولكنه شىء أكبر وأفدح : انها عند الله سـبحانه عدوان على الناس جميعا ، عدوان على الجنس البشرى بأسره « فكأنما قتل الناس جميعا » .

فالحديث فى الآية الكـريمة عن النفس البشرية وعن الناس دون

---

(١) المـائدة : ٣٢

تفرقة بين لون أو جنس أو دين . وإن الآية كما يقول السيد رشيد رضا رحمه الله « تعلمنا ما يجب من وحدة البشر ، وحرص كل منهم على حياة الجميع ، واتقائه ضرر كل فرد ، لأن انتهاك حرمة الفرد انتهاك لحرمة الجميع ، والقيام بحق الفرد من حيث أنه عضو من النوع ، وما قرر له من حقوق المساواة فى الشرع ، قيام بحق الجميع » .

هكذا تظل قيمة الانسان فى التفكير الاسلامى ، ويأتى التأكيد عن القيمة المطلقة للانسان ، فى قوله تعالى :

**﴿ يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، ان الله عليم خبير ﴾(1) .**

وهذه الآيات من أواخر ما نزل من القرآن ، وهى نص مباشر يخاطب الخلق كافة من كل جنس ولون وملة .

هذا هو الدين الاسلامى من منبعه الأصيل من القرآن الكريم ، واذا ألقينا نظرة سريعة على السنة الشريفة نجد الكثير والكثير من النصوص التى تؤكد على وحدة البشرية ، والرأفة بهم(2) .

قال تعالى : **﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر ، فاذا عزمت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين ﴾(3) .**

الاسلام دين الرحمة والتسامح وفى هذا القول الكريم اشارة الى طبيعة الرسول الخيرة الرحيمة اللينة المعدة لأن تتجمع عليها القلوب وتتآلف حولها النفوس .

وقد وجه الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم كثيرا الى خلق التسامح والرفق فى مثل قوله تعالى :

**﴿ ادفع بالتى هى احسن ﴾ . ﴿ فاصفح الصفح الجميل ﴾ .**

وقوله : **﴿ خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ﴾ .**

---

(1) الحجرات : ١٣

(2) انظر : الملتقى الاسلامى المسيحى الثالث لحقوق الانسان ص ٥٣ وما بعدها .

(3) آل عمران : ١٥٩

وفى قراءة سريعة لتاريخ الرسول نجد أن مبدأ التسامح قد طبقه فى علاقاته مع المشركين وغيرهم فى السلم والحرب وفى المعاهدات كما طبقه فى حياته الخاصة والعامة . ولا شك أن أبرز ما يكون التسامح عند الانتصار ولذلك عندما فتح الله عليه مكة قال لقريش :

« ما تظنون أنى فاعل بكم » قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم فقال الرسول الكريم أقول لكم ما قاله أخى يوسف لأخوته : « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لى ولكم اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

والتسامح الذى يدعو اليه الاسلام لا يتفق مع فرض الوصاية على الآخرين ولا مع الاكراه والعنف والتشــدد لأن التسامح حب ورحمة ووحدة أما العنف فقسوة وغلظة وتفرق وضعف ..

هــذا ولا يسمح الاسلام بالتسامح مع الشر والأشرار لأن مثل هذا التسامح يوسع دائرة الشر ويفتح الباب للاضرار بالناس وبمقدساتهم وحرماتهم التى يعمل الاسلام على صيانتها انطلاقا من المبدأ الاسلامى الذى يقول : لا ضرر ولا ضرار .

الدين فى حقيقته كما يريده الله طريق حب للناس وسلام فيما بينهم كما قال صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفســه »[1] .

ويقول تعالى : ﴿ **ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾[2] .

فالنصوص متضافرة فى الاســلام بأن الانسان أخو الانسان ، والناس من جميع العالم والأجناس والألوان اخوة لأب وأم ، لذلك فتح أبوابه أمام جميع الناس ، وان كل ما يخالف هــذا المبدأ فانه يتناقض مع المبدأ الاسلامى الصحيح ، وكل انتقاص من قيمة الانسان هو تشويه بالغ لتعاليم الاسلام بل هو عدوان على حدود الله يجب رده وتصحيحه .

ان التاريخ لا يزال حتى اليوم يقف موقف الاجلال والاكبار للذين

---

(١) رواه البخارى ومسلم .　　(٢) النحل : ٩٠ .

أظهروا سماحة الدين فى حكمهم وفتوحاتهم ، كما يصب لعنته وسخطه واحتقاره للذين قاموا بأبشع صور التعصب فى انتصاراتهم وسيطرتهم..

حين دخل عمر بيت المقـدس ، وأعطى أهلهـا أمانا على معابدهم وكنائسهم وعقائدهم وأموالهم ، كان مثالا لصاحب الدين فى سماحته ونفسه الانسانية الكبيرة .

وحين دخل السلطان محمد الفاتح القسطنطينية ، وأعطى بطريركها سـلطانا داخليا على رعيته ، لا يتدخل فى عقائدهم ولا فى عباداتهم ، كان مثالا لرجل الدين الذى يتسع صدره للناس جميعا ، والذى يرى أن من حق الناس أن يعبدوا الله أحرارا كما يشاءون[1] .

وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد فتية الأنصار وقد شق على جمله فقال له : « ألا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله اياها » .

النصوص كثيرة جدا فى الكتاب والسنة التى تعبر بوضوح عن التسامح الانسانى ، وان الناس أخوة لأب وأم ، وأن العدل والاحساس والأخلاق العالية هى الأساس المتين الذى بنى عليه الاسلام .

ولا نستطيع أن نورد كل ما قيل فى موضـوع تسامح المسلمين ومعاملتهم مع غيرهم ، يقول سيد سابق فى فقه السنة : علاقة المسلمين بغيرهم علاقة تعارف ، وتعاون ، وبر وعدل .

التسامح خلق من أخلاق المسلم الرجل وسـمة بارزة من علامات الرجولة فى الاسلام ، ويجب أن يتعامل المسلم بتسامح مع جميع الناس سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين .

لأننا أهل دين يستنكر جميـع أنواع التمييز الدينى والعنصرى والطائفى ونعتقد اعتقادا جازما ومخلصا بأن البشر اخوة ، وتنفى التعصب والتمييز القائم على أساس الدين والعقيدة .

اللهم اجعلنا من المتسامحين الذين يتميزون بالتسـامح فى كل تصرفاتهم لأن التسـامح سلاح قوى فى محبة الناس .

* * *

(١) انظر : أخلاقنا الاجتماعية/مصطفى السباعى (ص١٠٠ بتصرف).

# المبحث الخامس

**القنـــاعة**

تعريف القناعة : هى رضا النفس بما قسم لها من الرزق .

قال الله تعالى : ﴿ **من عمـل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيـاة طيبـة** ﴾(1) .

قال أكثر المفسرين : الحياة الطيبة فى الدنيا هى القناعة ، والقناعة موهبة من الله عز وجل .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « القناعة كنز لا يفنى » .

وعنه عليه الصلاة والسلام : « من أراد صاحبا فالله يكفيه ، ومن أراد مؤنسا فالقرآن يكفيه ، ومن أراد كنزا فالقناعة تكفيه ، ومن أراد واعظا فالموت يكفيه ، ومن لم يكفه هـذه الأربع فالنار تكفيه » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كن ورعا تكن أعبد الناس ، وكن قنعا تكن أشكر الناس ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا ، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما ، وأقل من الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب » .

وقيل : الفقراء أموات ، الا من أحياه الله تعالى بعز القناعة .

قال بشر الحافى : القناعة : ملك لا يسكن الا فى قلب مؤمن .

وقيل : القناعة من الرضا بمنزلة الورع من الزهد ، هـذا أول الرضا وهـذا أول الزهد .

وقيل : القناعة : السكون عند عدم المـألوفات .

وقال أبو بكر المراغى : العاقل من دبر أمر الدنيا بالقناعة والتسويف

---

(1) النحل : ٩٧

وأمر الآخرة بالحرص والتعجيل ، وأمر الدين بالعلم والاجتهاد .

وقيل : القناعة : ترك التشوف الى المفقود ، والاستغناء بالموجود .

وقيل فى معنى قوله تعالى : ﴿ **ليرزقنهم الله رزقا حسنا** ﴾ (١) . يعنى القناعة .

وقال محمد بن على الترمذى : القناعة : رضا النفس بما قسم لها من الرزق .

وقال وهب : ان العز والغنى خرجا يجولان ، يطلبان رفيقا ، فلقيا القناعة فاستقرا فيها .

وفى الزبور : القانع غنى وان كان جائعا .

وفى التوراة : ( قنع ابن آدم فاستغنى ، اعتزل الناس فسلم . ترك الحسد فظهرت مروءته ، تعب قليلا فاستراح طويلا ) .

وقيل لبعضهم : من أقنع الناس ؟

فقيل : أكثرهم للناس معونة ، وأقلهم عليهم مؤونة .

وقيل : وضع الله تعالى خمسة أشياء فى خمسة مواضع :

العز فى الطاعة ، والذل فى المعصية ، والهبة فى قيام الليل والحكمة فى البطن الخالى ، والغنى فى القناعة .

وقال بعضهم : انتقم من حرصك بالقناعة كما تنتقم من عدوك بالقصاص .

وقيل فى قوله تعالى : ﴿ **ان الأبرار لفى نعيم** ﴾(٢) هو القناعة فى الدنيا ، ﴿ **وان الفجار لفى جحيم** ﴾(٣) هو الحرص فى الدنيا .

وقيل فى قوله تعالى : ﴿ **هب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى** ﴾(٤) أى : مقاما فى القناعة أنفرد به من أشكالى ، وأكون راضيا فيه بقضائك .

---

(١) الحج : ٥٨
(٢) الانفطار : ١٣
(٣) الانفطار : ١٤
(٤) سورة ( ص ) : ٣٥

وقيل فى قوله تعالى : ﴿ **لأعذبنه عذابا شــديدا** ﴾(١) **يعنى لأسلبنه** القناعة : ولأبتلينه بالطمع ، يعنى : أسأل الله تعالى أن يفعل به ذلك .

وقيل لأبى يزيد : بما وصلت الى ما وصلت اليه ؟

فقال : جمعت أسباب الدنيا ، فربطتها بحبل القناعة ، ووضعتها فى « منجنيق » الصدق ، ورميت بها فى بحر اليأس ، فاسترحت .

وقيل أن أبا يزيد غسل ثوبه فى الصحراء مع صاحب له فقال له صــاحبه نعلق الثياب فى جدران الكروم ، فقال : لا تغرز الوتد فى جدران الناس ، فقال نعلقه فى الشــجرة فقال لا لأنه يكسر الأغصان فقال نبسطه على الحشيش فقال لا لأنه علف الدواب .

ثم ولى بظهره للشمس والقميص على ظهره حتى جف جانبه ثم قلبه حتى جف الجانب الآخر(٢) .

والقناعة هى الرضا بالقسمة ، كما قال لبيد الشاعر :

فمنهم ســعيد آخذ بنصيبه ومنهم شقى بالمعيشــة قانع

فمن قنع فقد عز ، ومن طمع فقد ذل ، لأن القانع لا يذله الطلب ، فلا يزال عزيزا .

وفى المثل العربى المشــهور : خير الغنى القنــوع ، وشر الفقر الخضــوع .

فالمسلم لا يستطيع بحال من الأحــوال أن يستغنى عن القناعة ، فانه اذا حدث ذلك ، فمعناه ــ ونعوذ بالله من ذلك ــ السخط على قدر الله وعدم الرضا بما قسمه ، فان الغنى الحقيقى ، انما هو فى القناعة .

يروى لنا امام الحفاظ ابن عساكر عن سعد ــ رضى الله عنه ــ

---

(١) النمل : ٢١

(٢) انظر : روضة الطالبين وعمدة السالكين / أبى حامد الغزالى . ــ بيروت : دار النهضــة الحديثة ، ( ص ١٨٣ وما بعدها بتصرف ) ، وانظر : الرسالة القشيرية / القشيرى . ــ القاهرة : دار الكتب الحديثة ١٣٨٥ هـ ، ١٩٦٦ م ( ص ٣٨٢ وما بعدها بتصرف ) .

أنه قال لابنه : يابنى ، اذا طلبت الغنى ، فاطلبه بالقناعة ، فانه إن لم يكن له قناعة لم يغنه مال .

ومن خلال الآيات القرآنية نتعلم مفهوم القناعة ومن خلال الأحاديث النبوية ، والآثار السلفية نعرف فضلها ، والطريق اليها .

وعندما يعود أهل الاسلام الى العمل بالقناعة ، فسوف يعودون الى ما كانوا عليه من مجد وحضارة ، وسوف يتخلصون من حب الدنيا ، وأغلالها ، وسوف يعلمون أنهم لا يضرهم ما أصابوا من الدنيا ، ما أصبحوا وأمسوا على الايمان والاسلام .

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه :

ما يضر عبدا يصبح على الاسلام ويمسى عليه ، ماذا أصاب من الدنيا .

والقناعة فى حقيقتها انما تكون بالقلب ، فاذا غنى قلب العبد غنيت يداه ، واذا افتقر قلبه لم ينفعه غناه ، ومن قنع لم يتسخط على القضاء والقدر ، وعاش آمنا مطمئنا الى رزقه ، وعمله وأجله .

والعبد اذا قنع صار عفيفا ، فاذا رأى نعمة على غيره لم يحسده ، ولم يتشوف اليها ، واذا كان فقر لم يسأل سوى الله ، ولم يثق الا فى اعانة الله[1] .

فالتعفف نتيجة حتمية للقناعة ، فمع القناعة والتعفف يعيش المسلم راضيا بما قسم له من الرزق .

● حديث الشعراء عن القناعة لابن المثنى :

اذا قل مالى ازددت فى همتى غنى
عن الناس والغانى بما نال قانع

---

(١) انظر : القناعة والتعفف / ابن ابى الدنيا . ـ تحقيق مجدى السيد ابراهيم ـ القاهرة : مكتبة القرآن ، ( د . ت ) ، ص ( ٦ ، ٧ بتصرف ) .

وفى النـــاس من لم ينل بك راحة
وفى الصــبر عز للضراعة قاطــع
ومن لا يزال يستتبع العين ما رأى
لدى عزة يلقى الردى وهو ضارع
جنابى لم يوقع الضيم لى حمى منيع
و ( ... ) بالغرامة واســع
وانى لأســـتبقى اذا العسر منى
بشـــاشة وجهى حين تبلى المنـــافع
مخـــافة أن أقلا اذا جئت زائرا
وترجعنى نحـــو الرجـــال المطـــامع
فرب جـــامع مـــال ليس آكلـــه
ومستعد ليـــوم ليس فى العـــدد
ركبت الى دارك الصـــــغر
ودارك قـــــدامك الكـــــبرى
ومن صـــار فـــوق سرير البـــلى
فقـــد صـــار فى صـــورة أخـــرى
ســــــيأتيك رزقك فى وقتـــــه
ولـــو كنت فى كبد الشـــعرى

والقنـــاعة علامة من علامات الرجولة فى الاســـلام ولكى يكون الانســـان رجلا ينبغى عليه أن يتحلى بفضيلة القناعة لأن القناعة تجعل الانســـان راضيا بما قسم له الله سبحانه وتعالى من الرزق . وتجعله يقوم على مساعدة وخدمة النـــاس ، والقناعة تجعل النـــاس يقدرونك ويحبونك .. لأن القانع لابد أنه يمتاز برجاحة العقل وحسن التفكير .. لأنه لا ينظر الى ما فى أيدى الناس .

اللهم قنعنا بمـــا رزقتنا .. واجعلنـــا من الرجال الذين يمتازون ويتحلون بالقناعة ..

* * *

# المبحث السادس

## الورع

**معنى الورع لغـة** : الورع محركة التقوى والتخرج والكف عن المحارم[1] .

وأصل الورع : الكف عن المحارم ، ثم استعير للكف عن الحلال والمبـاح .

**أما معناه الشرعى** الورع هو اجتناب الشبهات خوفا من الوقوع فى المحرمات[2] .

وقيل هو : ملازمة الأعمال الجميلة .

وللحافظ المحقق ابن القيم رحمـه الله كلام نفيس فى الورع فى كتابه القيم « مدارج السالكين » رأيت من نقله هنا ، لعلاقته الوثيقة بمبحثنا هذا ، فقد تكلم فيه عن الورع وتعريف السـلف له وأنواعه ودرجاته . قال رحمه الله تعالى :

ومن منازل « اياك نعبد واياك نستعين » منزلة « الورع » .

قال تعـالى : ﴿ **يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ، انى بما تعملون عليم** ﴾(٣) .

وقال تعـالى : ﴿ **وثيابك فطهر** ﴾(٤) .

قال قتادة ومجاهد : نفسك فطهر من الذنب . فكنى عن النفس بالثوب . وهذا قول ابراهيم النخعى والضحاك ، والشعبى والزهرى ،

---

(١) انظر : تاج العروس ـ الزبيدى ٣١٣/٢٢ ـ ٣١٤

(٢) انظر : التعريفات ـ الجرجانى ، ص ٢٥٢

(٣) المؤمنون : ٥١ (٤) المدثر : ٤

والمحققين من أهل التفسير . قال ابن عباس . لا تلبسها على معصيه ولا غدر . ثم قال : أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفى .

والعرب تقول فى وصف الرجل بالصدق والوفاء : طاهر الثياب . وتقول للغادر والفاجر : دنس الثياب . وقال أبى بن كعب : لا تلبسها على الغدر والظلم والاثم . ولكن البسها وأنت بر طاهر .

وقال الضحاك : عملك فأصلح . قال السدى : يقال للرجل ، اذا كان صالحا : انه لطاهر الثياب ، واذا كان فاجرا أنه لخبيث الثياب .

وقال سعيد بن جبير : وقلبك وبيتك فطهر . وقال الحسن والقرظبى : وخلقك فحسن .

وقال ابن سيرين وابن زيد : أمر بتطهير الثياب من النجاسات التى لا تجوز الصلاة معها . لأن المشركين كانوا لا يتطهرون ، ولا يطهرون ثيابهم .

وقال طاووس : وثيابك فقصر . لأن تقصير الثياب طهرة لها . والقول الأول أصح الأقوال .

ولا ريب أن تطهيرها من النجاسات وتقصيرها من جملة التطهير المأمور به ، اذ به تمام اصلاح الأعمال والأخلاق . لأن نجاسة الظاهر تورث نجاسة الباطن . ولذلك أمر القائم بين يدى الله عز وجل بازالتها والبعد عنها .

والمقصود أن الورع يطهر دنس القلب ونجاسته ، كما يطهر الماء دنس الثوب ونجاسته ، وبين الثياب والقلوب مناسبة ظاهرة وباطنة . ولذلك تدل ثياب المرء فى المنام على قلبه وحاله ، ويؤثر كل منهما فى الآخر . ولهذا نهى عن لباس الحرير والذهب وجلود السباع ، لما تؤثر فى القلب من الهيئة المنافية للعبودية والخشوع . وتأثير القلب والنفس فى الثياب أمر خفى . يعرفه أهل البصائر من نظافتها ودنسها ورائحتها ،

وبهجتها وكسفتها ، حتى أن ثوب البر ليعرف من ثوب الفاجر ، وليسا عليهما .

وقد جمع النبى صلى الله عليه وسلم الورع كله فى كلمة واحدة . فقال : « من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه »[1] .

فهنا يعم الترك لما لا يعنى : من الكلام ، والنظر ، والاستماع ، والبطش ، والمشى ، والفكر ، وسائر الحركات الظاهرة والباطنة . فهذه الكلمة كافية شافية فى الورع .

وقال ابراهيم بن أدهم : الورع ترك كل شبهة ، وترك ما لا يعنيك هو ترك الفضلات . وفى الترمذى مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة كن ورعا ، تكن أعبد الناس » ثم يتابع ابن القيم فيقول : قال صاحب المنازل :

« الورع . توق مستقصى على حذر . وتحرج على تعظيم » .

يعنى أن يتوقى الحرام والشبه ، وما يخاف أن يضره أقصى ما يمكنه من التوقى . لأن التوقى والحذر متقاربان . الا أن التوقى فعل الجوارح والحذر فعل القلب . فقد يتوقى العبد الشىء لا على وجه الحذر والخوف . ولكن لأمور أخرى : من اظهار نزاهة ، وعزة وتصوف ، أو اعتراض آخر ، كتوقى الذين لا يؤمنون بمعاد ، ولا جنة ولا نار ما يتوقونه من الفواحش والدناءة ، تصونا عنها . ورغبة بنفوسهم عن مواقعتها ، وطلبا للمحمدة ، ونحو ذلك .

وقوله « أو تحرج على تعظيم » يعنى أن الباعث على الورع عن المحارم والشبه اما حذر حلول الوعيد . واما تعظيم الرب جل جلاله ، واجلالا له أن يتعرض لما نهى عنه .

---

(١) أخرجه الترمذى وحسنه ج ٤ ص ٥٨٨ ، وابن ماجه ج ٢ ص ١٣١٥ — ١٣١٦

فالورع عن المعصية : اما تخوف ، أو تعظيم • واكتفى بذكر التعظيم عن ذكر الحب الباعث على ترك معصية المحبوب ، لأنه لا يكون الا مع تعظيمه • والا فلو خلا القلب من تعظيمه لم تستلزم محبته مخالفته • كمحبة الانسان ولده وعبده وأمته • فاذا قارنه التعظيم أوجب ترك المخالفة •

وقال وهو على ثلاث درجات ، الدرجة الأولى : تجنب القبائح لصون النفس ، وتوفير الحسنات ، وصيانة الايمان • هذه ثلاث فوائد من تجنب القبائح •

وهذه الأمور الثلاثة ـ وهي صون النفس ، وتوفير الحسنات ، وصيانة الايمان هي أرفع من باعث العامة على الورع ، لأن صاحبها أرفع همة ، لأنه عامل على تزكية نفسه وصونها ، وتأهلها للوصول الى ربها ، فهو يصونها عما يشينها عنده ، ويحجبها عنه ، ويصون حسناته عما يسقطها ويضعها ، لأنه يسير بها الى ربه • ويطلب بها رضاه ، ويصون ايمانه بربه : من حبه له ، وتوحيده ، ومعرفته به ، ومراقبته اياه عما يطفىء نوره ، ويذهب بهجته ، ويوهن قوته •

فالورع يخلص العبد من قربان هذه وتعدى هذه • وهو اقتحام الحدود وقسم الراغب الأصفهاني الورع الى ثلاث مراتب :

١ ـ واجب : وهو الاحجام عن المحارم ، وذلك للناس كافة •

٢ ـ وندب : وهو الوقوف عن الشبهات ، وذلك للأواسط •

٣ ـ وفضيلة : وهو الكف عن كثير من المباحات والاقتصار على أقل الضرورات ، وذلك للنبيين والصديقين والشهداء والصالحين[١] •

---

(١) الذريعة الى مكارم الشريعة ـ الراغب الأصفهاني ـ بيروت : دار الكتب العلمية ، ص ٢١٦ ، ٢١٧

حدثنا ابراهيم بن سعيد قال حدثنا عبد العزيز قال سمعت سفيان يقول : عليك بالورع يخفف الله حسابك ، ودع ما يريبك الى ما لا يريبك ، وادفع الشك باليقين يسلم لك دينك[1] .

ـ حدثنى عبد الرحيم بن يحيى قال حدثنا عثمان بن عمارة عن شيخ قال : خرجت من « البصرة » أريد عسقلان ، فصحبت قوما حتى وردنا بيت المقدس فلما أردت أن أفارقهم ، قالوا لى : فوصيك بتقوى الله ولزوم درجة الورع ، فان الورع يبلغ بك الى الزهد فى الدنيا ، وان الزهد فى الدنيا يبلغ بك حب الله ، قلت لهم فما الورع ؟ فبكوا حتى تقطع قلبى رحمة لهم ثم قالوا : يا هذا ! الورع : محاسبة النفس ، قلت : وكيف ذاك ؟ قالوا : تحاسب نفسك مع كل طرفة وكل صباح ومساء ، فاذا كان الرجل حذرا كيسا ، لم يخرج عليه الفضل ، فاذا دخل فى درجة الورع احتمل المشقة وتجرع الغيظ والمرار وأعقبه الله روحا وصبرا ، واعلم أن الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ، وملاك هذا الأمر الصبر ، وأما الزهد فهو أن يقيم الرجل على راحة تستتر اليها نفسه ، وأما المحب لله فهو مستقل لعمله أبدا . وان ضيق واحتبس عليه رزقه فهو فى ضيق ذلك لا يزداد لله الا حبا ومنه الا دنوا . وذكر الحديث بطوله[2] .

والورع علامة بارزة من علامات الرجولة فى الاسلام ولكى يكون المسلم رجلا بمعنى الكلمة لابد أن يكون ورعا فى كل شىء فى المأكل والمشرب فى تجنب القبائح لصون النفس وتوفير الحسنات وصيانة الايمان . فالقبائح تسود القلب . وتطفىء نوره ، والايمان هو نور القلب . جعلنا الله من عباده الذين يملأ الايمان قلوبهم بالتقوى والورع .

* * *

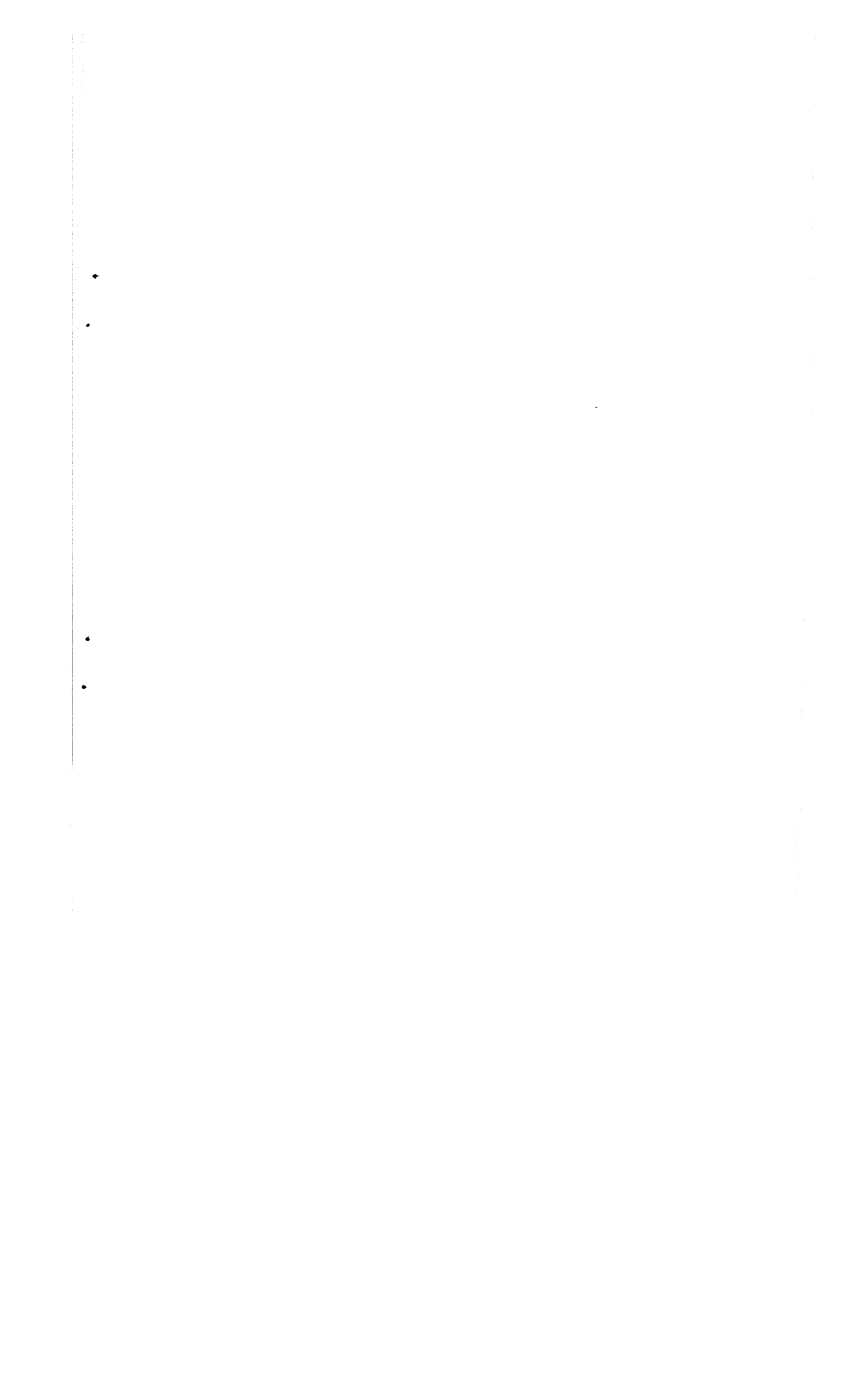
---

(1) اخرجه ابو نعيم فى الحلية جـ ٧ ص ٢٠
(2) رواه الذهبى فى الميزان جـ ٢ ص ٦٠٨ ، وذكر فى ترجمة عثمان : جـ ٣ ص ٥٠

# الفصل الرابع

**العـــدل**

- **الأمانة .**
- **التواضع .**
- **الرحمة .**
- **الصداقة .**
- **صلة الرحم .**
- **الحرية .**



# الفصل الرابع

## العـــدل

● **تعريف العـــدل :**

فى لسان العرب : العدل : ما قام فى النفوس أنه مستقيم ، وهو ضد الجور . عـــدل الحاكم فى الحكم يعدل عدلا ، وهو عادل من قوم عـــدول ..

وفى أسماء الله الحسنى « العدل » وهو الذى لا يميل به الهوى فيجور فى الحكم . والعدل : الحكم بالحق .

وجاء الامام الشاطبى فذكر فى « الموافقات » : أن العـــدل بين الناس هو الغاية المقصودة من الشريعة الاسلامية .. وقال مفصلا رأيه فى موضوع آخر ، ان هدف الشريعة هو حفظ خمس مصالح أساســية وهى : الدين والنفس والعقل والنسل والمـــال ، وهى مصالح يعـــد حفظها فى النهاية تحقيقا لتوازن المجتمع وضـــبط ايقاعه ، وهو عين العدل والقســـط .

وقال الامام ابن القيم الجوزية فى « اعلام الموقعين » : ان الله أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط ، وهو العدل الذى قامت به السموات والأرض ، فاذا ظهرت آمارات الحق ، وقامت أدلة العدل ، وأسفر وجهه بأى كان ، فثم شرع الله ودينه ورضاه وأمره .

وأهمية كلام ابن القيم تكمن فى أنه يوســـع الدائرة الى حـــد كبير ، بحيث انه يعتبر أى طريق يؤدى الى تحقيق العدل ، بمثابة طريق يؤدى الى الله . بل يعتبره داخلا بشكل تلقائى ضمن شرع الله ودينه .

وكتب عبد الملك الى سعيد بن جبير يســـأله عن العدل فأجابه :

ان العدل على أربع أنحاء : العدل فى الحكم ، قال الله تعالى : **﴿ وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ﴾** • والعدل فى القول قال تعالى : **﴿ واذا قلتم فاعدلوا ﴾** والعدل فى الفدية قال تعالى : **﴿ لا يقبل منها عدل ﴾** والعدل فى الاشراك ، قال تعالى : **﴿ ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾** أى يشركون • وفلان يعدل فلانا : أى يساويه ، وعدل الموازين والمكاييل : ساواها ، وتعديل الشيء : تقويمه ، والاعتدال : توسط حال بين حالين فى كم وكيف ، كقولهم جسم معتدل من الطول والقصر ، وجو معتدل من الحر والبرد •• الخ ، والمعادلة : الشك فى أمرين ، يقال : أنا في عدال فى هذا الأمر أى فى شك منه أأمضى عليه أم أتركه •

فالعدل ضرورة انسانية ويقود الى الفضائل الأخلاقية لأنه أساس رئيسى فى انتظام العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ••• الخ وهو قرين العمل الصالح والبر والاحسان ، بينما نقيضه وهو الظلم سبيل الى الفواحش ومنكر الأعمال التى أمر ربنا سبحانه بتجنبها • وقول الله تعالى بين فى ذلك : **﴿ ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون ﴾(1)** •

أن الأمر بالعدل عام يشمل كل الناس ، ولا استثناء فيه ، والسبب فى ذلك أن العدل يحفظ النظام والفضيلة فى المجتمع ، ويمنع الفوضى والتجاوزات المؤدية الى الهلاك • ففى العدل قوام أمر المجتمع ، ومنطلق لتقدمه ، وتحرره ، وتعاون أبنائه ، وفى الظلم ، وهيمنة فريق على سواه سبيل للتنازع ، والتغالب بلغة الغاب ، مما يجلب التخلف والضعف فى مواجهة قوى الشر والفساد من أية جهة أتت •

ونحن من جهتنا اذا ما نظرنا الى استعمال « كلمة العدل » من لغتنا العربية وجدناها عند الاطلاق ، انما يراد بها العدل السياسى أى

(1) النحل : ٩٠

معاملة كل فرد من أفراد المجتمع بما يستحق ان خيرا وان شرا تبعا لأحكام الشرع الحكيم لمعنى عادل : رجل يؤدى حق الغير من نفسه كلما لزمه • أو ينصف المظلوم من ظالمه ان كان حاكما ، والظالم من يفعل عكس ذلك • وليس يقال على المغتاب والفاسق الذى قد يصل الى لذاته بغير عنف والسارق والنمام سوى نمام أو مغتاب أو فاسق أو سارق ولا يقال : ظالم الا بتجوز ، لأنه تعدى الحدود كما تعداها الظالم فى ظلمه وطرقه المتعددة •

عبادات ومعاملات ، فانه بالمعنى المتعارف انما يختص بالمعاملات بين أفراد المجتمع الانسانى •

وان تتبع التاريخ ليرينا أنه من أقدم ما عرف فى المجتمع الانسانى فى الفضائل ، بل لا يكاد يوجد شعب أو قبيل — مهما بلغ توحشه — يمكن أن يقال أنه تجرد من احترام العدل واستخدامه لخير الجماعة ، فالشعوب التى عرفت المدنية قديما كالمصريين والهنود والصينيين كان العدل يشغل من تاريخها مكانا عظيما فى الأهمية •

وحسبنا النظر الى الشعب الاغريقى واهتمام فلاسفتهم بأمره وما أعجب ما جاء عنه فى جمهورية « أفلاطون » وكتاب الأخلاق « لأرسطو » ان العدل لهو الباعث الوحيد على ما يشاهد من الجهود الجبارة فى كل مكان وزمان لنصرة الحق ورفع لواء المدنية ، وما العروش والامارات ومجالس الشورى فى أرقى الأمم قديما وحديثا الا وليدة فضيلة العدل ونتيجتها[1] •

والعدل هو أحد الفروع الخلقية لحب الحق وايثاره ، وأحكام العدل وتطبيقاته انما هى تنفيذ لما يقتضيه الحق •

وعلى هذا نستطيع أن نقول ان العدل هو اعطاء كل ذى حق ما يعادل حقه ويساويه دون زيادة ولا نقصان •

---

(١) انظر : الأخلاق فى الاسلام — اسعد السحمرانى ، ص ١١٠

ومن أجل ذلك كان الميزان رمزا لاقامة العدل •

وقد لا يقتصر الميزان — الذى هو رمز لاقامة العدل — على كفتين متقابلتين لوزن الشىء الواحد ، بل ربما يكون ميزانا ذا كفتين أو أكثر من كل جهة من شطرى الدائرة الافقية ، وكل كفة فى جهة مقادير الحق تقابلها كفة فى جهة التقويم بالعدل ، ولا تستقيم اشارة العدل ما لم تعادل كل كفة شقيقتها المقابلة لها فى الميزان •

ومن عجيب أمر ميزان العدل أن للحق فيه موجبا وسالبا ، أما موجب الحق فهو ثقل يرجح الكفة التى يوضع فيها ، ولا يتحقق العدل الا بوضع ثقل معادل له فى الكفة المقابلة لها •

وأما سالب الحق فهو قوة تطيش بالكفة الى جهة العلو جاذبة لها ، وبذلك تنخفض الكفة المقابلة لها ، ولا يتحقق العدل فى هذه الحالة الا بوضع قوة فى الكفة المقابلة من شأنها أن تجذبها الى ارتفاع حتى تتعادل الكفتان ، وتستقيم فى الميزان اشارة العدل •

فهو ميزان يزن الموجب والسالب ، أى : يزن الواجب والحرام ، يزن ما هو حق ويزن ما ليس بحق ، وتعمل فيه الحركتان الموجبة والسالبة •

ولما كان العدل مرتبطا بالحق كان لابد لنا من ملاحظة أن حقوقا متعددة الجهات قد تتوارد على شىء واحد ، وأن لكل جهة منها مقدارا من الحق ذا نسبة خاصة من المجموع الكلى •

ان ميزان العدل يزن قيم الأشياء وقيم الأعمال بالاستناد الى قواعد الحق ، فمتى تساوت كفتا الميزان استقامت اشارة العدل ، والذى يريد أن يسوى بين الأمور رغم اختلاف قيمتها الذاتية ، مثله كمثل من يسوى فى القيمة بين الذهب والحجر ، على أساس تكافئها فى الثقل المادى ، فيضع ذهبا باحدى كفتى الميزان ويضع فى الكفة الأخرى مثل ثقله حجرا عاديا •

ـ إن العدل عمل شديد الدقة ، يحتاج الى بصر نافـذ ، ومهارة فائقة وخبرة بالأشياء وبالأعمال ، ومعرفة بقيمها الذاتية والا اختل ميزان العدل وجار ، وجنح صاحبه الى ظلم كبير شـنيع[1] .

يقول الله عز وجل فى سورة آل عمران : ﴿ **شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط ، لا اله الا هو العزيز الحكيم** (٢).

يعلق شيخ الإسلام على قوله تعالى : « قائما بالقسط » بقوله : « فإن الاسـتقامة والاعتدال متلازمان ، فمن كان قوله وعمله بالقسط كان مستقيما ، ومن كان قوله وعمله مستقيما كان قائما بالقسط ، ولهذا أمرنا الله عز وجل أن نسـأله أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وصراطهم هو العدل والميزان ليقوم الناس بالقسط والصراط المسـتقيم هو العمـل بطاعته وترك معاصيه فالمعاصى كلها مناقضة للعدل مخالفة للقيام بالقسط والعـدل »[3] .

ويعلق سيد قطب رحمه الله على هذه الآية فى ظلال القرآن بقوله : « وتدبير الله عز وجل لهذا الكون والحياة متلبس دائما بالقسط وهـو العدل ، فلا يتحقق العدل المطلق فى حياة الناس ولا تسـتقيم أمورهم استقامة أمور الكون التى يؤدى كل كائن معها دوره فى تناسق مطلق مع دور كل كائن آخر .. لا يتحقق هـذا الا بتحكيم منهج الله الذى اختاره لحياة الناس وبينه فى كتـابه والا فلا عدل ولا قسط ولا استقامة ولا تناسـق ولا تلاؤم بين دورة الكون ودورة الانسان ، وهو الظلم اذن والتصـادم والتشتت والصراع » .

وانه حيث حكم فى حياة الناس منهج آخر من وضع البشر لازمه

---

(١) انظر : الأخلاق الاسلامية وأسسها ـ عبد الرحمن حسن حنبكه الميدانى ، جـ ١ ص ٦٢٢ وما بعدها ( بتصرف ) .
(٢) آل عمران : ١٨
(٣) انظر : مجموع الفتاوى ـ ابن تيمية : ١/٥٥ ، ١٤/١٧٩

جهل البشر وقصور البشر ، كما لازمه الظلم والتناقض فى صورة من الصور . ظلم الفرد للجماعة ، أو ظلم الجماعة للفرد ، أو ظلم طبقة لطبقة أو ظلم أمة لأمة أو ظلم جيل لجيل ، وعدل الله عز وجل وحده هو المبرأ من الميل لأى من هؤلاء ، وهو اله جميع العباد ، وهو الذى لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء « لا اله الا هو العزيز الحكيم »[1] .

وقوله تعالى : ﴿ **واذا قلتم فاعدلوا** ﴾[2] .

يعلق سيد قطب رحمه الله على هذه الآية فيقول : « وهنا يرتفع الاسلام بالضمير البشرى — وقد ربطه بالله ابتداء — الى مستوى سامق رفيع على هدى من العقيدة فى الله ومراقبته .. فهنا مزلة من مزلات الضعف البشرى ، الضعف الذى يجعل شعور الفرد بالقرابة هو شعور التناصر والتكافل والامتداد ، بما أنه ضعيف ناقص محدود الأجل وفى قوة القرابة سند لضعفه وفى سعة رقعتها كمال لوجوده ، وأن امتدادها جيلا بعد جيل حماية لامتداده ، ومن ثم يجعله ضعيفا تجاه قرابته حين يقف موقف الشهادة لهم أو عليهم أو القضاء بينهم وبين الناس ، وهنا فى هذه المزلة يأخذ الاسلام بيد الضمير البشرى ليقول كلمة الحق والعدل على هدى من الاعتصام بالله وحده ومراقبة الله وحده اكتفاء به مناجزة ذوى القربى وتقوى له من الوفاء بحق القرابة دون حقه وهو سبحانه أقرب الى المرء من حبل الوريد »[3] .

أما الأحاديث الواردة فى الحث على العدل وتجنب الظلم والبغى فكثيرة :

— روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين اثنين صدقة »[4] .

---

(١) انظر : فى ظلال القرآن — سيد قطب : جـ ١ ، ص ٥٥

(٢) الأنعام : ١٥٢

(٣) انظر : فى ظلال القرآن — سيد قطب : جـ ٨ ص ٤٢٦

(٤) فتح البارى جـ ٥ ، رقم الحديث (٢٧٠٧) ط. السلفية .

ـــ وروى الامام مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان المقسطين عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن ـــ وكلتا يديه يمين ـــ الذين يعدلون فى حكمهم وأهلهم وما ولوا »[1] .

والعدل وسط بين الظلم والانظلام ( الانظلام احتمال الظلم ) أما الظلم فهو التوصل الى كثرة المقتنيات من حيث لا ينبغى وكما لا ينبغى ، وأما الانظلام فهو الاستخذاء والاستماتة فى المقتنيات لمن لا ينبغى وكما لا ينبغى ( الاستخذاء الاعطاء والاستماتة ، الخضوع والتواضع ) .

ولذلك يكون للجائر أموال كثيرة لأنه يتوصل اليها من حيث لا يجب ووجوه التوصل اليها كثيرة لا تخفى على أولى البصائر والأبصار بعكس المنظلم فان مقتنياته وأمواله يسيرة جدا لأنه يهملها حيث لا يجوز الاهمال ويتركها من حيث لا يجب ، وأما العادل فهو فى الوسط لأنه يقتنى الأموال من حيث يجب ويتركها من حيث لا يجب .

فالعدالة فضيلة يتصف بها الانسان من نفسه ومن غيره من غير أن يعطى نفسه من النافع أكثر وغيره أقل ، وأما فى الضار فبالعكس وهو أن لا يعطى نفسه أقل وغيره أكثر ، وانما يستعمل المساواة التى هى تناسب بين الأشياء ومن هذا المعنى اشتق اسم العدل ، وأما الجائر فانه يطلب لنفسه الزيادة من المنافع ولغيره النقصان منها ، وأما فى الأشياء الضارة فانه يطلب لنفسه النقصان ولغيره الزيادة منها وما بقى تحت العدالة يمكن للفطن استخراجه بنفس الطريقة التى استخرجنا منها الأوساط التى أرشدنا اليها[2] .

---

(١) صحيح مسلم رقم الحديث (٢٨٢٧) باب فضيلة الامام العادل .

(٢) انظر : النفس أمراضها وعلاجها فى الشريعة الاسلامية ـــ محمد الفقى ، ص ١٣٣

والعدل سمة بارزة من سمات الرجولة فى الاسلام والرجل المسلم لكى يكون رجلا لابد أن يكون العدل خلقا متأصــلا فى أخلاقه لأن الرجل العادل يعطى كل ذى حق حقــه ويكون الســبيل الى محبة الناس له •• والعــدل يعتبر من أمهات الفضــائل والتى تدعو الى الصــداقة والألفة وصــلة الرحم والتودد والعبادة وترك الحقــد ومكافأة الشر بالخير واستعمال اللطف وركوب المروءة فى كل الأحوال •

اللهم اجعل العــدل خلقا متأصــلا فينــا وباعد بيننا وبين الظلم والظالمين ••

* * *

# المبحث الأول

## الأمـانة

الأمانة بمعناها الأخلاقى شعور بالتبعة ، واحتكام الى الضمير اليقظ ، ونهوض بالرعاية لكل ما فى عهدة الانسان من شىء حسى أو معنوى •

ولقد تحدث القرآن الكريم عن فضيلة « الأمانة » فى أكثر من موطن ، منوها بشأنها ، حاثا على رعايتها وصيانتها ، ومن الآيات المجيدة التى جاء فيها ذكر الأمانة قول الله تعالى فى سورة الأحزاب : **﴿ انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فابين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان ، انه كان ظلوما جهولا ﴾(١)** •

ولقد ذكر الأصفهانى فى كتابه المفردات أن معنى الأمانة هنا فيه أقوال ولكن الأقرب الى القبول فى معنى الأمانة هو أنه يراد بها التكاليف والحقوق المرعية التى أودعها الله المكلفين ، وائتمنهم عليها ، وأوجبها عليهم ، من غير اخلال بشىء من حقوقها •

ولكن الانسان الذى أوتى العقل والتفكير تعرض لحمل هذه الأمانة والنهوض بها ، وهو بهذا التعرض كان ظالما لنفسه ، وكان جاهلا بكثير من تبعات هذه الأمانة ، ولذلك أوقع نفسه فى مسئوليات وتبعات تحتاج الى موصول العمل ، حتى لا يتعرض للعقاب والعذاب •

وعرض الأمانة هنا هو على أساس أن من يقبل هذه الأمانة ، ويحفظها ويقوم بحقوقها ، فله الفوز والثواب والنعيم ، ومن يضيعها أو يهمل حقوقها فله الخسران والعقاب والجحيم ، ولذلك قال الله تعالى عقب هذه الآية مباشرة : **﴿ ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ، وكان الله غفورا رحيما ﴾(٢)** •

---

(١) الاحزاب : ٧٢

(٢) الاحزاب : ٧٣

ولقد ذكر المفسرون أقوالا كثيرة فى المراد بالأمانة ، فقيل أن الأمانة هى المحافظة على الصلوات ، وأداء الزكاة ، والصوم ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا ، وقيل انها أمانات الناس ، أى ودائعهم التى يودعونها عند غيرهم ، وقيل انها الأمانة فى الحديث وعدم الزيادة عليه ، وقيل انها صيانة المرأة لعرضها ، وقيل انها الاغتسال من الجنابة ، وقيل انها صيانة الانسان لدم غيره وعدم الاعتداء عليه[1] .

وعلى هذا تكون الأمانة شاملة للقيام بجميع التكاليف والالتزامات الاجتماعية والأخلاقية .

فالعقل أمانة لدى الانسان ان عمل بمقتضاه ونظمه بالعلم والمعرفة كان قائما بحق الأمانة مؤديا لها خير أداء .

والجسم أمانة لديك ، فان أنت غذيته وصححته ورفقت به فلم ترهقه بالأعمال ولو كانت عبادة كنت محسنا محافظا على الأمانة ، وفى ذلك يقول عليه السلام : « نفسك مطيتك فارفق بها » .

وزوجك وولدك ووالدك وكل من تشترك معهم فى أواصر القربى ويلزمك حفظهم والنصح لهم هم أمانة عندك فان رعيت حقوقهم وبذلت لهم النصح وأسديت لهم الخير وأبعدت عنهم الأذى كنت قائما بالأمانة أحسن قيام : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ﴾(٢) .

وحق المجتمع عليك فى اشاعة الطمأنينة والسلام والخير فيه ، أمانة تلزم بالوفاء فان لم تفعل ذلك كنت مسيئا الى الناس خائنا لأماناتهم .

والعلم أمانة فى نفوس العلماء ، ان وطؤوا للناس سبله ، وكشفوا فى الكون أسراره ، واستعملوه فى رفاهية الانسانية وخيرها وسلامها ، كانوا أمناء أوفياء ، يستحقون ثواب الله وخلود التاريخ : ﴿ انما يخشى الله من عباده العلماء ﴾(٣) .

---

(١) انظر : موسوعة الاخلاق القرآنية ـ احمد الشرباصى ، جـ ٢ ، ص ١٥ وما بعدها ( بتصرف ) .

(٢) التحريم : ٦ — (٣) فاطر : ٢٨

والمـال فى أيدى الناس أمانة ، فإن أحسنوا التصرف به والقيام عليه ، وأداء الحقوق الاجتماعية فيه ، كانوا أمناء أوفياء ، لهم الذكر الجميل فى الدنيا ، والنعيم المقيم فى الآخرة ، والا كانوا خونة ظالمين ﴿ **وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه** ﴾(١) ، ﴿ **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم** ﴾(٢) .

وهكذا نجد الأمانة تنتظم الاستقامة فى شئون الحياة كلها ، من عقيدة وأدب ومعاملة وتكافل اجتماعى ، وسياسة حكيمة رشيدة وخلق حسن كريم .

والأمانة بهذا المعنى وهذه الحدود ، سر سعادة الأمم أو شـقائها ويوم كانت أمتنا من أصـدق الشعوب فى حمل الأمانة والوفاء بها ، كانت أمتنا خير أمة أخرجت للناس ..

سرقت امرأة عربية متاعا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسـلم فجاء أهلها يستشفعون لدى الرسول ليسقط عنها العقوبة فغضب عليـه السلام من هذه المحاولة ثم قال : « أيها الناس انما أهلك من كان قبلكم أنهم اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الوضيع أقاموا عليه الحد أما والذى نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها »(٣) .

فهذه هى أمانة الحاكم فى تنفيذ القانون على الناس جميعا ..

واستدان ولد لعمر بن الخطاب من أبى موسى الأشعرى حين كان واليا على الكوفة أموالا من خزينة الدولة ليتاجر بها ، على أن يردها بعد ذلك كاملة غير منقوصـة ، واتجر ولد عمر فربح ، فبلغ ذلك عمر فقال له : انك حين اشـتريت أنقص لك البائعون فى الثمن لأنك ولد أمير المؤمنين ، ولمـا بعت زاد لك المشـترون لأنك ولد أمير المؤمنين لا جرم

---

(١) الحديد : ٧ (٢) التوبة : ٣٤
(٣) رواه البخارى ومسلم .

ان كان للمسلمين حق فيما ربحت ، فقاسمه نصف الربح واسترد منه القرض وعنفه على ما فعل ، واشتد على أبى موسى فى العتب لأنه أسلف ولد أمير المؤمنين من أموال الدولة ما لا يصح أن يقع مثله ، هذه هى أمانة الحاكم الذى يسهر على مال الشعب فلا يحابى فيه صديقا ولا قريبا • ولقد كان صلاح الدين الأيوبى رحمه الله من أكثر ملوك عصره توفيقا فى الفتوح والنصر ، وكان نصيبه من الغنائم كبيرا جدا ، أوقفه كله مدارس ومستشفيات ومساجد مما لا يزال بعض آثاره باقيا خالدا حتى اليوم ..

ولم يترك لنفسه ولأولاده شيئا ، حتى قالوا انه حين مات ، مات وهو من أفقر الناس لم يترك درهما ولا دينارا ولا أرضا ولا عقارا ، وهذه هى أمانة القائد المجاهد الذى يأبى أن يتاجر بجهاده ويرضى بالله وجنته وثوابه بديلا •

وأراد عثمان رضى الله عنه أن يقرض بعض الناس من الخزينة العامة وطلب الى خازن بيت المال أن ينفذ رغبته فى ذلك فأبى عليه الخازن ، فقال له عثمان : أتأبى ذلك وأنت موظف عندنا ، فجاء الى المسجد وقال للناس بصوت يسمعه كل من فى المسجد : أيها الناس لقد زعم عثمان أنى خازن له ، وانما أنا خازن بيت مالكم لا بيت ماله ، وهاهى مفاتيح بيت المال أردها اليكم ، ثم رمى بالمفاتيح وخرج • وهذه هى أمانة الموظف الكريم يأبى أن يتجاوز القانون ارضاء لرئيس أو زعيم •

ووقف الشيخ عز الدين بن عبد السلام قاضى القضاة فى دمشق مرة فى وجه سلطان دمشق ، وأنكر عليه تعامله مع الافرنج لقاء نجدتهم اياه فى حربه مع أخيه سلطان مصر ، واعتبر الشيخ ذلك خيانة للمسلمين وجريمة فى حق البلاد ، فلما عزله السلطان عن منصبه أبى أن يسكن فى بلد يخون فيها حاكموها حقوق الشعب واستقلاله وسيادته ، ولم يرض بالعودة الى دمشق مع كل ما بذل السلطان بعد ذلك من وعود واغراء وهذه هى أمانة العالم يصدع بالحق فى وجه الحاكم الظالم ، ويكشف خيانته للشعب دون أن تأخذه فى الله لومة لائم •

وتصدقت عائشة رضى الله عنها يوما بمائة آلف درهم وهى صائمة فلبس ثوبا خلقا ، فقالت لها جاريتها : لو أبقيت لنا ما نفطر عليــه اليوم فليس عندنا ما نأكله ! فأجابتها لو ذكرتينى لفعلت ، وهذه هى أمانة الغنى المؤمن نسى جوع نفسه ليذكر جوع غيره من أبناء الشعب .

هــذه بعض أحاديث الأمانة فى مجتمع كانت الأمانة فيه خلقا بارزا يتعامل به الناس بعضهم مع بعض ، ويحرص عليــه الجاهل كما يحرص العالم ، والفقير كما يحرص الغنى ، والمواطن كما يحرص الحاكم .. خلقا أشاع الطمانينة والثقة فيهم ، فاذا هم يتعاملون بالحب ويتجاوزون بالوفاء ، ويتعايشــون بالطمأنينة ويتســاندون بالحــق رضى الله عنهم ورضوا عنه[1] .

فالأمانة علامة بارزة من علامات الرجــولة يجب أن يتحلى بها المسلم ولكى يكون المسلم رجلا لابد أن تكون الأمانة خلقا متأصلا فى أخلاقه لأن الانسان الذى يمتاز برجاحة العقل والتفكير والأمانة محبوب من كل الناس وموثوق به ..

والأمانة ليست مقصورة على الوديعة التى تودع عنــد الناس ، كالنقــود والحلى وما شــابه ذلك . مع أن مدلول الأمانة فى المفاهيم الاسلامية يشمل ألوانا كثيرة ، فأمانة العبد مع ربه ، وتتحقق بحفظ ما أمر الله بحفظه ، وبأداء واجباته والابتعاد عن منهياته ، وأمانة العلم تتحقق بنشره وتفهيمه للناس .

وأمانة الانسان مع الناس تتحقق برد ودائعهم اليهم ، وحفظ حقوقهم وصيانة أعراضهم ، وحفظ أسرارهم .

اللهم هبنا فضــيلة الأمانة ، وجنبنا رذيلة الخيانة ، فانك الرءوف الرحيم .

* * *

(١) انظر : أخلاقنا الاجتماعية ــ مصطفى السباعى ــ دمشــق : المكتب الاسلامى ، ١٤٠٧ هـ (١٩٨٧ م) ، ص ١٠٢ ( بتصرف ) .

# المبحث الثانى

## التواضــع

التواضع : التواضع الاسلامى مذهب تقدى فى تقويم الأشخاص والأفعال والأقوال .

اذا كانت الأمانة صيانة لمسائل الغير وودائعه من كل نوع ، والعفة صيانة لأعراضهم ، فان التواضع هو الذى يصون مكانتهم الاجتماعية ويحفظ عليهم أقدارهم . وبعكس الأمانة والعفة لا يوجـد فى القرآن الكريم أمر بالتواضع فى أية صيغة أخرى .

ومع هذا فان التواضع ، كما سنرى من شهادة النصوص فضـيلة اسـلامية لا ريب فيها .

فالسنة النبوية تحث على التواضع ، وتدعو اليه ، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليـه وسلم قال : « من تواضع لله رفعه »(1) وقال أيضا : « من تواضع لله رفعه ، فهو فى نفسه صغير وفى أعين الناس عظيم . ومن تكبر وضـعه الله فهو فى أعين الناس صغير ، وفى نفســه كبير ، حتى لهو أهون عليهم من كلب أو خنزير » .

والقرآن الكريم الذى لم يأمر صراحة بالتواضع توعد المتكبرين بشدة العقوبة على الرذيلة تعنى وجوب الفضيلة المقابلة لها . قال تعالى : ﴿ واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عـذابا أليما ﴾(2) وقال : ﴿ انه لا يحب المستكبرين ﴾(3) وقال : ﴿ فلبئس مثوى المتكبرين ﴾(4) .

والسنة النبوية هى المدخل الواضـح الى فهم التواضع والكبر بالمعنى الاسـلامى . فقد سئل النبى صلى الله عليه وسلم هذا السؤال المنطقى : ما الكبر ؟ فأجاب بقوله : « سفه الحق ، وغمص الناس » .

---

(1) حديث حسن رواه أبو نعيم فى الحلية .
(2) النساء : ١٧٣ (3) النحل : ٢٣
(4) النحل : ٢٩

وفى رواية أخرى قال : « .. ولكن الكبر من بطر الحق وغمط الناس »[1] .

وسفه الحق معناه تكذيبه وانكاره والسعى لابطاله ، وغمط الناس هو بخسهم أقــدارهم .

فالمتكبر لا يمكن أن يقبل الحق أو يذعن لمنطقه ، بل هو : « يأنف عن قبوله ويتشمر لجحده » .

والكبر : « يعني جملة من الخصال الخسيســة فى طليعتها جحد الحق » والمستكبر عن الحق يبتلى بالانقياد للباطل .

والغطرسة : خلة تأبى على صاحبها أن يستمع الى قول أو يصيخ الى دعوة أو يتنزل الى متابعة انســان ترفعا عن الاصغاء قبل أن يهديه الاصغاء الى موافقته أو انكاره » .

هــذه الصــورة للكبر والمتكبرين ومسلكهم تجاه الحق مستلهمة من القرآن الكريم : يقــول عز وجــل مخاطبــا بنى اسرائيــل : **﴿ افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون ﴾[2]** .

ويقــول : **﴿ سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ﴾[3]** .

ويقــول عن فرعــون : **﴿ واستكبر هو وجنوده فى الأرض بغير الحــق ﴾[4]** .

أما غمط الناس فهو حكم مجحف على أقدارهم . ان المتكبر يرى نفســه دائما أكبر بكثير مما هو عليه فى الواقع ، كأنه ينظر اليها من خلال مرآة مقعرة ؛ وهو يرى الآخرين أضأل بكثير مما هم فى الحقيقة ، كأنه يراهم من خلال مرآة محدبة !

---

(١) رواه مسلم والترمذى .

(٢) البقرة : ٨٧

(٣) الأعراف : ١٤٦

(٤) القصص : ٣٩

فالمتكبر يسفر عن هذه المغالطة المزدوجة فى التقويم • والعلة من وراء ذلك هى رغبـة المتكبر فى رفع نفسـه فوق الآخرين • وهـذا الرفع لا يتحقق الا بالمبالغة من جانب ، والانتقاص من جانب آخر •

فالمتواضع يحرص على أن يعرف الناس معرفة نقدية موضوعية • ولذلك يجتهد للوقوف على نواحى امتيازهم • وقبل أن يقومهم يفترض أنه يجهل الكثير من مواهبهم وفضائلهم • ومن جهة أخرى هو يحـذر الهوى والمبالغة عند تقويم نفسـه ، واذا أخطأ الآخرون فى تقويمهم له دلهم على حقيقة الأمر بنفسـه •

قال صلى الله عليه وسلم : « انما أنا عبد ، آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد »[1] •

وقال عمر الفاروق رضى الله عنه : « كل أحد أفقه من عمر »[2]
هذه طبعا خصال المتواضع فى صـورته المثاليـة ، وهى لا تكاد تتحقق بتمامها الا فى الأنبياء صلوات الله عليهم ، وفى خاصة الصالحين والأتقياء•

ومعنى هذا بايجاز أن التواضع الاسلامى مذهب نقدى فى تقويم الأشخاص والأفعال والأقوال •

والآن نستطيع التمييز بين التواضع والذلة ، وبين الكبر والعزة ؛ التواضع كما رأينـا تقويم موضوعى منصف للنفس والآخرين ؛ لكن الذلة : تقـويم مجحف متعمد للنفس ارضـاء لطرف آخر ، واظهـار لتفوقه • فالذلة ضد التواضع ، ولا يجب أن تختلط به ، ومن الخطـأ الزعم بأن التواضع الضـعة • والذلة والضعة هوان وتفريط ، والاسلام ينكرها جميعا • يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « من جلس الى غنى فتضعضع له لدنيا تصيبه ذهب ثلثا دينه ودخل النار »[3] •

---

(١) رواه أحمد فى كتاب الزهد ، ص ٢٠٦
(٢) رواه أحمد فى كتاب الزهد ، ص ١١٤
(٣) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير •

وللتواضع فى الاسلام مظاهر فعليـــة تدل عليـــه وتثبت البرء من الكبر ، وفى الوقت نفســـه تميزه من كل ما يمكن أن يختلط به من مفاهيم ؛ هذه المظاهر الفعلية أو السلوكية بينتها السنة النبـــوية قـــولا وعملا • وهى بصفة عامة أعمال يدوية من تلك التى تناط عادة بالعمال الصغار أو الخدم • هذه الأعمال تشـــير الى حقيقة نفســـية وأخلاقية أساسية هى : احساس المرء بالقيمة المحدودة لذاته ، وغياب الشـــعور الزائف بأنه أفضل أو أحسن أو أميز من سائر البشر ؛ فالشعور بالامتياز هو بحق الباعث النفسى على رذيلة الكبر •

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث هن رأس التواضع : أن يبدأ بالسلام من لقيه ، ويرضى الدون من شرف المجلس ، ويكره الرياء والســـمعة »[1] •

وكانت أعمال النبى صلى الله عليه وسلم تجسد فضيلة التواضـــع وكل الفضـــائل الأخرى •

يقول أنس ( رضى الله عنه ) : « كان رسول الله صلى الله عليـــه وسلم يعود المريض ، ويشيع الجنازة ، ويجيب دعوة المملوك ، ويركب الحمار • وكان يوم قريظة والنضير على حمار ، ويوم خيبر على حمـــار مخطوم برسن من ليف وتحته اكاف من ليف »[٣] •

وعن أبى سعيد الخدرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم : « كان يعلف البعير ، ويقم البيت ، ويخصف النعـــل ، ويرقع الثوب ، ويحلب الشاة ، ويأكل مع الخادم ، ويطحن معه اذا أعيا ، وكان لا يمنعه الحياء أن يحمل بضاعته من السوق الى أهله ، وكان يصافح الغنى والفقير ، ويسلم مبتدئا ، ولا يحتقر ما دعى اليه ولو الى حشف من تمر »[٣] •

---

(١) انظر : منتخب كنز العمال ص ٢٨٩
(٢) رواه ابن ماجـــه .
(٣) الرسالة القشيرية : جـ ١ ص ٤٣١

واقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم كان صحابته رضوان الله عليهم يقومون بمثل هذه الأعمال ، ويلزمون أنفسهم مثل تلك العادات . كان أبو بكر رضى الله عنه يحلب الشاة لجيرانه ، وكان عمر رضى الله عنه يحمل قربة الماء ، وكان عثمان رضى الله عنه — وهو يومئذ خليفة — يقيل فى المسجد ويقوم وأثر الحصباء فى جبينه ، وكان على كرم الله وجهه ورضى عنه يحمل التمر فى ملحفة ويرفض أن يحمله عنه غيره ، كما كان يدهن البعير بالقطران وكان أبو الدرداء ينفخ النار تحت القدر حتى تسيل دموعه .

صفوة القول انهم رضى الله عنهم ساروا على نهج الرسول الكريم ، فلم يستكبر منهم أحد أو يستنكف عن القيام بتلك الأعمال اليسيرة النافعة مهما كانت مكانة الواحد منهم[1] .

وكان عيسى عليه السلام يقول : « طوبى للمتواضعين فى الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة » .

ومن قبله موسى عليه السلام يروى لنا أن مما أوحاه الله اليه : « انما أتقبل صلاة من تواضع لعظمتى ، ولم يتعاظم على خلقى » .

لكأن التواضع أمانة غالية مودعة لدى أنبياء الله ورسله ، فهم يحرسونها ويحرصون عليها لتبقى وتدوم .

وقد يظن البعض ان التواضع معناه اهمال النظافة أو الثياب أو الأدوات ، أو اهمال العناية بمظهر الانسان وشكله ، وليس لهذا الظن نصيب من الحق ، لأن الله تبارك وتعالى قد قال : **﴿ يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾(٢)** .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله جميل يحب الجمال » .

---

(١) انظر : الفضائل الخلقية فى الاسلام — أحمد عبد الرحمن ابراهيم ، ص ٢٥٠ — ٢٥٥ ( بتصرف ) .
(٢) الأعراف : ٣١

ولقد يكون الانسان طهـورا فى بدنه وثيابه ، أنيقا فى شـكله ومظهره ، متمتعا بطيبات حياته ، ومع ذلك يتواضع فيصدق منه التواضع.

وينبغى أن نتذكر أن التواضع يجب أن يكون بقدر ومقـدار ، لأن الانسان اذا أسرف فى تواضعه فقد وضع نفسـه موضع السخرية أو سـوء الظن ، واذا كنا نرى من واجبنا أن نحترم الرجـل العظيم مرتين ، مرة لعظمته ، ومرة لتواضعه ، فان المسرف فى التواضع يحملنا على الاستهزاء به والاستنكار لعمله .

واذا كنا نعلم أنه ما من فضيلة الا وهى وسط بين رذيلتى الافراط والتفريط ، فان التواضع كذلك وسط له طرفان مذمومان ويقول الامام الغزالى عن التواضع : اعلم أن هـذا الخلق كسائر الأخلاق ، له طرفان وواسطة ، فطرفه الذى يميل الى الزيادة يسمى تكبرا ، وطرفه الذى يميل الى النقصـان يسمى تخاسـا ومذلة ، والوسط يسمى تواضعا ، والمحمود من يتواضع فى غير مذلة .

وجعل أبو عثمان الحيرى النيسابورى التواضع أحد أربعة أمور يصلح بها القلب فقال : « صلاح القلب فى أربع خصال : فى التواضع لله ، والفقر الى الله ، والخوف من الله ، والرجاء فى الله » وكذلك ينال المتواضع عفو الله ورحمته ونعمته[1] .

فالتواضع علامة بارزة من علامات الرجولة فى الاسلام ، فالمسلم لكى يكون رجلا لابد أن يكون متواضعا بعيـدا عن الكبر وعن المذلة ، وكيف الطريق الى اكتساب فضيلة التواضع ؟

الامام الغزالى يرسم الطريق فيذكر ما ملخصه أن الانسان يجب عليه أولا أن يتذكر بدايته : « من أى شىء خلقـه ، من نطفة خلقـه فقدره ، ثم السـبيل يسره ، ثم أماته فأقبره ، ثم اذا شـاء أنشره » ،

---

(١) انظر : موسوعة أخلاق القرآن ــ احمـد الشرباصى ، ص ٧٣ وما بعدها ( بتصرف ) .

فالانسان فى أول أمره لم يكن شيئا مذكورا ، وهو فى النهاية يصير شيئا معدوما ، وأى شىء أحسن من المحو والعدم ، ولقد كان أيضا معدوما قبل ايجاده ، ثم من الله عليه بالطاقات والهبات ولو شاء لنزعها منه : « **الم نجعل له عينين ، ولسانا وشفتين ، وهديناه النجدين** » فمن كان هذا مبتدأه ، وهذا منتهاه ، فكيف يجوز له أن يتكبر أو يتجبر ؟

وبصدق التفكر والتدبر فى هذا يفتح الانسان فى قلبه ينبوع التواضع لله ولخلقه .

نسأل الله أن يجعلنا بالتواضع ، وأن يباعد بيننا وبين التكبر ، انه ولى المخلصين .

* * *

## المبحث الثالث

### الرحمــة

الرحمة من أخلاق الاسلام ، وهى تعنى العطف والشفقة ، والحنان والرقة ، والرفق والمودة ، واللين والرأفة .

ووردت الرحمة فى القرآن الكريم وتناولت الحديث عن رحمة الله عز وجل ، وعن رحمة النبى صلى الله عليه وسلم ، وعن الرحمة بالوالدين والأرحام ، وعن الرحمة بالمؤمنين ، وغير ذلك من ألوان الرحمة المتعددة .

● **رحمــة الله تعالى :**

يقول رب العزة فى الحديث القدسى :

« انى والجن والانس فى نبأ عظيم : أخلق ويعبــد غيرى ، وأرزق ويشكر سواى !! خيرى الى العباد نازل ، وشرهم الى صاعد أتحبب اليهم بنعمتى ، وأنا الغنى عنهم ، ويتباغضون الى بالمعاصى ، وهم الفقراء الى !!

من أقبل الى منهم تلقيته من بعيد ، ومن أعرض عنى منهم ، ناديته من قريب !!

أهل ذكرى أهل مجالستى ، أهل شكرى أهل زيارتى . وأهــل طاعتى أهل محبتى ، وأهل معصيتى لا أقنطهم من رحمتى : ان تابوا الى ، فأنا حبيبهم ، فانى أحب التوابين المتطهرين . وان لم يتــوبوا ، فأنا طبيبهم . أبتليهم بالمصــائب ، لأطهرهم من الذنوب والمعائب .

الحسنة بعشرة أمثالها أو أزيد .
والسيئة بواحدة أو أعفو ، فان استغفرونى ، غفرتها لهم .
رحمتى سبقت غضبى ، وحلمى سبق مؤاخذتى .
وعفوى سبق عقوبتى ، وأنا أرحم بعبادى من الوالدة بولدها »[١].

---

(١) الاتحافات السنية ص ١٧

أرأيت هذا الجمال الأخاذ ، وهذه الروعة الرائعة !! انها نماذج من رحمة ربنا جل فى علاه . فمن أسمائه الحسنى : الرحمن الرحيم .

● **رحمة النبى صلى الله عليه وسلم :**

قال تعالى عن رحمة النبى عليه الصلاة والسلام :

— **﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾(1) .**

— **﴿ لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾(2) .**

— **﴿ وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ﴾(3) .**

وكانت رحمة النبى صلى الله عليه وسلم بالمسلمين عظيمة : عن قتادة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « انى لأقوم فى الصلاة أريد أن أطول فيها ، فأسمع بكاء الصبى ، فأتجوز فى صلاتى كراهية أن أشق على أمه »(4) .

ـــ وتدفعه رحمته صلى الله عليه وسلم ، ليصلى على كبير المنافقين ، عن ابن عمر قال : لما توفى عبد الله بن أبى بن سلول جاء ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله أن يعطيه قميصه أن يكفن فيه أباه ، فأعطاه ، ثم سأله أن يصلى عليه ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يا رسول الله ، أتصلى عليه وقد نهاك الله أن تصلى عليه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انما خيرنى الله فقال : استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان يستغفر لهم سبعين مرة ، وسأزيد على سبعين .

---

(1) آل عمران : ١٥٩
(2) التوبة : ١٢٨
(3) الأنبياء : ١٠٧
(4) أخرجه البخارى فى كتاب الأذان : جـ ٢ ص ٢٠١ رقم (٧٠٧) .

قال : انه منافق ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنزل الله عز وجل : ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ، ولا تقم على قبره [1] .

ـ ولا يخطر ببال أحد من البشر أن تمتد رحمة انسان لتشمل أعداءه !! ولكن ذلك قد كان المصطفى صلى الله عليه وسلم ؟ فعندما أسلم ( ثمامة بن أثال ) سيد أهل اليمامة قال للرسول : « والله ما كان على الأرض وجه أبغض الى من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه الى ، والله ما كان من دين أبغض الى من دينك ، فأصبح دينك أحب الدين الى ، والله ما كان من بلد أبغض الى من بلدك ، فأصبح بلدك أحب البلاد الى ، وان خيلك أخذتنى وأنا أريد العمرة ، فماذا ترى ؟ فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمره أن يعتمر .

فلما قدم مكة قال له قائل : صبوت ؟ قال : لا والله ، ولكنى أسلمت مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبى صلى الله عليه وسلم[2] .

وكانت قريش تعتمد على قمح اليمامة ، فلما عاد الى اليمامة ، نفذ ما أقسم عليه ، فمنع ارسال القمح الى قريش حتى يتبعوا محمدا عن آخرهم كما صرح لهم بذلك .

فلما أضر بهم كتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان عهدنا بك وأنت تأمر بصلة الرحم ، وتحض عليها ، وان ثمامة قد قطع عنا ميرتنا وأضر بنا فان رأيت أن تكتب اليه أن يخلى بيننا وبين ميرتنا فافعل .

فكتب اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأن خل بين قومى وبين ميرتهم .

---

(١) اخرجه مسلم فى كتاب فضائل الصحابة : جـ ٤ ص ١٨٦٥ رقم (٢٤٠٠) .
(٢) أخرجه البخارى فى كتاب المغازى جـ ٨ ص ٨٧ رقم (٤٣٧٢) .
(٣) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب : جـ ٢ ص ١٠٠

يا للخلق العظيم الذى يجب أن يقتدى به البشر !
آهذا حلم على حماقة قريش ؟
أهذا عفو القادر على الانتقام ؟
أهذا صبر على أذى الأعداء ؟
أهذه رحمة المشركين الذين آذوا النبى ومن معه ، وأخرجوهم من وطنهم مكة ؟

ان عمل النبى هنا يجمع هذه الفضائل كلها ، فهو لم يأمر ثمامة بأن يمنع القمح عن مشركى مكة ، لكن اسلام ثمامة هو الذى دفعه الى أن يعاقب قريشا بما يستطيع أن يعاقبها به ، جزاء لها على بغيها ومحاربتها للمسلمين ، وتحرشها الدائم بهم .

وقد كان من حق ثمامة أن يفعل ذلك . لكن رحمة النبى صلى الله عليه وسلم أعلى من الخصومة وأرفع من العداوة ، وأعظم من مقابلة التجويع بمثله ، فانه لم يكد يقرأ كتاب قريش حتى أرسل الى ثمامة أن يخلى بينها وبين حنطة اليمامة ، وهو يعلم أن تجويع قريش يضعفها أشد الضعف ، ويقيه شرورها ، ولعله أن يعجل بسعيها الى اعتناق الاسلام .

فهل لبعض الدول المعاصرة التى تدعى العلم والتقدم والحضارة آذان تسمع .. هل لها عقول تعى .

هذه لقطات من خلق الرحمة لدى الرحمة المهداة صلوات ربى وسلامه عليه .

**● المسلمون وخلق الرحمة :**

وصف الله رسوله والذين معه بقوله : ﴿ **محمد رسول الله ، والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم** ﴾(1) .
وعن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---
(1) الفتح : ٢٩

« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »[1] .

فالرحمة من أخلاق المسلمين ، الرحمة بمعناها الشامل .

ومن صور الرحمة :

الرحمة بذوى الأرحام .

الرحمة بالأطفال .

الرحمة بالحيوان .

وبعد فقد كانت هذه بعض صور الرحمة كما جاء بها ديننا الحنيف ولعل فيها درسا لعالمنا المعاصر الذى قلت فيه الرحمة[2] .

وينبغى لكى يكون المسلم رجلا يجب أن يكون رحيم القلب لأن للرحمة أثرها فى القلوب ، وسحرها فى النفوس ، وهى أجل أثرا وأعظم خطرا من أسلوب القوة واستعمال العنف .

والرحمة علامة بارزة من علامات الرجولة فى الاسلام ولين القول والرفق فى المعاملة مظهر من مظاهر الرحمة ، تؤلف بين القلوب وتشيع المحبة فى النفوس .

نسأل الله الرحمن الرحيم أن يجعلنا من عباده الرحماء وأن يحشرنا تحت لواء من أرسله رحمة للعالمين صلى الله عليه وسلم .

* * *

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب البر والصلة : ج ١٩٩٩/٤

(٢) انظر : أخلاقنا ــ محمد ربيع محمد جوهرى ، ص ١٢٨ وما بعدها ( بتصرف ) ــ القاهرة : دار الطباعة المحمدية ، ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥ م) .

# المبحث الرابع

## الصــــداقة

ان الاسلام دين تجمع وألفة .. ونزعة التعرف الى الناس والاختلاط بهم أصيلة فى تعاليمه **﴿ يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، ان الله عليم خبير ﴾**(1).

فلم يقم الدين على الاستيحاش أو الاختلاف ولم يدع أبناءه الى العزلة العامة والفرار من تكاليف الحياة ..

فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم** »(2) .

واعتبر الاسلام اعتزال المسلم للأمة بما يفوت عليه واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أو يضعف من جانب الدفاع عن الاسلام والمسلمين أمام الخصوم جريمة . الا اذا اضطربت البلاد وتهارش أهلها على الدنيا وانتقضت عرى الفضائل .. فان مقاطعة الفساد واعتزال الفتن فى حدود مراتب التغيير ـ التى شرعها الله ـ للمنكر من تغيير باليد فاللسان فالقلب تكون واجبة .

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الناس أفضل يا رسول الله ؟ فقال : « **مؤمن يجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله** » قيل : ثم من ؟ قال : « **رجل معتزل فى شعب من الشعاب يعبد ربه** »(3) .

---

(1) الحجرات : ١٣ (2) رواه الترمذى .
(3) رواه البخارى ومسلم .

وقد احتفى الاسلام بمشاعر الصداقة النقية ورغب فى أن تكون خالصة لوجه الله وجعل لها اذا كانت كذلك حسن المثوبة .

فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « قال الله عز وجل : المتحابون بجلالى فى ظل عرشى يوم لا ظل الا ظله »(١) .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان من عباد الله ناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله » . قالوا : يا رسول الله خبرنا من هم ؟ قال : « هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها : فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس » وقرأ : ﴿ الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾(٢) .

والحب فى الله لا يصدق من كل داع يدعيه .. بل هو خاتمة مراحل سبقته فى مراقى الايمان . تبدأ بأن يعرف الانسان ربه معرفة صحيحة ، ثم ترتقى هذه المعرفة حتى ترجح فى نفسه ما عداها ثم ترتقى الى حب الله ذاته وايثار العمل له . وعندئذ يصدق على المرء اذا حب أو كره بأنه أحب لله وكره لله فيستحق بذلك الحب والكره أجل الجزاء من الله سبحانه وتعالى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من رجلين تحابا فى الله بظهر الغيب الا كان أحبهم الى الله أشدهما حبا لصاحبه »(٣) .

ـ لهذا يعد عقد الصداقة من العقود الكبيرة القيمة ، الجليلة الأثر لذا أرشدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحس البداية فأمرنا بتخير الجليس فقال : « مثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك ان لم يصبك منه شىء أصابك من ريحه ، ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير ان لم يصبك من سواده أصابك من دخانه »(٤) .

---

(١) اخرجه احمد .
(٢) يونس : ٦٢
(٣) رواه الطبرانى .
(٤) رواه ابو داود .

وقال تعالى : ﴿ **ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا . يا ويلتى لم اتخذ فلانا خليلا** ﴾(١) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم الى من يخالل »(٢) .

ومما لا شك فيه أن لتجانس المزاج وتوافق التفكير مدخلا كبيرا فى تأسيس الصداقات وتوثيق الأواصر ، وقد قيل : « رب أخ لك لم تلده أمك » .

ويصدق هذا الحديث الشريف : « الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف »(٣) .

ـ لكن هذه العاطفة يجب أن يحكمها سلطان العقيدة . هذا السلطان الذى يستوحيه المؤمن من اتجاهات قلبه كلها فيجعله يحب فى الله من أهل الخير من لم يطالع لهم وجها لبعد الشقة أو لسبق الزمن ، ويكره كذلك من أهل الشر من لم يخالطهم فى حضر أو سفر ، لا لشىء الا لأنه يود الأخيار ويكره الأشرار ، واتجاهات القلب على هذا النحو الخالص ترفع صاحبها درجات تفوق منزلته التى يستحقها بعمله فعن أبى ذر قال : قلت يا رسول الله : الرجل يحب القوم ولا يستطيع أن يعمل عملهم قال : « أنت يا أبا ذر مع من أحببت »(٤) .

وقد أرشدنا الاسلام الى أمور من شأنها أن تقوى الصداقة الحقة وتدعمها .

منها التزاور فى الله : فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان رجلا زار أخا له فى قرية فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكا فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخا لى فى هذه القرية . قال : هل لك عليه من نعمة تربها ؟ قال :

---

(١) الفرقان : ٢٧ ، ٢٨

(٢) رواه أبو داود .

(٣) رواه البخارى .

(٤) رواه الترمذى .

لا ، غير أنى أحببته فى الله تعالى . قال : فانى رسول الله اليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه »[1] .

* كما حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على تبادل الهدايا بين الأصدقاء ، لأنها تقوى أواصر المودة وتذهب الضغينة من النفوس . فقال صلى الله عليه وسلم : « تهادوا فان الهدية تذهب وحر الصدر »[2].

كما حارب الاسلام التصنع وكل مسلك ينطوى على الاحراج والمداهنة .. وسمح بأن تحاط الصداقة بألوان من المجاملة التى يحسن مظهرها بعد أن يطمئن الى جوهرها لتكون وسيلة لتيسير الحياة وتخفيف متاعبها .

فعنه صلى الله عليه وسلم قال : « خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره »[3] .

* ومن سنن الاسلام فى الصداقة التواصى بالحق والتعاون على الخير .. وقد جعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك سياجا يحفظ ما بينهم من مودة ويقربهم من غفران الله ورضوانه .

فعن أبى قلابة رضى الله عنه قال : « التقى رجلان فى السوق فقال أحدهما للآخر : تعال نستغفر الله فى غفلة من الناس ففعلا فمات أحدهما فلقيه الآخر فى النوم فقال : علمت أن الله غفر لنا عشية التقينا فى السوق »[4] .

هكذا عنى الاسلام بالصلات التى تربط الانسان بأشخاص يؤثرون فيه ويتأثرون به[5] .

---

(1) رواه البخارى .  (2) رواه الترمذى .
(3) رواه الحاكم .  (4) رواه ابن ابى الدنيا .
(5) انظر : مجلة التوعية الاسلامية : السنة الخامسة عشرة العدد ( ٧ ) بتاريخ ١٤٠٩/١٢/٢ هـ نظرة الاسلام الى الصداقة / عبد الفتاح محمد احمد جـ ٢ : ص ( ٤٨ ) .

ومن الجدير بالذكر ان الصداقة من الصفات الحميدة التى يتحلى بها المسلم لكى يكون رجلا بمعنى الكلمة لأن المسلم الحكيم العفيف الشجاع السخى ذو الهمة العالية محبوب من الله ومن الرسول وكذلك محبوب من الناس ..

فمن الرجولة أن تعقد بعض الصداقات مع اخوانك المسلمين اذا لقيتهم ألقيت عليهم السلام .. وان غابوا عن الصلاة فى المسجد سألت عنهم .. واذا مرضوا زرتهم .. وان ماتوا عودتهم .

فاحرص أخى المسلم أن تكون رجلا فى كل صداقاتك متحليا بكل الفضائل مبتعدا عن الرذائل حتى تكون عنصرا هاما فى المجتمع . محبوبا من كل الاخوان والأصدقاء .. ان الصديق الوفى يستمر فى عطائه الروحى والوجدانى والمادى لصديقه أو لأبنائه من بعده ؛ ويشتد وفاؤه أو يقصر حسب قواه الروحية . ولدينا سبب يفسر لنا ندرة الأصدقاء الأوفياء وقلة الوفاء وقصر أجله ، لأن الوفاء للصديق عطاء من طرف واحد ؛ هو صداقة بدون صديق .

والوفاء للصديق بهذا الوصف فضيلة عليا بمعنى الكلمة . فهو عطاء روحى ووجدانى ومادى لا ينتظر ردا ولا يتوقع أجرا . ان الصديق يستمر فى سؤاله عن صديقه ، وفى اتصاله به ، والاهتمام بأمره ، ومعاونته وتقديره ، والابتهاج له وبه ، وهذا العطاء وهذا الحب وهذا التقدير لا يفرضه العدل ولا يوجبه ، ومن ثم كان فضيلة خلقية عليا[1] .

***

---

(١) انظر : الفضائل الخلقية فى الاسلام / احمد عبد الرحمن ابراهيم ص ( ٢٢٢ ) .

# المبحث الخامس

## صلة الرحم

الحمد لله الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وأوجب صلة الأنساب وأعظم فى ذلك أجرا وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة أعدها ليوم القيامة ذخرا وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أعظم الناس قدرا وأرفعهم ذكرا صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين قاموا بالحق وكانوا به أحرى وعلى التابعين لهم باحسان وسلم تسليما .

أيها الناس اتقوا الله تعالى وصلوا ما أمر الله به أن يوصل من حقوقه وحقوق عباده صلوا أرحامكم والأرحام والأنساب هى الأقارب وليسوا كما يفهم بعض الناس أقارب الزوج أو الزوجة فان أقارب الزوج أو الزوجة هم الأصهار فأقارب زوج المرأة أصهار لها وليسوا أنسابا لها ولا أرحاما وأقارب زوجة المرء أصهار له وليسوا أرحاما له ولا أنسابا انما الأرحام والأنساب هم أقارب الانسان نفسه كأمه وأبيه وابنه وابنته وكل من كان بينه صلة من قبل أبيه أو من قبل أمه أو من قبل ابنه أو من قبل ابنته .

صلوا أرحامكم بالزيارات والهدايا والنفقات صلوهم بالعطف والحنان ولين الجانب وبشاشة الوجه والاكرام والاحترام وكل ما يتعارف الناس من صلة .

ان صلة الرحم ذكرى حسنة وأجر كبير انها سبب لدخول الجنة وصلة الله للعبد فى الدنيا والآخرة اقرأوا ان شئتم قول الله تعالى :

**﴿ انما يتذكر أولوا الألباب . الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق . والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء**

**الحساب . والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلاة وانفقـوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة ، اولئك لهم عقبى الدار . جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم ، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار »(١).**

صلة الرحم سبب لطول العمر وكثرة الرزق قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من سره أن يبسط له فى رزقه وأن ينسأ له فى أثره ، فليصـــل رحمه »(٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحمـــة فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال الله نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى قال فذلك لك »(٣) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الرحم متعلقة بالعرش تقول من وصلنى وصلة الله ومن قطعنى قطعه الله »(٤) .

ولقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن صـــلة الرحم أعظم أجرا من العتق ففى الصحيحين عن ميمونة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت يا رســـول الله أشـــعرت أنى أعتقت وليدتى قال أو فعلت قالت نعم قال أما أنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك »(٥) .

ان بعض الناس لا يصـــل أقاربه الا اذا وصلوه وهذا فى الحقيقة ليس بصلة فانه مكافأة اذ أن المروءة والفطرة الســـليمة تقتضى مكافأة من أحسن اليك قريبا كان أو بعيدا .

يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « ليس الواصل بالمكافىء ولكن الواصل اذا قطعت رحمه وصـــلها »(٦) .

---

(١) الرعد : ١٩ — ٢٤
(٢) متفق عليه .
(٣) رواه مسلم .
(٤) متفق عليه .
(٥) رواه البخارى ومسلم .
(٦) متفق عليه .

فصلوا أرحامكم وان قطعوكم وستكون العاقبة لكم عليهم فقد جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لى قرابة أصلهم ويقطعونى وأحسن اليهم ويسيئون الى وأحلم عليهم ويجهلون على فقال ان كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ — أى الرماد الحار — ولا يزال معك من الله ظهير عليهم أى معين عليهم ما دمت على ذلك »[1] .

واحذروا أيها المؤمنين من قطيعة الرحم فانها سبب للعنة الله وعقابه يقول الله عز وجل : ﴿ **فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم . أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم** ﴾(٢).

ويقول تعالى : ﴿ **والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض ، أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار** ﴾(٣) .

وقد تكفل الله سبحانه للرحم بأن يقطع من قطعها حتى رضيت بذلك وأعلنته فهى متعلقة بالعرش تقول من قطعنى قطعه الله .

وعن جبير بن مطعم رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يدخل الجنة قاطع يعنى قاطع رحم »[4] .

وأعظم القطيعة قطيعة الوالدين ثم من كان أقرب فأقرب من القرابة، ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاث مرات قلنا بلى يا رسول الله قال : الاشراك بالله وعقوق الوالدين » سبحان الله ما أعظم عقوق الوالدين ما أشد اثمه انه يلى الاشراك بالله تعالى ان عقوق الوالدين قطع برهما والاحسان اليهما وأعظم من ذلك أن يتبع قطع البر بالاساءة والعدوان سواء بطريق مباشر أم غير مباشر .

فيا عباد الله يا من آمنوا بالله ورسوله انظروا فى حالكم انظروا فى أقاربكم هل قمتم بما يجب لهم عليكم من صلة هل ألنتم لهم

---

(١) رواه مسلم .
(٢) محمد : ٢٢ ، ٢٣
(٣) الرعد : ٢٥
(٤) متفق عليه .

الجانب هل أطلقتم الوجوه لهم وهل شرحتم الصدور عند لقائهم هـل قمتم بما يجب لهم من محبة وتكريم واحترام هل زرتموهم فى صحتهم توددا أو هل عدتموهم فى مرضهم احتفاء وسـؤالا ، هل بذلتم ما يجب بذله لهم من نفقة وسـداد حاجة فلننظر .

ان من الناس من لا ينظر الى والديه اللذين أنجباه وربياه الا نظرة احتقار وسـخرية وازدراء يكرم امرأته ويهين أمه ويقرب صديقه ويبعد أباه اذا جلس عنـد والديه فكأنه على جمر يستثقل الجلوس ويستطيل الزمن اللحظة عندهما كالسـاعة أو أكثر لا يخاطبهما الا ببطء وتثاقل ولا يفضى اليهما بسر ولا أمر مهم قد حرم نفسـه لذة البر وعاقبتـه الحميدة . وان من الناس من لا ينظر الى أقاربه نظرة قريب لقريبـه ولا يعاملهم معاملة تليـق بهم يخاصمهم فى أقل الأمور ويعاديهم فى أتفه الأشـياء ولا يقوم بواجب الصـلة لا فى الكلام ولا فى الفعال ولا فى بذل المـال تجده مثريا وأقاربه محتاجين فلا يقوم بصلتهم بل قد يكونون ممن تجب نفقتهم عليه لعجزهم عن التكسب وقدرته على الانفاق عليهم فلا ينفق وقد قال أهل العلم كل من يرث شخصا من أقاربه فانه تجب عليه نفقته اذا كان محتاجا عاجزا عن التكسب وكان الوارث قادرا على الانفـاق لأن الله تعـالى يقـول : ﴿ **وعلى الوارث مثل ذلك** ﴾[1] أي مثل ما على الوالد من الانفاق فمن بخل بما يجب عليـه من هذا الانفاق فهو آثم محاسب عليـه يوم القيامة سـواء طلبه المستحق منـه أم اسـتحيا وسكت .

« عباد الله اتقوا الله وصـلوا أرحامكم واحـذروا من قطيعتهم واستحضروا دائما ما أعد الله تعالى للواصـلين من الثواب وللقاطعين من العقاب واستغفروا الله انه هو الغفور الرحيم »[2] .

---

(١) البقرة : ٢٣٣ .

(٢) أنظر : الضياء اللامع من الخطب الجوامع / محمد بن صالح ابن عثيمين / القـاهرة : دار الريان للتراث ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م ، ص ( ٥٠٥ ) بتصرف .

ولكي يكون المسلم رجلا بمعنى الكلمة يجب أن يصل رحمه ببذل المعروف والاحسان الى الوالدين أولا ثم الى الأقارب ثم الى الناس جميعا بالقول والفعل والمال . فالاحسان بالقول : اللين واللطف في المخاطبة مستصحبا كل لفظ طيب يدل على اللين والتكريم ، أما الاحسان بالفعل فهو قضاء الحوائج وتيسير الأمور في غير ما يضرك في دينك أو دنياك .

أما الاحسان بالمال أن تبذل من مالك ما يحتاجان اليه ، طيبة به نفسك ، منشرحا به صدرك غير متبع بمنة ولا أذى .

هذه الصلة هي علامة بارزة من علامات الرجولة في الاسلام وفقنا الله جميعا لبر أمهاتنا وآبائنا ورزقنا في ذلك الاخلاص وحسن القصد والسداد انه جواد كريم .

* * *

# المبحث السادس

## الحـــرية

مفهوم الحرية : يسلم الفقـه بأن الحرية هي الأصـل العام لكل الحقوق ، ولذلك يجرى التعبير عن الحرية بمعنى الحق ، والعكس صحيح أيضا كمعنيين مترادفين لشيء واحـد[1] .

أي شـوط قطعه الاسلام بالانسان .. هذا الأسير العانى .. في طريق الحرية .

لكي نذرع هذه المسافة ذرعا صحيحا يجب أن تحدد أولا النقطة التى بدأ الاسلام منها المسير ، والنقطة التى انتهى اليها ، هنالك تستبان المسـافة .

لقد بدأه من أعمق أعماق العبودية .. بدأه من أسفل الدرك .. حين كان الانسـان عبدا لحجر يقتطعه من صخرة ، ويسويه وينصبه ، ثم يسجد له ويناجيه فى ذلة .. ويناديه فى خشـوع : أى ربى .. والذى يقبل أن يكون عبدا للحجر ، يهون عليه أن يكون عبدا للشجر ، أو عبدا لحيوان ، أو عبدا لأى مظاهر من مظاهر الطبيعة فى الأرض أو فى السـماء ، أو عبدا لانسان مثله يقول له : أنا ربك الأعلى .. وقد كان الانسان عبدا لكل أولئك ...

هذه هى نقطة البداية .. من هنا بدأ الاسـلام مسيرة فى طريق الحرية ، وقد شد اليه الانسان الجاثى على ركبتيه أمام معبوده الذى لا يسمع ولا يبصر ، وان سمع أو أبصر فهـو لا يملك لنفسـه ضرا ولا نفعا ، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا .. » .

---

(١) انظر : حقـوق الانسـان / حسـن على ـ الكويت : وكالة المطبوعات ، ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م ، ص ٧١

أما النقطة التى انتهى اليها فهى ليست النقطة التى تقف عنـدها الحرية اليوم فى العالم ، فاليوم لا حرية .. والا فأين هى ؟ ولكنها النقطة التى بلغها الانســان فى ظـل الاســلام حين دعا الى الحرية بأوسع معانيها ، وحين أثمرت هذه الدعوة ثمراتها ، فوقف فوق أعلى قمة منها وركز عليها لواءه وهو يهتف ويقول أنا سيد نفسى .. لم أعد عبدا لأحد .. ولا عبدا لشىء ... لست عبد عبد ، كلنا سواء بعد عبوديتنا جميعا لله .

والمسافة بين النقطتين هى الشوط الذى قطعه الاسلام بالانســان فى طريق الحرية ، وانها لمســافة الطريق كلها قد كانت النقطــة التى بلغها هى نهاية الطريق .

لقد دكت العبودية على يد الاسلام ، دكا دكا ، وجاءت مواكب الحرية وأضواؤها ونسائمها فى ظله صفا صفا .

أما رجعة الانسان الى الوراء من بعد ، وتنازله أو تفريطه فيمـا أحرز على يد الاســلام .. أما انتكاسته فلا شأن للاسلام به ، ولا يسأل عنه الا الانســان نفســه ..

أعلن الاسلام للانسان حقـوقه فى الحرية بجميع أنواعها ، على صورة لم يسـبقه اليها ســابق ، وباطلة كل دعوة تغاير هذا ، وزيفا فى اضمامات التاريخ كل حديث لا يستقى من نبع هذا المعنى الصادق ولا يقرر أن الاســلام قـد قدس الحرية لذاتها وليرفع بها من شــأن الانسان .. قدسها كوسيلة وكغاية .

وتقديس الاسلام للحرية هو الذى جعله فى طول ملكه وعرضه .. من الصين شرقا الى الأندلس غربا ، يتسـع لكل جنس ولون ، وكل ملة ونحلة ، تعايشــه وتجاوره وتصــادقه آمنة مطمئنة . وهو الذى أقام حضارة فذة ، دونها حضارة القرن العشرين فى كثير من النواحى .

ومن نافلة القول أن نذكر أن الاسلام لم يعلن مجرد كلمات أو نصوص للحرية ، لكنه أعلن معها وسائل حياتها ومقومات بقائها نافذة المفعول ، وأقام عليها حراسة من عقوبات مقررة على كل معتد أثيم ، وقام عليها سدنة من ايمان بها عميق ويقين مقيم .

كان سدنة الحرية فى الاسلام قوما نبلاء ، آمنوا بها واستعذبوا كل عذاب فى سبيلها ، وقاوموا كل عادة أو خليقة أو عقيدة استعبدت الناس وطاردوا كل أسلوب فى الحياة وضيع نزل منهم منزلة اليقين لأنهم وجدوا عليه آباءهم ..

## ● الحرية الشخصية :

خذ اليك مثلا الحرية الشخصية ، أو حق الحياة :

كانت الاناث من الأولاد يقتلن ، وكان الضعفاء والعبيد ومن يرتكبون أمورا لا ترضى السادة .. كان هؤلاء عرضة لأن يقتلوا غرقا أو حرقا أو رميا من حالق ، وكانت غارات تشن وأرواح تزهق ، وحرمات تستباح ، وكان ذلك من لهو الحياة ولعبها .. وكل ملك لكأن هو ملك لمن أراد السلب أو أغرم بالنهب .

فجاء الاسلام يضع حدا لهذا ويقول : ﴿ **ولا تقتلوا أولادكم** ﴾(١) .

﴿ **ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق** ﴾(٢) .

﴿ **ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما** ﴾(٣) .

﴿ **من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا** ﴾(٤) .

ويقول صلى الله عليه وسلم : « كل المسلم على المسلم حرام .. دمه .. وماله .. وعرضه .. » .

---

(١) الأنعام : ١٥١
(٢) الأنعام : ١٥١
(٣) النساء : ٩٣
(٤) المائدة : ٣٢

هذا هو حق الحياة أو حق البقاء للانسان فى الاسلام ، وهـذه هى حريته الشخصية التى لا تمس .

● **حرية العقيدة :**

ولم تك قبل الاسلام حرية فى العقيدة ، ولا فى ممارسة الشعائر الدينية ، فجاء الاسلام يعلن أن ﴿ **لا اكراه فى الدين** ﴾(1) ويبيح للعقائد المخالفة للاسلام والمقيم أصحابها فى أرض مسلمة أن ترعى كما تشاء ، مستمتعة بكامل حرياتها فى غير خشية على روح أو مال أو عرض أو رأى .

استمع الى قول الله تعالى : ﴿ **ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** ﴾(2) .

والى قوله تعالى : ﴿ **فذكر انما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر** ﴾(3) .

**وقوله** تعالى : ﴿ **ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء** ﴾(4) .

والى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من قتل قتيلا من** أهل الذمة لم يرح رائحة **الجنة** » .

● **حرية البحث :**

ولم يكن هناك ما يكفل للانسان حرية البحث ، وكانت أمم تحرق بالنار كل من يتجرأ ويبحث ثم يبلغ درجة من درجات الادراك الجديد لم يألفها الناس ، وخاصة كبراؤهم ، من قبل ، فجاء الاسلام وأباح هذه الحرية وكفلها وجعلها حقا لكل فرد ، أية كانت عقيدته وكان مذهبه .

● **حرية الرأى :**

فاذا انتقلنا الى حرية الرأى ، أو حرية التعبير بالقول والكتابة

---

(1) البقرة : ٢٥٦ — (2) يونس : ٩٩
(3) الغاشية : ٢١ — ٢٢ — (4) البقرة : ٢٧٢

والنشر ، ألفينا أنفسنا أمام أعلى صرح شاده لها الاسلام • يقول الله تعالى :

**﴿ ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، واولئك هم المفلحون ﴾(١) •**

**﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾(٢) •**

وفى قوله تعالى : **﴿ وشاورهم فى الأمر ﴾(٣)** دعوة الى حرية الرأى ومناهضة للاستبداد والتحكم •

وفيما مضى من آى الذكر الحكيم وفى الحديثين التاليين الكفاء :

« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » •

« لا يحقرن أحدكم أن يرى أمرا لله فيه مقال فلا يقول فيه ، فيقال له يوم القيامة : ما منعك أن تكون قلت كذا وكذا ؟ فيقول : مخافة الناس •• فيقول الله : اياى أحق أن تخاف » •

وفى مجال الممارسة والتطبيق لهذه الحرية تجد الروائع ، من نوع موقف رجل وامرأة مع عمر ، فأما أولهما فيعقب على قول أمير المؤمنين « من رأى منكم فى اعوجاجا فليقومه » بقوله : « والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » •

وأما المرأة فتعارض أمير المؤمنين فى رأى له علنا فيقول قولته الشهيرة : « أخطأ عمر وأصابت المرأة » •

كل أولئك يدل على دعوة الاسلام الى حرية الرأى وكفالته لها ، وحق كل فرد فيها ، كما يدل على تغلغل هذه المعانى فى نفوس المسلمين ، وتمكنها منهم حاكمين ومحكومين •

*** 

(١) آل عمران : ١٠٤ (٢) التوبة : ٧١

(٣) آل عمران : ١٥٩

## ● حـرية التفكير :

وحرية الرأى الذى تحدثنا عنها فيما مضى تسبقها حرية التفكير ، وهى مرتبطة بها ارتباطا وثيقا ، وقد أعلن الاسـلام أن لكل فرد حقـه فى أن يفكر فيما يشـاء حرا طليقا دون قيـد من رأى لغيره ، وجرى الاسلام فى هـذا الى أبعـد حـد حين أخـذ يحث على التفكير فى السموات والأرض وما فيهما ، وفى النفس البشرية ، وفى الخلق وكيف بدأه ؟ وغير ذلك ، ويندد باهمال العقل وتجريده من واجبه فى التفكير والتأمل ، ويهيب بالناس أن يركنوا الى العقل فى التحاكم والمحاجـة والجدل ، غير خاشـين بأسـا فى هذا ولا عنتا .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم مستحثا على التفكير ومغريا به : « إن الله تجاوز لأمتى عما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تكلم »[1].

ومما لا شـك فيه أن للتوحيد الذى جاء به الاسلام أثره فى تحرير الفكر من كل قيـد يقيده .

هذه هى الحرية التى منحها الاسلام لكل فرد ، والتى اتخـذها دعامة لمـا سن الناس من نظم .. هى الحرية بشتى أنواعها .

ولكى يكون الانسان المسلم رجلا يجب أن تكون الحرية مبدأ من مبادئه لأن الحرية تحفظ كرامة الفرد وتجعله لا يفرط فى أى حـق من حقوقه التى كفلها الاسـلام للانسان .

فالحرية تجعل الانسان يتمسك بالفضائل ويبتعد عن الرذائل .. وكلما تمسك الانسان وتحلى بجملة من الفضائل اقترب من الكمـال فى كل شىء . والحرية علامة بارزة من علامات الرجولة فى الاسلام ..

---

(١) انظر : حقوق الانسان بين الشرق والغرب / محمد شـاهين حمزة ـ القاهرة : مطبعة حليم ، ١٩٥٧ ، ( ص ١٩٦ بتصرف ) .

# الفصل الخامس

## الرجولة

- الرجولة .
- الرجولة فى الاسلام .
- الرجولة فى ميزان الاسلام .
- الرجولة فى الدين .
- كلمتان .
- مفاهيم قرآنية للرجولة والرجال .

# المبحث الأول

## الرجــولة

الرجولة مجموعة من الصــفات النفسية والخلقية والعقلية تنسقها وتوجهها عقيدة تقدس الحــق ، وتفنى فى ســبيله ، وتعرف الواجب وتنهض لأدائه مهما كلفها من نصب ، وتهيم بمعالى الأمور ، وتترفع عن سفاسفها • وليست الرجولة ارادة قوية تظلم وتبطش ، ولا رحمة رخوة تمالىء فى الحق وتجامل على حســابه ، ولا عقلا محتالا يبرر الدنيــة ويتلمس المعاذير لقبول الهوان والصغار •

وتتجلى الرجولة بأكمل معانيها وصــورها الحية فى الرجل الأول والنبى والرســول الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم ، فحياته كلها كانت عنوانا على الرجولة الحقة وهو القائل : «والله لو وضعوا الشــمس فى يمينى والقمر فى يســارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته » •

وما أشد حاجتنا فى هذه الظروف التى تتعرض فيها الأمة الاسلامية للمؤامرات الى التذكير بموقف من المواقف الحاسمة للرســول صلى الله عليه وسلم اعتصم فيه بالحق فلم ينكص عنه لقلة جنــده ولم يتهيب عدوه لشدة بطشه •

روى ابن اســحاق عن عبــد الله بن عمرو بن العاص : أنه حضر قريشــا يوما وقــد اجتمع أشرافهم فى الحجر ، فذكروا رســول الله فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط • ســفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا ••

لقد صبرنا على أمر عظيم فبينما هم فى ذلك اذ طلع رسول الله ، فأقبل يمشى حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفا بالبيت ، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول ، فعرف ذلك فى وجهه ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها ، فوقف ، ثم قال : « أتسمعون يا معشر قريش ، أما والذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح » فأخذت القوم كلمته حتى ما فيهم رجل الا كأنما على رأسه طائر واقع حتى ان أشدهم وصاه فيه قبل ذلك ليرفؤه ، ويلاطفه بأحسن ما يجد من القول حتى أنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم والله ما كنت جهولا .

وقد غنى تاريخ المسلمين برجال كانوا هامة الشرف وعنوان المجد .. استعلوا على مغريات المال والجاه والحكم ، ووقفوا مواقف كان الموت فيها قاب قوسين أو أدنى منهم ، فامتدت بهم الحياة وجاءتهم الدنيا طائعة ، ولو أن رجولتهم خانتهم ، فتخلوا عن واجبهم ، واستسلموا لشهوات السلطان وآثروا العافية ، على مشقات الجهاد وتكاليف العزة والحرية ــ لتغير وجه التاريخ وكانوا أمثلة للأجيال من بعدهم .

ونذكر فى هذا الصدد موقف أبى بكر خليفة رسول الله فى حروب الردة فقد أثارته ردة المرتدين ، وأغضبته أشد الغضب وهو الرجل الرقيق الوديع ، ورفض أن يلين ويقبل منهم جزءا من الاسلام ويتسامح فى جزء آخر منه ، وصمم على الحرب ولم يقبل الا الاسلام كله ، كلا من غير أن ينقص منه شىء وقد كان هذا الموقف للصديق مفخرته الكبرى التى انفرد بها فى تاريخ الدعوة الاسلامية بغير شريك .

والرجولة ليست صفة كمال فى الفرد ــ وجودها وفقدانها فيه لا يقدح فى شخصيته ــ لا أنها صفة أساسية فيه فالناس اذا فقدوا أخلاق الرجولة صاروا أشباه رجال غثاء كغثاء السيل .. ذباب يتهاوى .. طبل أجوف .. جعجعة ولا طحن .. قديما قال العرب : « ترى الفتيان كالنخل ، وما يدريك ما الدخل » .

والأمة الاسلامية لا تحتاج الى علم ، ولا تفتقر الى ثروة بقـــدر ما تحتاج الى رجولة ، وهى لم تؤت من قلة عـــددها ، ولا من ضـــيق رقعتها ، ولا من جدب أراضيها ، وانما أصـــابها الضعف والوهن ودب فيها داء الأمم من تهالكها على الشـــهوات ، وتقاتلها على الجاه والمركز وشـــيوع الملق والنفاق بين القادة والجماهير على حد سواء •

وأخلاق الرجولة من أساسيات الزعامة الناجحة والقيـــادة الظافرة فهى تفرض على القـــائد والزعيم أن يفكر فى أمته قبـــل أن يفكر فى نفســـه • وأن يرى المنصب وسيلة للخدمة العامة لا للجاه والثراء وأن يتخلى عن مركزه عندما يشـــعر بأن غيره أقدر منه على حمل العبء والنهوض بالمســـئولية • وكل فرد فى الأمة محتاج الى هذه الأخلاق مهما كان مستواه الاجتماعى ووضعه الوظيفى والمهنى فى المجتمع ، ففى الرجولة متسع للجميع وهى ميدان فسيح تتنافس فيه الأمة علماء وساسة ، أدباء وفنانين ، مدرسين وطلبة ، تجارا وصناعا ، وأقواهم رجولة أقدرهم على خدمة أمته وأنفعهم للناس •

● **نظـرة لغـوية :**

واذا كانت الألفاظ وعاء للمعانى — كما يقول العلماء — فان مادة هذه الكلمة ( ر• ج• ل ) تدل بأصـــل وضعها فى اللغة على طائفـــة كبيرة من المعانى غير الذكورة المقابلة للأنوثة فى بنى الانسان •

تقول العرب فى المفاضلة بين الاثنين وتفوق أحدهما على صاحبه ( أرجل الرجلين ) وللدلالة على القدرة على التصدى للأحداث والتفرد بحل المشكلات تقول : « رجل الساعة » وفى ختام المباهاة بالشرف والثناء تقول : ( هو من رجالات قومه ) وعنـــدما وصفت السيدة عائشـــة رضى الله عنها ببعد النظر وســـداد الفكر وأصالة الرأى قيل : « كانت عائشة رجلة الرأى » • وعند الاشارة بالاعتزاز بالنفس والاعتداد بها وقدرتها على تحمل الصعاب ومواجهة الأخطار يقول الشاعر العربى :

وانما رجــل الدنيــا وواحــدها      من لا يعول فى الدنيا على أحد

واذا رجعنا الى المواضع التى وردت فيها هذه المــادة فى القرآن الكريم وجدنا أنها فضلا عن دلالتها على النوع أفادت فى كثير من هذه المواضع معانى أخرى تتجه بالنوع الى السمو والامتياز •

استعمل القرآن الكريم ( رجالا ) وصفا للمصطفين الأخيار الذى اختارهم الله من الناس وابتعثهم لقيادة الأمم وتحرير الشعوب وهداية الانسانية وتكرر هذا الاســتعمال فى عــدة آيات من كتــاب الله •
قال ســبحانه : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم** ﴾(١) •

وساق الكتاب العزيز هذه الكلمة وصفا للأطهار والأبطال قال تعالى:

﴿ **فيه رجال يحبون أن يتطهروا ، والله يحب المطهرين** ﴾(٢) •

وقال جل شــأنه : ﴿ **رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وأقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار** ﴾(٣) •

وقال عز من قائل : ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا** ﴾(٤) •

والوصف بالرجولة فى القرآن الكريم فى هذه المواطن وفى المواقف التى يتوارى فيها الجبناء ليس عفــوا ، بل هو تعبير مقصــود يوحى بمقومات هذه الصفة من جرأة فى الحق ومناصرة للقائمين عليه قال تعالى :
﴿ **وجاء رجل من أقصا المدينة يسعى ، قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين** ﴾(٥) •

وقال عز شــأنه : ﴿ **وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى ، قال يا قوم اتبعوا المرســلين** ﴾(٦) •

وقال ســبحانه : ﴿ **وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم** ﴾(٧) •

واذا انتقلنا من القرآن الى السنة النبوية رأينا رسول الله صلى

---

(١) يوسف : ١٠٩
(٢) التوبة : ١٠٨
(٣) النور : ٣٧
(٤) الأحزاب : ٢٣
(٥) القصص : ٢٠
(٦) يس : ٢٠
(٧) غافر : ٢٨

الله عليــه وسلم يتطلع الى الرجولة التى تناصره وتعتز بها دعــوته ، ويسألها ربه فيقول : اللهم أعز الاســلام بأحب الرجلين اليك • عمر بن الخطاب أو عمر بن هشام ، فيستجيب الله دعاءه فى الرجل عمر ، فما هى معالم الرجولة التى استشفها رســول الله فى عمر ؟ وما أثرها فى نشر الدعوة واعزاز الاسلام • كان اســلام عمر حدثا كبيرا فى تاريخ هــذا الدين ولو أن آلافا من عامة الناس أســلموا ما عدلوا عمر ولا قاربوه .

بدت رجولته فى اللحظة الأولى من اسـلامه فبعد أن كان المســلمون لا يجرءون على الجهر بدينهم جهروا به ، وكانت الدعوة من وراء حجاب فأرادها عمر علانية •• حمل نفسه على كفه دفاعا عن عقيدته • وصمم على أن يموت وتعلو كلمة الاســلام • فكانت الثانية •• قال ابن عباس : « لمــا أسلم عمر قال : المشركون قد انتصف القوم اليوم منا » • وقال ابن مسعود : « ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر » ، ولم تكن رجولة عمر فى قوة بدنه ولا فى فروســيته ، فقد كان فى قريش من هو أقوى منــه بدنا وأشــد قتالا ، ولكن رجولته كانت فى نفســه الكبيرة التى تشبع الرهبة وتبعث على التقدير والاكبار •• هاجر الصحابة خفية أما عمر فقد تقلد ســيفه ومضى الى الكعبة فطاف ، وصلى فى المقام ، وأعلن هجرته على ملأ من قومه ، وقال لهم : « من أراد أن تثكله أمه وييتم ولده ويرمل زوجته فليتبعنى وراء هذا الوادى » • فما تبعه أحد منهم • وتمضى الأيام وتتوالى الأحداث فتنكشف خصائص الرجولة فيه ويتجلى عدله وقدرته على تحمل المســئولية كاملة ، ويتألق ذهنــه وصفاء عقله وســداد رأيه ، فينزل القرآن الكريم موافقــا له فى أكثر من عشرين موقفا ، وقد روى فى هــذا الباب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون — فان يك فى أمتى أحد فانه عمر » •

وقديما نظر الشــاعر العربى الى الناس نظرة فاحصــة ، يبحث عن مقاييس الرجولة ، فلم يجدها فى الشــكل والمظهر ، ووجدها فى الحقيقة والمخبر فقال :

ترى الرجل النحيف فتزدريه وفى أثوابه أسـد هصـور
ويعجبـك الغرير فتبتليـه فيخلف ظنـك الرجل الغرير

وبعد هذا العرض السريع لمفهوم الرجولة ، ومقـوماتها ومظاهرها وأثرها فى حياة الأمة ، وبعد اللفتة العابرة الى هـذه المـادة فى اللغة . بقيت الاشـارة الى أن الرجـولة ليست وحيـا يوحى ، ولا معجزة يعجز البشر عن تحصيلها ، بل هى دانية للعقيـدة المكينة ، والتربيـة الصحيحة والقدوة الحسـنة ، وهى مهمـة يتعاون على تحقيقها البيت ومعاهد التعليم[1] .

وأعتقد أن لفظ رجل فى القرآن الكريم لم يأت هكذا ، ولكنـه أتى وصحبه موقف والرجل كل الرجل لابد أن يكون صاحب موقف .. ويأتى على رأس الرجال أصـحاب المواقف .. الأنبيـاء والمرسـلون والأمثلون من الصالحين والمصلحين واليكم بعض الأمثلة :

**١ ــ مؤمن آل فرعون :**

**﴿ وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ، وان يك كاذبا فعليه كذبه ، وان يك صـادقا يصـبكم بعض الذى يعدكم ، ان الله لا يهـدى من هو مسرف كذاب ﴾ (٢) .**

انظر الى هذا الرجل .. الذى وقف كالجبل وأظهر ايمانه فى وقت كان لابد وأن يظهر ويقف أمام طاغيـة ومدع للربوبيـة وتسانده حاشية سـوء ، ثم يقوم الرجل بتذكير قومه ويخوفهم من بأس الله ويدعوهم الى الله والى الايمان به سبحانه وتعالى ولكنهم يدعـونه الى الكفر والاشراك بالله .. ويدعوهم الى الجنة والمغفرة ويدعـونه الى النـار وبئس المصير .. ويتكرر هذا الموقف فى كل عصر وأمام كل طاغية .

---

(١) انظر : مجلة لواء الاسلام / ( س ٣١ ) ، ع (٢) شوال ١٣٩٦ هـ ــ سـبتمبر أكتوبر ١٩٧٦ م ص ٣٧ بقلم / رضوان البيلى .
(٢) غافر : آية ٢٨

**٢ — قال صلى الله عليه وسلم :**

« لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير ذلك الأمير ونعم الجيش ذلك الجيش »[١] سمع الطفل محمد الفاتح هذا الحديث وكبر فى ذهنه حتى اذا بلغ الـ ١٧ ربيعا حان الوقت الذى يحقق فيه حلم المسلمين وتحقيق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان .. ولقد حاول المسلمون منذ القرن الأول فتح القسطنطينية مرات عديدة وقد قتل الصحابى أبو أيوب الأنصارى تحت أسوارها .

وادخر فتحها لهذا السلطان العثمانى الذى كان نعم الأمير وجيشه نعم الجيش .

**٣ — طفل الحجارة فى فلسطين المحتلة :**

ذلك العملاق هو رجل بحق لأنه الوحيد الذى عرف الطريق لتحرير المسرى والأرض من النهر الى البحر ، ذلك الطفل الذى تربى على مائدة القرآن الكريم داخل المساجد الذى يريد أن يحقق ما جاء فى سورة الاسراء من وعد بالنصر .. حتى يقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودى خلفى تعال فاقتله . ذلكم الطفل هو أفضل من الذين يجاهدون بالخطب فى هيئة الأمم المتحدة والمحافل التى تضيع الوقت وتدعى أنها سوف تقاتل اسرائيل بالسلام !! ويجاهدون من خلف المكاتب المكيفة ، ان جميع المنظمات لم تصل الى مرتبة ذلكم العملاق الرجل الطفل طفل الحجارة .

**٤ — ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا ﴾(٢) .**

**الشهيد سيد قطب رحمة الله :**

عندما طلب من الشهيد سيد قطب أن يؤيد الطاغية العبد الخاسر

---

(١) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير .

(٢) الأحزاب : ٢٣

قال : ان السـبابة التى أشهد بها فى كل صلاة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله لا يمكن أن تكتب سطرا فيه ذل أو عبارة فيها استجداء ، وعندما سيق رحمه الله الى حبل المشنقة يوم ٢٩ أغسطس ١٩٦٦ م كان من المعتاد أن يحضر شيخ ليلقن الذى ينفذ فيه حكم الاعدام الشهادتين ، فقال له سيد قطب رحمه الله : اننى لم أقف هذا الموقف الا من أجل لا اله الا الله محمد رسول الله .. فهناك أناس يأكلون الخبز بلا اله الا الله وآخرون يقدمون رؤوسهم الى المشانق من أجل لا اله الا الله !!

**٥ ـ الشعب الأفغانى :**

ـ هذا الشعب البطل الذى لم يرض بالاحتلال الروسى لأرضه ، ووقف وحيدا فى حلبة الصراع مع أول أو ثانى دولة على مستوى العالم !! وكان له يد طولى فى اذلال الشيوعية وارغامها بينما تجد أن بعض المشايخ الرسميين المعممين يذهب الى كابل ويصافح وزيرة الشباب ويهديها مصحفا ، ولا يستح وهو ( شيخ معمم ) من هذا الموقف المتخاذل ، بينما الأمر الطبيعى أن يذهب الى الخنادق ليشد من أزر المقاتلين[1] . « والآن وبفضل من الله ثم بفضل رجولتهم النادرة انتصروا وقضوا على الشيوعية وتفكك الاتحاد السوفيتى الى عدة دول ، أما هم الآن على رأس السلطة وعادت أفغانستان مسلمة حرة الى هؤلاء الرجال الأفذاذ » .

* * *

---

(١) انظر : مجلة البيان ـ بريطانيا : ع ( ٢٩ ) ذو القعدة ١٤١٠ هـ ـ ٦ / ١٩٩٠ م ( ص ٥٢ ـ ٥٤ ) بقلم / محمد فرحان محمد .

# المبحث الثانى

## الرجـولة فى الاسـلام

الحمد لله الذى أحيا الأمم بعزائم الرجال ، وأصلح باخلاصـهم الأحوال ، وحقق على أيديهم الآمال .

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، عنت الوجوه لعظمته ، وأشـهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله سيد الرجال وصفوة خليفته .

اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، أهـل محبته الذين استضاءت الدنيا برجولتهم ، وسادت الأمة بمروءتهم ، فكانوا رجالا يحبهم الله ويحبونه . قال تعالى وهو أصدق القائلين :

**﴿ رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ﴾(١) .**

**﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة ، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴾(٢) .**

**﴿ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا ﴾(٣) .**

عباد الله : إن عناصر الرجـولة اذا اكتملت فى أمة فبشرها بالخير وتمام النعمة ، لأنها أخذت ترتقى مدارج العظمة ، وإن صفات الرجولة اذا انتشرت فى شعب من الشعوب فقد تهيأ للوثوب ، وتحفز للنهوض ، ونال حقـه المغصوب وأصبح ذا جانب مرهوب .

وإن معانى الرجولة اذا سرت فى مجتمع مسرى الشمس عاش عالى الهمة مرفوع الرأس ، وأصبح ذا قوة وبأس .

واذا طبعت الدولة على الرجولة استرعت الأنظار واستحقت الاعتبار ونظر اليها بكل اجلال واكبار .

---

(١) التوبة : ١٠٨ (٢) النور : ٣٧
(٣) الأحزاب : ٢٣

فالرجولة مقياس الأمم ، وعنوان علو الهمم ، وعلى قدر وزنها توزن الأمور ، ويتدفق النور .

عباد الله : من هم الرجال الذين نقصدهم ونعنيهم ، ومن هم الرجال الذين ننشدهم ونبغيهم ؟

أهم الذين يأكلون أطيب المآكل ويشربون ألذ المشارب ، ويركبون أفخر المراكب ، وهم قعود عن أسمى الغايات والمطالب ، أم هم الذين ضخمت أجسامهم ، وامتدت قاماتهم ، وملأوا الأعين بقوة أجسادهم وملاحة وجوههم ، وقد خلت من الحكمة والرأى عقولهم . أم هم الغارقون فى الشهوات القاطعون الليل والنهار فى الملذات ، وقد أعرضوا عن خالق الأرض والسموات أم هم الجهلة المتغطرسون ، وعلى اخوانهم يتكبرون ، وبالأعراض لا يعبئون ، وفى الأرض يفسدون ولا يصلحون . أم هم أصحاب الأموال والمتاجر وملاك القصور ، وأصحاب الجاه والسلطان وحب الظهور ، وقد عريت قلوبهم من الايمان والنور .

كل هؤلاء ليسوا برجال ، انهم أشباه الرجال ، لسنا نقصدهم ولا نعنيهم ، انما الذين ننشدهم ونبغيهم هم الذين عناهم القرآن ووصفهم القرآن فى قوله : ﴿ **الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما . والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ، ان عذابها كان غراما . انها ساءت مستقرا ومقاما . والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما** ﴾(1) .

هؤلاء هم الذين يخدمون أمتهم باخلاص ، ويقودونها الى طريق الخلاص ، الصادقون فى أقوالهم الموفون بعهودهم ، البعيدون عن العبث والهزل ، المبرءون من الهذيان واللهو ، لا يغرهم ثناء ولا يبطرهم مدح واطراء .

---

(1) الفرقان : ٦٣ — ٦٧ .

يا عباد الله : ان دين الاسـلام هو دين الرجولة ، فالاسلام هـو الذى صنع بتعاليمه الرجال ، ونبى الاسـلام هو الذى ربى الأبطال ، فعلمهم سـياسة الأمم وقيادة الشـعوب وتربية الهمم ، فكانوا خير قادة ملكوا زمام السـيادة وطبعوا على جد الحياة وحبب اليهم عملهـا وبغض اليهم لهوها فمرنوا على الشدائد وكانوا خير أمة أخرجت للناس.

يا عباد الله : لقد تخرج على يدى نبيكم صلوات الله عليه طبقـة ممتازة من أصحابه الأقوياء ، لا يحصيهم عدد ولا نستطيع أن نذكرهم فردا فردا : كأبى بكر فى محبته وأخوته ، وعمر فى عدله ورجولته ، وعثمان فى سخائه وسـماحته ، وعلى فى شجاعته وفتوته ، وكأبى عبيدة فى علمه ، وابن عباس فى فقهه ، وبلال فى ايمانه ، وصهيب فى اخلاصه ، الى غير هؤلاء من الصفوة الأعزاء رضى الله عنهم وأولئك هم الفائزون .

فاتقوا الله عباد الله فى أمتكم وتمسكوا برجولتكم ، عسى الله أن يعيد اليكم مجدكم ويقوى بكم دينكم .

ورد فى صحيح الخبر عن رسـول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يذهب الصالحون الأول فالأول ثم تبقـون فى حثـالة كحثالة الراكب لا يبالى بهم الله تعالى »[1] .

ولعل من أهم الفروق التى تميز المسـلمين فى أول أمرهم وفجر حياتهم عن المسلمين اليوم ، « خلق الرجولة » ، فقد غنى العصر الأول بمن كانوا هامة الشرف ، وعزة المجد ، وعنوان الرجولة .

تتجلى هذه الرجولة فى « محمد » صلى الله عليه وسلم اذ يقول : « والله لو وضـعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته » .

---

(١) انظر : مجلة لواء الاسلام : ( س ١١ ) ، ع ( ٩ ) جمادى الأولى ١٣٧٧ هـ ــ ديسـمبر ١٩٥٧ م .

كما تتجلى فى أعماله فى أدوار حياته • فحياته كلها سلسلة من مظاهر الرجولة الحقة ، والبطولة الفذة ، ايمان لا تزعزعه الشـدائد ، وصـبر على المكاره ، وعمل دائب فى نصرة الحـق ، وهيـام بمعالى الأمور ، وترفع عن سفاسـفها ، حتى اذا قبضه الله اليه لم يترك ثروة كما يفعل ذوو السـلطان ، ولم يخلف أعراضا زائلة كما يخلف الملوك والأمراء ، انما خلف مبادىء خالدة على الدهر ، كما خلف رجالا يرعونها وينشرونها ، ويجاهدون بأموالهم وأنفسهم من أجلها •

وتاريخ الصحابة ومن بعدهم مملوء بأمثلة الرجولة • فأقوى ميزات « عمر » أنه كان « رجلا » لا يراعى فى الحق كبيرا ، ولا يمالىء عظيما أو أميرا • يقول فى احدى خطبه : « أيها الناس ، انه والله ما فيكم أحد أقوى عندى من الضعيف حتى آخذ الحق له ، ولا أضعف عندى من القوى حتى آخذ الحق منه » •

وينطق بالجمل فى وصف الرجولة فتجرى مجرى الأمثال ، كأن يقول : « يعجبنى الرجل اذا سـيم خطة ضيم أن يقول : ( لا ) بملء فيـه » • ويضـع البرامج لتعليم الرجولة فيقول : « علموا أولادكم العوم والرماية ، ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا ، ورووهم ما يجمل من الشـعر » •

ويضـع الخطط لتمرين الولاة على الرجـولة • فيكتب اليهم : « اجعلوا الناس فى الحق سواء ، قريبهم كبعيدهم ، وبعيدهم كقريبهم ، اياكم والرشا ، والحكم بالهوى ، وأن تأخذوا الناس عند الغضب » •

ويعلمهم كيف يسوسون الناس ويربونهم على الرجولة ، فيقول : « ألا لا تضربوا المسـلمين فتـذلوهم ، ولا تجمروهم فتفتنـوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم » •

من أجل هـذا كله كان هذا العصر مظهرا للرجولة فى جميع نواحى الحياة ، نقرأ تاريخ المسلمين فى صـدر حياتهم فيملؤك روعة ، وتعجب

كيف كان هؤلاء البدو وهم لم يتخرجوا فى مدارس علمية ، ولم يتلقوا نظريات سياسية ، حكاما وقادة لخريجى العلم ووليدى السياسة — انما هى الرجولة التى بثها فيهم دينهم وعظماؤهم ، هى التى سمت بهم وجعلتهم يفتحون أرقى الأمم مدنية وأعظمها حضارة : ثم هم لا يفتحون فتحا حربيا يعتمد على القوة البدنية وكفى ، انما يفتحون فتحا مدنيا اداريا منظما ، يعلمون به دارسى العدل كيف يكون العدل ، ويعلمون علماء الادارة كيف تكون الادارة ، ويلقون بعلمهم درسا على العالم ، أن قوة الخلق فوق مظاهر العلم ، وقوة الاعتقاد فى الحق فوق النظريات الفلسفية والمذاهب العلمية ، وأن الأمم لا تقاس بفلاسفتها بمقدار ما تقاس برجولتها .

هل سمعت عطفا على الرعية ، وأخذ الولاة بالحزم كالذى روى أن معاوية قدم من الشام على عمر ، فضرب عمر بيده على عضده فتكشفت له عن عضد بضة ناعمة : فقال له عمر : « هذا والله لتشاغلك بالحمامات ، وذوو الحاجات تقطع أنفسهم حسرات على بابك ! » .

أو هل سمعت قولا فى العدل يحققه العمل كالذى يقوله عمر : « اذا كنت فى منزلة تسعنى وتعجز الناس ، فوالله ما تلك لى بمنزلة حتى أكون أسوة للناس » ؟ أو هل رأيت حزما فى الادارة كالذى فعله فى مسح سواد العراق وترتيب الخراج ، وتدوين الدواوين ، وفرض العطاء .

حقا لقد كان عمر فى كل ذلك رجلا ، ولئن كان هناك رجال قد امتصوا رجولة غيرهم ، ولم يشاءوا أن يجعلوا رجالا بجانبهم ، فلم يكن عمر من هذا الضرب ، انما كان رجلا يخلق بجانبه رجالا ، فأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبى وقاص والمثنى بن حارثة ، وكثير غيرهم كانوا رجالا نفخ فيهم عمر من روحه كما نفخ فيهم الاسلام من روحه ، وأفسح لهم فى رجولتهم ، كما أفسح لنفسه فى رجولته .

وكان أدبهم فى ذلك العصر صورة صحيحة لرجولتهم يتغنون فيه بأفعال البطولة ومظاهر الرجولة ويقولون :

وخير الشعر أشرفه رجالا　　وشر الشعر ما قال العبيد

ويعتد الشاعر بنفسه ويسمو بها عن النعماء والبأساء فيقول :

قد عشت فى الناس أطوارا على طرق
شتى وقاسيت فيها اللين والقطعا
كلا بلوت ، فلا النعماء تبطرنى
ولا تخشعت من لأوائها جزعا
لا يملأ الهول صدرى قبل موقعه
ولا أضيق به ذرعا اذا وقعا

ويعتز بشرفه وقوته وابائه الضيم فيقول :

وكنت اذا قوم رمونى رميتهم
فهل أنا فى ذا يال همدان ظالم
متى تجمع القلب الذكى وصارما
وأنفا حميا تجتنبك المظالم

ويمدح رجل قوما فيقول :

« انهم كالحجر الأخشن ، ان صادمته آذاك وان تركته تركك » .

ويقول أميرهم : « والله ما يسرنى أنى كفيت أمر الدنيا كله » . قيل : ولم أيها الأمير ؟ قال : « لأنى أكره عادة العجز » الى كثير من أمثال ذلك . وعلى الجملة فأدبهم تام الرجولة ، قد شعت فيه الحياة ، وامتلأ بالقوة ، حتى اللاهى الماجن كأبى محجن الثقفى ، كان يغازل ، وكان يشرب ، ولكن اذا جد الجد وعزم الأمر كان رجلا يبيع نفسه لدينه ، ويبيع كل شىء لشرفه وشرف قومه .

ونستعرض الغزل فى الجاهلية وصدر الاسلام ، فاذا هو غزل قوى لا ميوعة فيه ، ولا تخنث ، لا يذوب صبابه ، ولا يلتاع هياما ، ولا يفقد الرجل فيه رجولته لحبه .

وقلت لقلبى حين لج به الهوى
وكلفنى ما لا اطيق من الحب
الا أيها القلب الذى قاده الهوى
أفق لا أقر الله عينك من قلب

* * *

وما أنا لنكس الدنى ولا الذى
اذا صد عنى ذو المودة أحرب
ولكننى ان دام دمت وان يكن
له مذهب عنى فلى عنه مذهب

ولم يضن التاريخ على المسلمين من حين لآخر برجال لفتوا وجه الدهر ، وغيروا مجرى الحوادث ، ودفعوا عن قومهم الخطوب ، وأنزلوهم منزل العز والمنعة تضيق عن وصف أعمالهم الرسائل والكتب .

ثم توالت الأحداث ، وتتابعت النوب . تفل من شوكتهم ، وتفت فى رجولتهم ، حتى رأيناهم بذلوا الشرف للمال ، وقد كان آباؤهم يبذلون المال للشرف ، ولم ينظروا الا الى أنفسهم وذوى قرابتهم ، وكان آباؤهم ينظرون الى دينهم وأمتهم . وتفرقوا شيعا وأحزابا يذوق بعضهم بأس بعض ، فكانوا حربا على أنفسهم بعد أن كانوا جميعا حربا على عدوهم ورضوا فى الفخر أن يقولوا : « كان آباؤنا » مع أن شاعرهم يقول :

اذا أنت لم تحم القديم بحادث
من المجد لم ينفعك ما كان من قبل

وناثرهم يقول : « لم يدرك الأول الشرف الا بالفعل ، ولا يدركه الآخر بما أدرك به الأول » .

ورأينا خير ما فى الأمم حاضرها وخير ما فينا ماضينا .

* * *

أريد بالرجولة صفة جامعة لكل صفات الشرف ، من اعتداد بالنفس واحترام لها ، وشعور عميق بأداء الواجب ، مهما كلفه من نصب ، وحماية لما فى ذمته من أسرة وأمة ودين ، وبذل الجهد فى ترقيتها ، والدفاع عنها والاعتزاز بها ، واباء الضيم لنفسه ولها •

وهى صفة يمكن تحقيقها مهما اختلفت وظيفة الانسان فى الحياة ، فالوزير الرجل من عد كرسيه تكليفا لا تشريفا ، ورآه وسيلة للخدمة لا وسيلة للجاه ، أول ما يفكر فيه قومه ، وآخر ما يفكر فيه نفسه ، يظل فى كرسيه ما ظل محافظا على حقوق أمته ، وأسهل شىء طلاقه يوم يشعر بتقصير فى واجبه ، أو يوم يرى أن غيره أقوى منه فى حمل العبء ، وأداء الواجب ؛ يجيد فهم مركزه من أمته ومركز أمته من العالم ، فيضع الأمور مواضعها ويرفض فى اباء أن يكون يوما ما عونا للأجنبى عليها ، فاذا أريد على ذلك قال : لا بملء فيه ، فكانت لا منه خيرا من ألف نعم وكانت لا منه وساما تدل على رجولته ، وكانت لا منه خير درس للناشئين يتعلمون منه الرجولة — يقتل المسائل بحثا ودرسا ، ويعرف فيها موضع الصواب والخطأ ومقدار النفع والضرر ، ثم يقدم فى حزم على عمل ما رأى واعتقد ، لا يعبأ بتصفيق المصفقين ، ولا بذم القادحين ، انما يعبأ بشىء واحد هو صوت ضميره ، ونداء شعوره •

والعالم الرجل من أدى رسالته لقومه من طريق علمه ، يحتقر العناء يناله فى سبيل حقيقة يكتشفها أو نظرية يبتكرها ، ثم هو أمين على الحق لا يفرح بالجديد لجدته ، ولا يكره القديم لقدمه ، له صبر على الشك ، واغرام بالتفكير ، وبطء فى الحزم ، وصبر على الشدائد ، وازدراء بالاعلان عن النفس ، وتقديس للحقيقة ، صادفت هوى الناس أو أثارت سخطهم ، جلبت مالا أو وقعت فى فقر ، يفضل قول الحق وان أهين على قول الباطل وان كرم •

والصانع الرجل من بذل جهده فى صناعته ، فلم يشأ الا أن يصل بصناعته الى أرقى ما وصلت اليه فى العالم ، عشقها وهام بها حتى بلغ ذروتها ، يشعر بأنه وطنى فى صناعته كوطنية السياسى فى سياسته . وأن أمته تخدم من طريق الصناعة كما تخدم من طريق السياسة ، وأن الصناعة لا تقل فى بناء المجد القومى عن غيرها من شئون الدولة ؛ فهو يحسن فنه ، وهو لهذا يحسن سلوكه ، وهو لهذا يرفض ربحا كثيرا مع الخداع ، ويقنع بربح معتدل مع الصدق وهو لهذا كله كان رجلا .

وفى الرجولة متسع للجميع ؛ فالزارع فى حقله قد يكون رجلا ، والتلميذ فى مدرسته قد يكون رجلا ، وكل ذى صناعة فى صناعته قد يكون رجلا ، وليس يتطلب ذلك الا الاعتزاز بالشرف واباء المذلة .

من لنا ببرنامج دقيق للرجولة كالبرنامج الذى يوضع للتعليم ، يبدأ يرعى الطفل فى بيته ، فيعلمه كيف يحافظ على الكلمة تصدر منه كما يحافظ على الصك يوقع عليه ، ويعلمه كيف يكون رجلا فى ألعابه ، فيعدل بين أقرانه فى اللعب كما يجب أن يعدلوا معه ، ويلاعبهم بروح الرجولة من حب ومساواة ومرح فى صدق واخلاص .

ويسير مع التلميذ فى مدرسته ، فيعلمه كيف يحترم نفسه ، وكيف لا يفعل الخطأ وان غفلت عنه أعين الرقباء ، ولا يغش فى الامتحان ولو تركه المعلم وحده مع كتبه ، وكيف يعطف على الضعفاء ويبذل لهم ما استطاع من معونة . ويتمشى مع الطالب فى جامعته فيعوده الاعتزاز بنفسه والاعتزاز بجامعته والاعتزاز بأمته ، ويبعثه على أن يفكر فى عرض شريف له فى الحياة يسعى لتحقيقه — حتى اذا ما أتم دراسته كان قاضيا رجلا ، أو معلما رجلا ، أو سياسيا رجلا ، وعلى الجملة انسانا رجلا .

ويتابع الأمة فيضع لها الأدب الذى يبعث قوة والأناشيد والأغانى التى تملأ النفس أملا ، ويراقب فى شدة وحزم دور السينما والتمثيل

والملاهى ، فلا يسمح بما يضعف النفس ويثلم الشرف ، ولا يسمح بما يخيى الشهوة ويميت العزيمة ، ويأخذ على أيدى الساسة والحكام ورجال الشرطة ، حتى لا يقسوا على الناس فيميتوهم ، ولا يرهبوهم فيذلوهم .

من يبادلنى فيأخذ كل برامج التعليم ، وكل ميزانية الدولة ، ويسلمنى برنامجا للرجولة وميزانية لتنفيذه ليس غير ؟

ولى كبد مقروحة ، من يبيعنى بها كبدا ليست بذات قروح ؟[1]

* * *

(١) انظر : فيض الخاطر / احمد أمين . ـ القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٨ م ط ٤ . ـ جـ ١ : ص ( ٢٥٠ ـ ٢٥٦ ) .

# المبحث الثالث

## الرجـولة فى ميزان الاســلام

درج الناس منذ فجر الحياة على تمجيد الرجولة والاشادة بها ان وجدت ، واغداق السير وراءها ان عزت ، وهم بين تمجيدها ، والاشادة بها مضطربون ، وهم لدى السير حثيثا لتحقيقها خابطون كحاطب ليل ، ولم تتضح لهم حقيقتها ، ولم يمثل واقعها الا فى ظلال مبادىء الاسلام الهادفة ، وتعاليمه المستنيرة الموجهة ، لأن الاســلام دائمــا ينشدها ، ويعمل على ايجادها اذ هى الوسيلة لتحقيق ما يقنن ، والتمسك بما يشرع للبشرية جمعاء بغية سعادتها ، فهو ما جاء الا لسعادتها فى الدنيا والآخرة .

واذا بحثنا فى استقصاء جامع عن مكامن الرجــولة ألفيناها تكمن فى ثلاث نواح رئيســية ، هى : المنطق والفكر والقوة البدنية ، ثم تصب هذه الروافد — ان عــذبة أو آســنة — فى مصب واحــد هو الســلوك ، وهو يتفاوت امتيازا وانحرافا تبعا لتفاوت روافده غذوبة وعطنــا .

وقد أولى الاسلام — دين الفطرة والحياة — كل ناحية من تلك النواحى فى الانسان بالتوجيه المثمر ، والارشاد الحصيف ، ثم آخــذ بمجامعها فى النهاية نحو المثالية المبتغاة والكمال المنشود .

ولتبيان ذلك نستعرض ســويا نهج الاسلام الحنيف فى تنميــة روافد الرجولة لنصل معا الى صــدق ما نقول ، وحقيقة ما ننحو اليه من رأى . فالمنطق أو الكلام ، وهو العنصر الأول من عناصر الرجــولة يتأرجح فى واقع الناس بين دفتين : احداهما ذميمة شائنة تتمثل فى اللغو والهراء بما يحملان من كذب وغيبة ونميمة ، وكل ما لا نفع فيه أو طائل تحته ، والأخرى حميدة طلية تتجلى فى الخيرية النافعــة ، والكلمــة الهادفة ، فما موقف الاســلام منهما ؟ تتولى الاجابة عن هذا الســؤال وصايا الاسلام الهادية فى هذا المجال ، والتى جاء بها الكتاب والسنة ، فهناك الآيات الكثيرة والأحاديث العديدة التى تنهى عن لغو الحديث وهرائه ، وتحض على أن تكون الكلمة منطلقة من قاعــدة الخير الى

هدف الخير ، يقول الله تعالى مبينا حقيقة عباده الجديرين برحمته ، المستأهلين الانضواء تحت حزبه المفلح ، يقول الله : **﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ﴾**(1) .

ويسد رسول الله صلى الله عليه وسلم منافذ القول أمام الرجل المسلم الا منفذ الخير العام والخاص ، يقول فى حديثه الجامع : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » .

ثم نقرأ فى موازنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بين حسن الخلق وسيئه زجرا عنيفا لهؤلاء الذين يلقون الكلام دون وعى راشد أو تفكير سديد ، يقول : « ... وان أبغضكم الى ، وأبعدكم منى مجلسا يوم القيامة الثرثارون ، والمتشدقون ، والمتفيهقون » أخرجه الترمذى ، ولما كان اللسان أداة المنطق والرجل بمنطقه ، نجد رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم يرشد فى نصح حان ، وتوجيه جامع بصير الى التحكم فيه بغية الأمان من عواقب قد تؤدى بالمرء الى مصارعة ، يقول صلى الله عليه وسلم : « امسك عليك لسانك » .

ولقد كان الاسلام شديد الحذر من أولئك الذين يمنحون ذلاقة اللسان ، وفصاحة الكلمة ، وقوة العارضة مع جنوح الى النفاق ، وشغف بالزيف ، فهؤلاء قد فقدوا أهم عنصر للرجولة الاسلامية ، وهو أمانة الكلمة ، وصدق التوجيه وهم خطر على الأمة اذ فى استطاعتهم الباس الباطل لباس الحق أمام السذج من الناس ولا يفقه زيفهم الا العارفون ، وقليل ما هم ، وفى هذا المجال يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم مبديا حذره من هذا الصنف : « ان أخوف ما أخاف على أمتى كل منافق عليم اللسان » .

ولما كان الاسلام فى نهجه التوجيهى يراوح بين الترغيب والترهيب

---

(1) الفرقان : ٦٣

فاننا نجد القرآن الكريم يعقد موازنة شـائقة جاذبة بين الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة .

ويصور الأولى بشـجرة طيبة مثمرة ، أصـلها ثابت وفرعها فى السماء ، لدوام نفعها ، وانتشار خيرها ، ويصور الثانية بشجرة خبيثـة سرعان ما تذوى كما يتلاشى الهراء من الكلام ، والهـدف فى النهاية واضح يكمن فى الجذب الى خير الكلام والتنفير من لغوه وهرائه .

هذا هو موقف الاسلام بأيجاز يغنى عن الاسهاب من الكلمة ، زينة المرء ، ونفع للمجموع ان هى حسنت وطابت ، ثم هى حطـة للفرد ، وفسـاد للمجتمع ان هى سـاءت وخبثت ، ولمـا كان التعبير بالكلمة مسـبوقا بتفكير ــ أى تفكير ــ كان لزاما على من يتصدى لاصـلاح الفرد بغية صلاح المجتمع أن يوجه الى اصـلاح الفكر وسداد الرأى ، قصدا لسلامة المنطق ، والنأى به عن معاطن الثرثرة الهادفة ، والتشـدق المقيت ، وجنوحا بالانسـان الى الصواب الهادف ، واليقين البصير .

وفى هذا الميدان : ميدان الرأى الناضج ، والفكر المسـتنير نجد الاسـلام يدعو الى تمحيص الرأى ، ليكون الانسان على بينـة من أمره ، وينهاه عن أن يتبـع ما لا يعـرف : ﴿ **ولا تقف ما ليس لك به علم** ﴾(1) .

ويوجهه الى ما يكمل شخصيته كانسان مفكر ، فيدعوه الى حرية الرأى ، وعـدم الجمود فى التفكير ، أو الذوبان فيما ارتأى الآخرون ، وان جانب الصـواب يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يكن أحدكم امعة ، يقول : ان أحسن الناس أحسنت وان أساءوا أسـأت ولكن وطنوا أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسـنوا ، وان أسـاءوا أن تجتنبوا اسـاءتهم » .

---

(1) الاسراء : ٣٦

وينعى القرآن الى أولئك الذين جمدوا على تراث آبائهم المنحرف وتمسكوا بآرائه الضالة : **﴿ واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ﴾(١)** .

ولما كان الاسلام يرى الرجولة الحقة وسيلة للنفع المبتغى ، ويرى من دعائمها الفكر المستنير ، فانه يدعو بالحاح الى استعمال العقل في حصافة وتبصر لاستخلاص العلم النافع ، ومعرفة أسرار الله فى خلقه، وكان من نتيجة ذلك ظهور جيل ممتاز من الرجال العلماء أو العلماء الرجال الذين أثبتوا بما توصلوا اليه — أن الاسلام دين الحياة بكل ما تحمل كلمة الحياة من معانى الخير الوارف ، والسعادة الحقة .

والتاريخ أصدق شاهد على أن هؤلاء العلماء الرجال الذين نهجوا نهج الاسلام فى الفكر السليم ، والرأى السديد كانوا مشاعل العلم الناضج ، ومناهل المعرفة السامية للناس أجمعين ، يوم أن كانت أوربا ، وكل من يتشدقون بالاختراع اليوم يعيشون فى ظلام حالك من الجهل المطبق والتأخير المزرى ، ففى كل مجال من مجالات العلم والمعرفة يشدو التاريخ بأسماء لامعة لعلماء من المسلمين ، فلا يفتأ التاريخ يذكر باعزاز فى القانون فقهاء المسلمين وفى الطب ابن سينا وابن رشد ، وفى الطبيعة الحسن بن الهيثم ، وفى الكيمياء جابر بن حيان ، وفى الرياضة أبا بكر الخوارزمى .

ثم نأتى الى القوة البدنية وهى الميدان الفسيح ، والحلبة المنداحة التى تتجلى فيها الرجولة فى زعم الناس منذ قديم ، حتى لقد أصبحت لفظة الرجولة بحكم قاعدة الايحاء اللفظى — توحى عند سماعها بمعان تبرز كلها فى بسطة الجسم ، وقوة العضلات ، وفناء العافية ، صورة المصارع الجبار الذى يصارع فيصرع ، ويغالب فيغلب .

---

(١) البقرة : ١٧٠ .

ولكن الاسلام الحنيف يصحح هذا الموضع المزعوم ، أو يصحح الصورة فى مخيلة الناس ، فها هو ذا رسـول الله صلى الله عليه وسلم يطمس معالم الصورة الأولى فى نفى زاجر ، ويثبت غيرها فى صحة واعتدال ، اذ يقول فى حديثه الهادف : « ليس الشديد بالصرعة انما الشـديد الذى يملك نفسه عند الغضب » .

فالقوة اذن قوة ارادة ، ومضاء عزيمة ، وحكمة رشيدة فى قيادة النفس البشرية . أما القوة البدنية الموفورة ان تحققت فعلا ، فالاسلام يفتح لها أبواب التنفيس لتنطلق الى أهداف تشو ولا تضر كمن يوجه مجرى النهر الى أصـول الزرع ومنابت الشـجر ويحـول بينه وبين الفيضان تجاه المدن والقرى خشية الدمار .

فهناك أول متنفس لتلك القوة البدنية ، وهو الجهاد فى سبيل الله لاعلاء كلمة الله ، والدفاع عن دينـه وعن كل أرض يذكر فيها اسـمه ، فتكون قوة على الأعداء ، أعداء الله والوطن : ﴿ اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين ﴾(١) .

وثمة ميادين أخرى لتلك القوة البدنية يلخصها رسول الله صلى الله عليـه وسلم فى الحديث الهادف : « عن كعب بن عجرة رضى الله عنه قال : مر على النبى صلى الله عليه وسلم رجل فرأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلده ونشاطه ، فقالوا : يا رسول الله لو كان هـذا فى سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان كان خرج يسـعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج على أبوين شـيخين كبيرين فهو فى سـبيل الله ، وان كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سـبيل الله ، وان كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سـبيل الشيطان » رواه الطبرانى .

---

(١) المـائدة : ٥٤

من هذا الأثر النبوى الهادف ندرك أن الاســلام يتوجه بقــوة المسلم البدنية نحو الخير العام والخاص ، وينأى بها عن الانطلاق نحو مهاوى الفساد والضرر لئلا يكون صاحبها كمن يطلق قذيفة على نفسه لا على عــدوه .

وحتى لا ينفر المسلم من قوته اتقاء ما تجلب عليه من اثم نجــد الاســلام بأسلوب الترغيب الجاذب يوجه الى الحرص عليهــا وتنميتها مع السير بها فى المسلك الأمين الذى اختطه الاسلام .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير » .

نخلص من هــذا الى أن الاسلام يعتبر الرجولة الحقــة كامنــة أو متجلية فى رأى ســديد مبنى على البحث والتمحيص ، وكلمة طيبة هادية معبرة عن خير بغية الخير ، وقوة جانحة الى منابت النفع .

أما ما يلوح على مسرح الرجــولة من مروءة وشــهامة ، وتعاون وتضــامن وشجاعة وأريحية فاخالها معزوة الى ما ســبق فهى كأوراق خضراء يانعة فى أغصان تلك الدوحة الباسقة ( الرجولة ) .

وبعد فهل يمارى أحد فى اعتدال سلوك من يمنح هذه الرجــولة الاســلامية ، أعتقد لا ــ وأخالنى على صواب[1] .

* * *

(١) انظر : مجلة الضياء ــ الامارات العربية المتحدة : ( س ٧ ) ، ع ( ٢٠ ) ١٤٠٧ هـ ــ ديســمبر ١٩٨٦ م ( عبد الغنى احمد ناجى ) .

# المبحث الرابع

## الرجولة فى الدين

ربما دار بخلد بعض الناس أن الرجولة هى الرجــولة فى الدين وفى غير الدين ، لأن القيم الأخلاقيــة ، والمعايير الأدبيــة ، لا تختلف بالاعتبار ، ولا تتبــاين فى نظر الدســاتير ، خصــوصا اذا كانت من الصفات الانسانية المحمودة ، والعوارض الذاتية التى لا تأباها الطباع ولا تنفر من مصاحبتها النفوس .

وفى الحق أن الاســلام هذب كثيرا من الأوصاف ، وشذب غير قليل من العادات ، وانتقل بسلوك الناس انتقالا يكاد يجعله متباينا كل التباين أو بعضه ، اذا ما قيست حاله القديمة بحاله الجديدة ، وقورنت أنماطه فيما بعد بأنماطه قبل ذلك .

فالرجولة فى نظر الشطار واللصوص ، ليست هى الرجــولة فى نظر من يحبــون المســالمة ، ويميلون الى الموادعة ، ويكلفون رغباتهم وجهــودهم فوق ما تطيــق ، لايصــال الســعادة الى من يجاورهم فى المسكن ، ويعاشرهم فى البيئة ، ويشــاطرهم هواء الســماء ، ومياه الدأماء . وكذلك كانت الرجولة فى الجاهلية ، والحروب همهم ، والفتك دأبهم ، وازهاق الأرواح ديدنهم ، يباهــون بمناعة الكلأ ، وحمــاية الوحوش ، فاذا استرعى فى أرضهم دخيــل ، أو اصــطاد من بريتهم أجنبى ، عدوا هذا تطاولا على حوزتهم ، واستباحة لذمارهم ؛ والويل لمن تحدثه هواجســه أن ينال منهم ، أو يدخل عليهم ؛ ووقائعهم التى ســجلها التاريخ ، وتضــمنتها بطــون الكتب ، لم تخرج فى جملتها وتفصيلها ، عن كونها انتصــار للإباء ، واحتفاظا بالشــمم ، ودفاعا عن الجانب ، وغضبة للكرامة ، وصيانة للرجولة التى هى أثمن ما يمتلكون .

وليس معنى هــذا أننا نقرهم على ما كانوا يفعلون ، أو نمتدحهم على ما كانوا يأتون ، ولكننا ــ فقط ــ نكشف عن ناحية من نواحى

تلك الكلمة فى فترة من فترات الزمن حيث كانت تاجا من تيجان الشرف ، وحلية من حلى الفخار ، وشعارا من شعائر المجد ، بصرف النظر عن الجاهلية والاسلام .

وحينما يتجلى لك أن محمدا صلى الله عليه وسلم جاء الى العرب **برجولة من طراز** آخر سجدوا له وآمنوا به ، تعلم الى أى مدى كان هذا الدين يحتضن الرجولة ، فيبذر بذرها ، وينمى غرسها ، ويتعهدها بالرى والصون ؛ ولعل أبرز مظاهر هذه الصفة ، وأجلى نعوت يستطيع الانسان أن يجدها ، تلك الفضيلة ما يقرؤه القارىء فى آية :
**﴿ كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم أو الوالدين والأقربين ﴾(١)** .

لأن الرجولة تعتمد على الحق أولا وقبل كل شىء والله سبحانه وتعالى خلق السموات والأرض بالحق ، وأقامها على الحق ، وجعل عمارة الدنيا بالحق ، وتكررت فى القرآن كلمة الحق ، وسمى الله نفسه الحق ، ولا فضيلة من الفضائل ، ولا مكرمة من المكارم ، للرجولة فيها مدخل ، ولها اليها انتماء ، الا وأنت واحد الحق قوامها ؛ والصدق عمادها .

وعمر بن الخطاب رضى الله عنه لم يكد يعلن اسلامه ، ويرى انزواء المسلمين بدينهم ، واختفاءهم بعقيدتهم ، حتى قال : يا رسول الله ألسنا على الحق ، وهم على الباطل ؟ ولما قال له النبى صلى الله عليه وسلم : نعم ، قال له : علام نرضى الدنية اذن ؟ وكان هو مبدأ انتفاع المسلمين برجولته ، ومطلعا من مطالع استجابة دعوة صفوة الخلق « اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين اليك » . ثم تلا ذلك موقفه فى الهجرة وغيرها من المواقف الخالدة المشهودة .

واذا كان أميز ميزات الرجولة غنى النفس ، وترفعها عن الدنايا ، فقد كان يقول : « اذا رأيتم فى اعوجاجا فقوموه بسيوفكم » .

---

(١) النساء : ١٣٥

وكذلك كان غيره من الخلفاء يقول مثل هذا القول ؛ وهو مظهر من مظاهر الرجولة فى أحسن صورها ، وأبهج مناظرها ، لأن الثقة بالنفس ، والاعتزاز بها مكانة لا يسمو اليها الرجال الا حين يبلغون من المجـد الغاية ، ويشارفون من السؤدد النهاية .

واذا ما تطرق الخلل الى هاتين النـاحيتين والعيـاذ بالله ، رأيت مركب النقص ، يعمـل عمله ، فيعزى بالفساد ، ويسـوق الى الملق والرياء ، ويحسن على الكذب ، ويزين للناس الرذيلة ، فى ألوان متعددة ، وأشكال مختلفة ، وهنالك تكون الرجولة عندهم من أبغض الأشياء ، وأحقر الصفات .

وقد تطلق اللغـة الفسـولة على ما يقابل الرجـولة ، وهى كلمة تجمع فى ثنايا حروفها صفات اللؤم ، وخصال الشر ، ومعانى الدناءة . فعادم الشرف . وفاقد المروءة ، وناقص الذوق ، وبليد الحس ـ ليس برجل ، ولا فيـه من المزايا والاعتبارات ما يقربه بعض الشىء من حدود هذه التسمية ، قليلا ولا كثيرا .

واذا كانت كلمة الانسان ترادف كلمة الرجل ، فذلك لأن الرجولة آنس وألفة ومودة ورحمة ، وحنـان وعطف ، ورقة ولين ، وتعاون فى الخير ، وتضافر على الاصلاح ، لتصير الحياة فى نظر الأحياء « جنـة عرضها السموات والأرض » ولذلك فان الناظر فى كتاب الله يجده فى تكاليفه كلها ، ينتهى بالعباد الى هذه النهاية التى تجعلهم ملائكة تمشى على قدمين ، فلا حقـد ولا حسـد ولا لؤم ولا رياء ، ولا كراهيـة ولا بغضاء ، ولكن يكون المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا .

ويخيل الى أنه ليس طريفا ولا جديدا أن أحاول فى هذا البحث اثبات أن الرجولة اسم لمـا تضمنته تعاليم الدين وتكاليفه ، وأنها لم تخرج عن كونها امتثال بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فان قوله

تعالى : « من المؤمنين رجال صــدقوا ما عاهــدوا الله عليه » ، بمثابة الفيصل فى ذلك كله ، لأنه ســبحانه لم يذكر المؤمنين بعنوان الرجــولة فى معرض كونهم صــدقوا ما عاهدوا الله عليه الا ومقصده الاشــعار بعلة التسمية ... وهى تحديد صحيح للرجولة كما يراها الدين ... ولولا أننا صرنا الى زمن متعوس ، وجيــل منحوس ، تتبــدل فيــه الأوضاع ، وتنعكس الحقائق ، وتنحرف المقاييس ، لمــا رأينا من يسمى اللصوص ، أو يطلق على قطاع الطرق ، ويخلع على الممرورين الحمقى ، ألفاظا لا يتناسب شرفها مع وضاعتهم ، ولا يتلاءم سموها مع انحطاطهم ، وســوء انحدارهم ، وقبيح تدليهم ...

فهل نعيد النظر ، ونحق الحق ، ونبطل الباطل ، ونعلم أن الرجولة أبعد الأشياء منــالا ، وأندر المعــوقات مثالا ؛ اللهم الا فى فلســفة الحكماء ، وخيال الشعراء[1] .

* * *

(1) انظر : مجلة الازهر : مج ( ٢٠ ) بتاريخ محرم ١٣٦٨ هـ ــ ١٩٤٩ م ص ( ٧٤٥ ــ ٧٤٧ ) بقلم / ابرهيم أبو الخشب .

# المبحث الخامس

## كلمتـــان

● **أخـلاق :**

صدق الشـاعر اذ يقول : « وانما الأمم الأخـلاق ... » فانه مما لا يجوز أن يشـك فيه أن قـوام الأمم الأخلاق ، فان تخلت عنها أصبحت ولا عاصم لها من الضياع والتهدم . وهل أدل على هذا مما وقع ويقع تحت أسماعنا وأبصـارنا من أمم تنهـار ، وأخرى لا يزيد الزمن وما يجيء به من بلاء الا قـوة ، ولا الشـدائد التى يطـير لهـا قلب الشجعان الا استمساكا ومنعة ! ومرجع هذا الضياع ضياع الأخلاق فى الأولى ، وتأصلها وقوتها فى الأخرى . هذا حق لا يحتاج لدليل فوق دليل الواقع ، وهو يصدق على الأفراد والجماعات الصغيرة ، كما يصـدق على الجماعات الكبيرة والأمم ، وكما يصـدق كذلك على دور العلم وما اليها من المعاهد والمؤسسات المختلفة . ان نقيصة خلقية واحـدة قد تكون سـببا قـويا فى فسـاد الأمر وشـقاء كثير من الناس . ولتمثـل لذلك بالكذب ، وبالكذب يقترفه كبير ممن يجب عليهم بحكم علمهم وتربيتهم وثقافتهم أن يتنزهوا عنه ، ويصدر عنه بسهولة ويسر كما يصدر الصدق عن الصادق ، بل ربما وجد ذلك سائغا لذيذاً :

نجتمع وبعض الاخوان والزملاء لأمر من الأمور العامة . ويكون الغرض من هـذا الاجتماع الصـالح العام ، ويتحدث بعض المجتمعين فى اخلاص وصدق مبينين هذا الصالح ومشيرين للوسائل الطيبة التى توصل اليه ، ثم ينتهى الاجتماع والكل مستبشرا بما تم وواثق من نجاح القصـد ، وما هو الا قليـل حتى يتبين للقائمين بهذا الاجتماع أن ما كان فيه قد تبرع بعض الاخـوان بنقله محرفا مبدلا تقربا منه الى الرؤساء . دون أن يدرك كبر ما تولى واثم ما اقترف ! ودون أن يعلم

أن ما نقل كاذبا سيتبين سريعا كذبه ، وأن العاقبة ستكون حتما سيئة له وللصالح العام الذى كان يقصده الجميع •

ومثال آخر : يكون لك عند هذا الموظف الكبير أمر هو من عمله بحكم منصبه . فتذهب اليه معتقدا ان الامر ســهل لا عسر فيه ، وانك بين أمرين فى كل منهما رضى : اما «نعم» مثمرة واما «لا» مريحة يتلقاك هــذا الرجل بأهلا وسهلا ، ويعدك ويسرف فى الوعد باجابة ما ترجو ، حتى تخرج معتقدا أن ما ترجو صــار على طرف الثمام أو حبل الذراع كما يقولون : وتمر الأيام وأنت دائب الســعى وهو دائب التوكيــد لمــا وعد ، ملتمســا كل مرة تعلة من الانجاز تقبلها وأنت راض معتقدا أنه صادق كما يكون الرجال • حتى اذا جد الجد ، وحان آخر أجــل ضربه لقضاء ما ألحفت فيــه من أمر ، فر منك وأنكر ما وعد ؛ فاذا بما كنت تعتقد من أمر مقضى صــار معضــلا ، واذا بمصــالح تضيع عليك كان من الواجب ألا تضيع •

أيها الكاذب ، أيها الانسان صورة لا حقيقة أليس الكذب الا جرأة على الله وخوفا من العبــد •

انما يكذب المجرم خوف العقوبة ، ويكذب الخادم خوف السيد ، وقد يكون لهذين وأمثالهما من الجهل عــذر فى الجرأة على الله مالك الأمر كله ، والخوف من العبد الذى لا يملك لنفســه ولا لغيره نفعــا ولا ضرا • ولكن ما عذرك أنت فى نقل ما لم يكن ، وفى تحريف الكلم عن مواضعه ، وفى استسهال الكذب واستعذابه ! أتقوم أمه وأمثال هذا الرجل ، تجوزا ، كثيرون فيها بل وممن يسمع لهم !

رحــم الله ابن الســماك اذ كان يرى أن الكذب ممــا يتفق مع الأنفة والمروءة حتى ليخشى ألا يؤجر على تركه • ونعمرى لقد صــدق ابن السماك : فالكذب يجب أن يترك أنفة لأنه لا يلائم الفطرة التى لم يلحقها لؤم ولا دنس ، ولذلك حرمته الأديان كلها ، بل حرمه الحكماء وان كانوا وثنيين لم يأتهم نبى أو رسول •

● **من الرجولة :**

الرجولة وأعنى بها احترام المرء لنفسه وتقدير ما منحه الله له من نعمة الحرية فى الارادة ، فلا يسخر نفسه لغيره تسخيرا يذهب بالكرامة والخلق ويجانب المروءة ، ولا يجعل نفسه عبدا لهذا • وظلا لذاك يزول بزواله • حتى كأنه لا يعرف لنفسه وجودا مستقلا كانسان ورجل !

الرجولة بهذا الفهم أمر يسير كل اليسر تارة ، وعسير كل العسر تارة أخرى ، يسير على من يرى أن الناس ولدتهم أمهاتهم أحرارا فلا يصح ولا يجمل أن يعودوا عبيدا ، ومن يعتقد أن الله مالك الأمر كله ، فهو يعطى ويمنع متى شاء وحده دون أن يكون لأحد من خلقه أمر من الأمور معه • وهى أمر عسير الى أقصى حدود العسر على من عدمت ثقته بالله أو ضعفت • فهو يرى أن الرزق والنعمة أمور يملكها ذوو الجاه وأصحاب السلطان وحدهم ، يتصرفون فيها كما يريدون بالبسط والامساك فهو لهذا يبحث عن سيد يملكه نفسه ويتنازل له عن رجولته فى سبيل ما ينال منه •

والأمة لا تعظم بالملايين التى تضمها من الناس الذين يغدون ويروحون ، بما تضم من الرجال وان كانوا قلة من الناحية العددية •

ليس برجل من لا يستطيع أن يقول : لا اذا سيم خطة خسف !

ليس برجل من اذا ضمه مجلس لكبير من الناس قعد منه مزجر الكلب وجعل نفسه بوقا له يردد ما يقول ويؤمن بما يحدث ويتابع ما يرى !

ليس برجل من يكون مصداق الشاعر الذى يقول :

يوما يمان اذا لاقيت ذا يمن وان لقيت معديا فعدنانى

ليس برجل من يقبل عليك مع الدنيا حين تقبل ويدبر عنك معها حين تدبر ، ويناوئك لأن الرئيس تحدى عليك غضبانا !

ـ انما الرجل من آمن بالله وأنه الضار النـافع ، وخالط هـذا الايمان قلبه وروحه ، فهو يصـدع بالحق وان هدد بالويل والثبور . انما الرجـل من عرف حقا أن الدنيـا عرض زائل فاحتفظ برجـولته وكرامته . ولم يرض لنفسـه أن تثلم هذه الكرامة ولو كان البدل الدنيا بأسرها . انما الرجل من ينصح لأمته وأولى الأمر فيها ان تملق لهم أشـباه الرجال الذين يدورون مع الريح ويغيرون ما سـبق أن اعتقدوا من آراء كما يغير المرء قميصه وجلبـابه ان غدا لا يتفق مع البدع !.

مثل الرجولة كثيرة يزخر بها التاريخ أيام عز الاسـلام ومجده . ومن فضول القول أن نذكر من هذه المثل ما كان من عمر الفاروق وقد أزمع الهجرة بدينه من مكة ، ومراجعته للرسول الذى لا ينطق عن الهوى فى أمور نزل القرآن فى بعضها مؤيدا لرأيه ، ونحو هـذا مما حفظ التاريخ لكثير من الصحابة والسلف الصالح رضوان الله عليهم ، ولكنى أكتفى من ذلك بمثال واحد فيه رجولة مكتملة .

هذا المثال نراه فى محاولة الهادى الخليفة العباسى خلع هارون الرشيد من ولاية العهد ومبـايعة ابنه جعفـر ، لقد جلس الهـادى ، لمـا صحت منه العزيمة على هذه الفعلة للناس ، وشرع فى أخذ البيعة لابنه جعفر وخلع الرشـيد ، فبايع مشـيخة العرب والقواد ، ثم جيىء بالقائد هرثمة بن أعين ليبايع فأبى وقال : ان يمينى مشغولة ببيعة أمير المؤمنين ، وشـمالى مشـغولة ببيعة هارون ، فأبايع بماذا ؟

فأجاب الهـادى بقوله : « تخلع هارون وتبايع جعفرا ، فقـال : يا أمير المؤمنين أنا رجل أدين بنصيحتك ونصيحة الأئمة منكم أهـل البيت ، وبالله لو تخوفت أن تحرقنى على صدقى اياك بالنار لمـا حجزنى

ذلك عن صـــدقك ان البيعة يا أمير المؤمنين انما هى ايمان . وقـــد حلفت لهارون بمثل ما تستحلفنى به لجعفر ، وان خلعت اليوم هارون خلعت جعفرا غدا » . هنا استشاط الهادى غضبـــا ، وأمر بوجيء عنق هرثمة ، ثم ثاب لرشـــده واكتفى باســـقاطه من قيادته واخراجه ملوما مدحورا . وأخيرا ، وجم الهادى ســـاعة لا يأمر ولا ينهى ، ثم رفع رأسه وأمر برده وقال له : يا حائك ! يبايع أهل بيت أمير المؤمنين وفيهم عم جـــده وعم أبيه وعمومته واخوته وســـائر لحمته ، ويبايع وجوه العرب والموالى والقواد ، وتمســـك أنت عن البيعـــة . فقال هرثمة : يا أمير المؤمنين وما حاجتك الى بيعة الحائك بعد بيعة من ذكرت من أعيان الناس ! ألا ان الأمر على ما بايعت لك ، انه لا يخلع اليوم أحد هارون ويبقى فى غد لجعفرا » . قال الطيغورى راوى هذا الحديث : فالتفت الهادى الى من حضر مجلســـه وقال لهم : شـــاهت الوجوه ! صدق والله هرثمة ، وبر وغـــدرتم ، ثم أمر لهرثمة بخمســـين ألف درهم وأقطعه أرضـــا واسعة .

أرأيت هذه الرجولة الكاملة واعتزاز هرثمة ، يرفض فى عزم ثابت ارادة الخليفة وهو الحاكم المطلق حين ذاك فى أمر أجمع عليه كبـــار الدولة ، ويحاج فى قوة عن رأيه رغم تهديده بالقتل ، ويصـــمم على ما يرى حتى يظفر بالغلبة والنصر ويعرف الخليفة له سداد الرأى وصدق الرجولة وكامل الوفاء ، فلا يخرج من حضرته الا عزيزا كريما منصورا متأبا !

أين هذا مما عليه كثير من كبرائنـــا وســـادتنا بحكم مناصـــبهم ومراكزهم الذين فتنوا الناس فى أخلاقهم ودينهم وأضلوهم السبيل ، اذ قلدوهم فى شعارهم وهو الميل مع الريح حيث تميل !

مثل هذا الموقف العظيم لا يقفه الا رجل يؤمن بالله واليوم الآخر ، ويؤمن برجولته نعمة من الله يجب رعايتها ، ويؤمن بأن الخلق جميعـــا

لا يستطيعون أن ينفعوا أو يضروا أحداً بما لم يرده الله وان كان بعضهم لبعض ظهيرا وبهذا الخلق وأمثاله تعتز الأمة ويشيع الخير فيها ، بتقليد الصغير للكبير والعامة للســادة .

أما نحن فوا أســفاه ، لا يحتاج الرئيس بله الحاكم ، لاعداد بعض من تحت رياسته أو تهديده ليطيع فيما يريد ، بل يكفى أن يستشــف بعض هؤلاء الذين لهم صــور الرجال دون حقائقها رغبــة الرئيس ، فيسارع الى تحقيق ما يريد ، لا يرعى فى ذلك الا ولا ذمة ولا كرامة !

وبعد ، فاننا نتوجه الى الله الذى لا حد لقدرته أن يغير ما بأنفسنا ، وأن يجعلنا رجالا تعتز بهم الأمة العربية والاسلام[1] .

* * *

(١) انظر : مجلة الأزهر : مج ( ٢٢ ) بتاريخ ١٣٧٠ هـ ــ ١٩٥٠ م / محمد يوسف موسى ص ( ٢١٠ ــ ٢١٤ ) .

# المبحث السادس

**مفاهيم قرآنية للرجولة والرجال**

ان التعبير الشائع لكلمة الرجولة بمعنى الذكورة يضيق من مفهومها وكذلك كلمة رجل التى اعتدنا اطلاقها كتمييز للنوع عن الأنثى ، ولكن كموقف ومبدأ ، والرجال كتصرف وسلوك هو ما نحاول القاء الضوء عليه مسترشدين بكتاب الله العزيز ، فانك تجد من يصف أنثى بأنها وقفت وقفة رجل ، وتجد من يسلب من الرجل صفة الرجولة وتجد من يعتبر الرجولة مظهرا وشكلا ، الى آخر ما فى دنيا الناس من اختلاف المفاهيم ، وربما تساءل البعض ما المقصد من وراء ذلك ؟

ونقول انها حاجة الاسلام الى الرجال وليس الى اعداد من البشر محسوبة عليه ، ان ألف مليون مسلم يملكون نعما حباهم الله بها . ومواقع استراتيجية يحسدون عليها ثم لا يكون تأثيرهم معادلا للرجال الأوائل فى الاسلام على الأقل ان لم يكن أكثر وأكثر ، ولا يكون نفعهم مماثلا للسابقين من المؤمنين ، يدعونا الى التأمل والعجب ، ويدفعنا الى المناداة الى المفاهيم القرآنية والسنة المحمدية لنستقى منها ونتعرف على موطن الداء والدواء ثم الاجتهاد فى التربية على هذا المنهج الرشيد لتصلح الدنيا وتحسن الخاتمة باذن الله .

ومع مفهوم الرجولة والرجال فى القرآن تلمس عدة مواضع المعنى العادى للرجل بمعنى تمييز النوع كقول الله تعالى : **﴿ الرجال قوامون على النساء ﴾ (١)** .

ولكن الكثير من المواضع والآيات تشير الى الرجولة كصفة للعاملين المخلصين الأعزة الاباة ، والمحسنين العاملين أصحاب المواقف الطيبة الرشيدة ، انها صفة لأعلى درجات الانسان ، صفة للنبوة والأنبياء ، وهى صفة لأنصار الأنبياء والرسل ، وهى صفة للصادقين من عباد الله ، صفة المؤمنين الذين جعلوا الله فى قلوبهم رقيبا ، والقرآن فى صدورهم رفيقا ومحمداً صلى الله عليه وسلم هاديا ومنيرا ، ثم

(١) النساء : ٣٤

انطلقـوا فى فجاج الأرض يمشـون فى مناكبها ليكدوا فى الحـلال ويفـروا من الحـرام ، وليتمـموا الأخـلاق ويهـدوا الرفاق **﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا ﴾(١) .**

وتأمل قول الله تعالى من المؤمنين ولم يقل كل المؤمنين ، فصفتهم الصدق فى الايمان والوفاء بعهد الله بدءا من التوبة الى التسليم فى قوله تعالى وما بدلوا تبديلا ، بل سلموا وقالوا كل من عنـد ربنـا وما دام من عند الله وجب فيه العمل المخلص الذى يرضيه تعالى ، فهو صـدق منزه عن الغرض ، بعيـد عن الطسع ، صدق لا يعرف التلون أو التمويه أو الخداع .

**﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ﴾(٢) .**

ومن الطبيعى اذن أن يكون الرجل أول الرجال وأفتاهم ويتكرر وصفهم فى ثلاثة مواضع بصيغة واحدة وفى ثلاث سور لا نجد فرقا حتى فى الألفاظ سوى كلمة « من » فى احداها لعل فى هذا حكمة ولا تدركها وتأمل معى :

**﴿ وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من اهل القرى ﴾(٣) .**

**﴿ وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم ، فاسالوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ﴾(٤) .** وهذه تزيد فيها كلمة ( من ) .

**﴿ وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم ، فاسالوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ﴾(٥) .**

وهكذا نرى الأنبياء رجـالا قاموا بمشقات الرسـالة وأعباء التبليغ ومقتضيات القـدوة حيث لا يتحملها الا طراز خاص نحتـاج الى التأسى

---

(١) الأحزاب : ٢٣
(٢) الاحزاب : ٤
(٣) يوسف : ١٠٩
(٤) النحل : ٤٣
(٥) الأنبياء : ٧

بهم وتلقف هديهم ومن ثم تتســاءل عن امامهم وقدوتهم اذا ما كان قد وصــف هو أيضــا بتلك الصــفة ويأتى الجواب فى قــوله تعــالى :
﴿ **أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قــدم صــدق عند ربهم ، قال الكافرون ان هذا لســاحر مبين** ﴾(١) .

وننتقل الى أنصار الرسل والأنبياء فنجد هذه الصــفة من أبرز صفاتهم التى أشــاد الله بها ولنا فى صحابة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الواضح حين أشاد الله تعالى بعمار المسجد المؤسس على التقوى فى معرض الحديث عن مسجد الضرار الذى كان اليهود وراء اقامته تفريقا للمســلمين وارضاء لمن حارب الله ورسوله ولنتلوا معــا قول الله تعــالى : ﴿ **لا تقم فيه أبدا ، لمسجد اسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقــوم فيــه ، فيه رجــال يحبــون أن يتطهروا ، والله يحب المطهرين** ﴾(٢) .

وتبدو صفة الرجولة واضحة فى الصحابة الذين يعمرون مسجد التقوى ونشير الى صفة بارزة للرجال وهى الطهارة باطنا وظاهرا مخبرا ومظهرا فى أنفسهم وأعمالهم . فهى لهم خلق وطبــع وليست عادة فقط لأنهم محبون للطهارة فهى خلق متمكن منهم وطبع أصيل فيهم وهم أبعد ما يكونون عن القذر الحسى والمعنوى وكارهــون للرجس والســوء والفحشــاء .

وكذلك كان أعــوان كل نبى رجال ، وكثر ذكر الرجال فى بعض أنصار سيدنا موسى عليه السلام حيث تحدث القرآن عن أربعة مواقف فى هذا الشأن اثنان كان النصير من آل فرعون واثنــان كانا من قوم موسى وهم حسب الترتيب الزمنى موقف الرجل الذى جاء من أقصى المدينة ليحذر موسى من التآمر عليه ثم موقف مؤمن آل فرعون يحذرهم

---

(١) يونس : ٢ (٢) التوبة : ١٠٨

من قتل موسى ثم موقف التوبة باختيار سبعين رجلا ثم موقف رجلين من قوم موسى ينصحان بنى اسرائيل بعدم المخالفة وكان الرجال فى بنى اسرائيل معدودين ولكن باستعراض هذه الأربعة نخرج بذخيرة قرآنية من صفات الرجولة والرجال .

وانظر الى أولهم يسعى من أقصى المدينة حبا فى موسى ورب موسى ينبهه الى خطورة بقائه بالمنطقة لينقذه من تدبير فرعون ودسائسه وتبدو الرجولة واضحة فى وصف الله له حيث لا مبالاة ولا محاباة ولكنه المبدأ والواجب تحت أية ظروف ومهما كانت العقبات ..

**﴿ وجاء رجل من أقصا المدينة يسعى، قال يا موسى أن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين ﴾(١) .**

ويذكر موقف هذا الرجل بنصير آخر وقف بجانب الأنبياء الذين بعثهم الله الى أهل القرية التى قيل انها أنطاكية حيث وقف أهل القرية منهم موقف المعاند المستكبر حتى وصل الأمر الى التهديد الصريح باعدام الأنبياء رجما بالحجارة : **﴿ لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم ﴾(٢)** هكذا بكل وضوح وتجبر يحارب أهل الحق وحملة الفضيلة وتهدد كل دعوة للبناء والاصلاح ويبدو الباطل متوعدا متوحشا ويتجبر البشر ويستكبر الانسان .

ووسط هذه الظلمات المدلهمة ينقشع الباطل أمام رجل لا يهمه قرية بأكملها أو مجتمع بأسره أنها رجولة الايمان التى تبدى النصيحة وتقول الحق لا تخشى فى الله لومة لائم وهى شهامة المخلصين لمواجهة الظلمة والمتجبرين ومهما قل الأنصار فقد تسلحوا باليقين والثقة برب العالمين ليكون هناك حد من غلواء المكذبين المسرفين فالله عندهم خير

---

(١) القصص : ٢٠

(٢) يس : ١٨

وأبقى ومن أجل هـذا نطق القرآن بقصـة الرجل مع أهل قريتـه :
**﴿ وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى ، قال يا قوم اتبعوا المرسلين . اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون ﴾(1) .**

ونراه شـأن الرجال يعلن عقيـدته فى وضـوح ودون خضوع :
**﴿ ومالى لا أعبد الذى فطرنى واليه ترجعون . أأتخذ من دونه آلهة ، ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون . انى اذا لفى ضلال مبين . انى آمنت بربكم فاسمعون . قيل ادخل الجنة ، قال يا ليت قومى يعلمون . بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين ﴾(2) .**

حتى وهو فى الجنة حريص على قومه وهكذا حب الرجال لأهليهم وأوطانهم وحرصهم على هدايتهم واصلاح حالهم .

ونستكمل المواقف الثلاثة الأخرى للرجال مع سـيدنا موسى فنعود الى مؤمن آل فرعون الذى لم يذكر الله اسمه ليعلمنا أن الرجولة من صفاتها انكار الذات واخلاص الوجه لله ولهذا كانت تسـمية الأولياء برجال الله ، ان هـذا الرجل الذى سميت سورة غافر باسمه حيث يطلق عليهـا سورة المؤمن يقف ضد قومه وضد فرعون وملئه ويناصر موسى الذى هو من جنس ليس من جنسـه ولا قرابة بينه ولا صلة الا الايمان وتظهر الرجولة اذا علمنا مدى جبروت فرعون وكيف استحل لنفسـه ملك مصر وكيف أعانته بطانة السوء من هامان وقارون وغيرهما وكيف اعتبر نفسـه الها لا ترد له كلمة ، وسط هـذا الجو الرهيب يأتى صوت الهداية ممن يكتم ايمانه :

**﴿ أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ، وان يك كاذبا فعليه كذبه ، وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ، ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب ﴾(3) .**

---

(1) يس : 21 ، 22
(2) يس : 22 ــ 27
(3) غافر : 28

ويستمر القرآن مع الرجل المؤمن على مدى تسع آيات كاملة يبين حكمة الرجل وعلمه بتاريخ من سبقه ونظرته الى عواقب الأمور وخوفه على قومه ولكن من يسمع للناصحين .

ونستمر مع نبى الله موسى بعد خروجه ببنى اسرائيل من مصر لنشهد معه موقف رجلين ينصحان قومهما بعدم مخالفة موسى وأن يدخلوا معه الأرض المقدسة دون خوف من الجبارين ولكنه طبع اليهود الغادر وجبنهم المتأصل مما يدفع الرجلين الى أن يبينا أن المطلوب هو الامتثال وعلى الله الاتمام لأن الامتثال تصديق واخلاص فيه والغلبة والنصرة من الله أو صدق الاتباع ﴿ **قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب ، فاذا دخلتموه فانكم غالبون ، وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين** ﴾(1) وهذه على مر العصور أسباب النصر ايمان وامتثال وتوكل وصلة قوية بالله تعالى لا تزعزعها فتن أو تهزها شدائد .

ولعل الموقف الرابع أبلغ فى التعبير عن أن الرجولة صمود ضد تيار الانحراف حيث لم تثبت أصالة بنى اسرائيل فى عبادة الله حين تركهم موسى ليأتى لهم بالألواح هداية من الله ولكنهم خيبوا ظنه ورجع اليهم ليجدهم قد عبدوا عجلا جسدا له خوار وأخبره الله تعالى بذلك وماذا بعد غضب الله أن ينقذهم أنه يختار من صمدوا وثبت اخلاصهم .

﴿ **واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا ، فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياى ، أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ، ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء ، انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين** ﴾(2) .

اننا لا نريد كثرة الرقعاء والمتخنثين ، ولا نريد كثرة الكسالى والطامعين ولا نريد كثرة الجاحدين المتشككين انما نريد كثرة من ملكوا الدنيا ولم تصرفهم عن ربهم أو انما استعملوها وعمروها فى سبيل ربهم

(1) المائدة : ٢٣

(2) الاعراف : ١٥٥

وجعلوا الموت شـــهادة فى سبيل رفعة دينهم ونذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وســـلم :

« تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها قالوا أو من قلة نحن يا رسول الله بل كثير ولكن كثرة كغثاء السيل » ، ثم علل ذلك بقوله : « انه حب الدنيا وكراهية الموت » .

لهذا ندعوا المسلمين بنداء سيدنا لوط لقومه حين أساءوا الأدب مع ضيوفه « أليس منكم رجل رشـــيد » .

أما الذين آمنوا ولم يستطيعوا حيلة ولم يهتدوا سبيلا فى البلاد التى يحكمها غير المسلمين . فالرجولة بالنسبة لهم صمود وثبات وكفاهم أن الله تعالى شاءت حكمته أن يؤجل فتح مكة ســـنتين فلا يتم دخولها عام الحديبية لقوله تعالى :

**﴿ ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فيصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله فى رحمته من يشاء ﴾(1) .**

أما من أنعم الله عليهم بالحرية فلينظروا سورة النور ليجدوا الرجال فى صفات جامعة رجال تخرجوا من المسجد أولا فبيت الله بيتهم معظمين لشعائر الله ذاكرين مسبحين لا يفترون فهم بالليل رهبان وبالنهار فرسان مع الله وبالله بالغدو والآصال لا تلهيهم الدنيا لأنهم أسيادها ولا يصرفهم تعالى عمن يتعاملون فى ســـبيله لأنهم أهل الصـــلاة أهل الزكاة أهل الخوف من الله .

**﴿ فى بيوت اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيـــه القلوب والأبصار . ليجزيهم الله أحســـن ماعملوا ويزيدهم من فضـــله ، والله يرزق من يشـــاء بغير حساب ﴾(2)،(3) .**

* * *

(1) الفتح : ٢٥ (2) النور : ٣٦ — ٣٨

(3) انظر : مجلة لواء الاسلام ، ( س : ٣٢ ) ، ( ع : ٢ ) شوال ١٣٩٧ هـ — أكتوبر ١٩٧٧ م ( ص ٧ — ١١ ) / عبد الله محمد كامل .

# خاتمة

● **اخى المسلم :**

إن الرجولة اذا اكتملت فى أمة فبشرها بالخير وتمام النعمة ، لأنها أخذت ترتقى مدارج العظمة ، وان صفات الرجولة اذا انتشرت فى شعب من الشعوب تهيأ للوثوب ، وتحفز للنهوض ، ونال حقه المغصوب وأصبح ذا جانب مرهوب .

هذا وتتجلى الرجولة بأكمل معانيها وصورها الحية فى الرجل الأول والنبى والرسول الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم ، فحياته كلها كانت عنوانا على الرجولة الحقة .

وما أشد حاجتنا فى هذه الظروف التى تتعرض فيها الأمة الاسلامية للمؤامرات الى التذكير بموقف من المواقف الحاسمة للرسول صلى الله عليه وسلم اعتصم فيه بالحق فلم ينكص عنه لقلة جنده ولم يتهيب عدوه لشدة بطشه .

وتاريخ الصحابة ومن بعدهم مملوء بأمثلة الرجولة : فأقوى ميزات عمر أنه كان رجلا لا يراعى فى الحق كبيرا ، ولا يسالىء عظيما أو أميرا ويقول فى احدى خطبة :

« أيها الناس أنه الله ما فيكم أحد أقوى عندى من الضعيف حتى آخذ الحق له ، ولا أضعف عندى من القوى حتى آخذ الحق منه » .

ولذلك نجد المسلمين الأوائل كانوا رجالا يوصفون بالرجولة التى بثها فيهم دينهم وعظماؤهم ، هى التى سمت بهم وجعلتهم يفتحون أرقى الأمم مدنية وأعظمها حضارة .

ونريد بالرجولة صـــفة جامعة لكل صفات الشرف ، من اعتداد النفس واحترام لها ، وشـــعور عميق باداء الواجب ، مهما كلفه من نصب وحماية لمـا فى ذمته من أسرة وأمة ودين ، وبذل الجهد فى ترقيتها والدفاع عنها والاعتزاز بها ، واباء الضيم لنفســـه ولها ، وهى صـــفة يمكن تحقيقها مهما اختلفت وظيفة الانسان فى الحياة .

ان الاســـلام دين الحياة بكل ما تحمله كلمة الحياة من معانى الخير الوارف والســـعادة الحقة .

والتاريخ أصدق شاهد على هؤلاء العلماء الذين نهجوا الاســـلام فى الفكر السليم والرأى السديد ، كانوا مشاعل العلم الناضج ومناهل المعرفة الســـامية للناس أجمعين يوم أن كانت أوربا فى ظلام حالك من الجهل المطبق والتأخير المزرى .

وأخيرا نقول إن الاســـلام فى حاجة الى الرجال وليس الى أعداد من البشر محسوبة عليه ، ان ألف مليون مسلم يملكون نعما حباهم الله بها ومواقع استراتيجية يحسدون عليهـــا ثم لا يكون تأثيرهم معادلا للرجال الأوائل فى الاســـلام على الأقـــل ان لم يكن أكثر وأكثر . فينبغى علينا معشر المســـلمين أن نتمسك بالفضـــائل ونطبقها فى حياتنا حتى يكون المســـلم حكيما وشجاعا وعفيفا وعادلا ، ونستقى من القرآن الكريم والســـنة المطهرة ونتعرف على موطن الداء والدواء لتصلح الدنيا وتحسن الخاتمة باذن الله ..

.. وآخر دعوانا أن الحمـــد لله رب العالمين ..

***

# مراجع الكتاب


١ ـ الأخلاق فى الاسلام والفلسفة القديمة / أسعد السحمرانى .

٢ ـ الأخلاق الاسلامية وأسسها / عبد الرحمن حنبكة الميدانى ـ دمشق .

٣ ـ الأخلاق النظرية / عبد الرحمن بدوى ـ الكويت : وكالة المطبوعات ، ١٩٧٥ م .

٤ ـ الأخلاق الاسلامية / حسن الشرقاوى .

٥ ـ الأخلاق عند الغزالى / زكى مبارك ـ بيروت : دار الجيل ، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م .

٦ ـ الأخلاق / الجاحظ .

٧ ـ أخلاقنا الاجتماعية / مصطفى السباعى ـ دمشق : المكتب الاسلامى ، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م .

٨ ـ أدب الدنيا والدين / الماوردى .

٩ ـ أخلاقنا / محمد ربيع محمد جوهرى ـ القاهرة : دار الطباعة المحمدية ، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م .

١٠ ـ الاستيعاب فى معرفة الأصحاب /

١١ ـ بطل الأبطال أو أبرز صفات النبى ( صلى الله عليه وسلم ) / عبد الرحمن عزام .

١٢ ـ تاج العروس / الزبيدى ـ بيروت : دار المعرفة .

١٣ ـ التعريفات / الجرجانى .

١٤ ـ تفسير ابن كثير .

١٥ ـ التاج الجامع للأصول لأحاديث الرسول .

١٦ ــ تفسير المنار / محمد رشيد رضا .

١٧ ــ جوانب التربية الاسلامية الأساسية / مقداد يالجن ــ بيروت : مؤسسة الريحانى .

١٨ ــ حقوق الانسان / حسن على ــ الكويت : وكالة المطبوعات ، ١٤٠٢ هـ ــ ١٩٨٢ م .

١٩ ــ الحلم / ابن أبى الدنيا ــ القاهرة : مكتبة القرآن ، ( د . ت ) .

٢٠ ــ خلق المسلم / محمد الغزالى .

٢١ ــ الخلق الحميد فى القرآن المجيد / محمد عبد الرحيم عدس .

٢٢ ــ دائرة المعارف الاسلامية ــ مصر : وزارة الثقافة ، ١٩٦٩ م .

٢٣ ــ الذريعة الى مكارم الشريعة / الراغب الأصفهانى ــ بيروت : دار الكتب العلمية ( د . ت ) .

٢٤ ــ رحمة للعالمين / محمد سليمان سلمان المنصوفورى ــ تعريب مقتدى الأزهرى ــ الهند : الدار السلفية ، ١٤١٠ هـ ــ ١٩٨٩ م

٢٥ ــ روضة الطالبين وعمدة السالكين / أبى حامد الغزالى ــ بيروت : دار النهضة الحديثة .

٢٦ ــ الرسالة القشيرية / القشيرى ــ القاهرة : دار الكتب الحديثة ، ١٣٨٥ هـ ــ ١٩٦٦ م .

٢٧ ــ الرجولة عماد الخلق الفاضل / حمزة شحاته ــ الرياض : تهامة ، ١٤٠١ هـ ــ ١٩٨١ م .

٢٨ ــ سنن ابن ماجه /

٢٩ ــ سيرة ابن هشام /

٣٠ ــ الشجاعة فى نظر الاسلام / زكى سويلم .

٣١ ــ الضياء اللامع فى الخطب الجوامع / محمد بن صالح بن عثيمين ــ القاهرة : دار الريان للتراث ، ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٨ م .

٣٢ ــ الطب الروحانى / الرازى .

٣٣ ــ العقل وفضله / ابن أبى الدنيا ــ تحقيق مجدى السيد ابراهيم ــ القاهرة : مكتبة القرآن ، ( د . ت ) .

٣٤ ــ علم الأخلاق/أرسطوطاليس . ــ ترجمة أحمد لطفى السيد.

٣٥ ــ غرر الخصائص الواضحة / ــ مصر : المطبعة الأدبية المصرية ، ١٣١٨ هـ .

٣٦ ــ الغزو الفكرى الالحادى / عبد الحميد متولى .

٣٧ ــ الفضائل فى ضوء الكتاب والسنة / محمد سالم محيسن . ــ الاسكندرية ــ مؤسسة شباب الجامعة ، ١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣ م .

٣٨ ــ الفضائل الخلقية فى الاسلام / أحمد عبد الرحمن ابراهيم ــ الرياض : دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٤٠٢ هـ ــ ١٩٨٢ م .

٣٩ ــ فتاوى ابن تيمية / ابن تيمية .

٤٠ ــ فتح البارى فى شرح صحيح البخارى / ابن حجر العسقلانى .

٤١ ــ فى ظلال القرآن / السيد قطب .

٤٢ ــ فيض الخاطر / أحمد أمين ــ القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ط ( ٤ ) ، ١٩٥٨ م .

٤٣ ــ القرآن الكريم .

٤٤ ــ القناعة والتعفف / ابن أبى الدنيا ــ تحقيق : مجدى السيد ابراهيم ــ القاهرة : مكتبة القرآن ، ( د . ت ) .

٤٥ ـ كلمات من نور / ثانى المنصور ـ الرياض : مكتبة الرياض الحديثة ، ١٣٣٩ هـ ـ ١٩٧٣ م .

٤٦ ـ كشاف اصطلاحات الفنون / تحقيق لطفى عبد البديع .

٤٧ ـ لسان العرب / ابن منظور .

٤٨ ـ مكارم الأخلاق / يحيى المعلمى ـ القاهرة : المطبعة العالمية ، ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م .

٤٩ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / محمد فؤاد عبد الباقى .

٥٠ ـ مقام العقل عند العرب / حافظ طوقان .

٥١ ـ موسوعة أخلاق القرآن / أحمد الشرباصى ـ لبنان : دار التراث العربى ، ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م .

٥٢ ـ الملتقى الاسلامى المسيحى الثالث / حقوق الانسان .

٥٣ ـ الميزان / الذهبى .

٥٤ ـ منتخب كنز العمال .

٥٥ ـ مجلة الحرس الوطنى ، ( ع ٢٩ ) بتاريخ رجب ١٤٠٥ هـ ـ ابريل ١٩٨٥ م .

٥٦ ـ ماهية العقل ومعناه / الحارث المحاسبى ـ بيروت : دار الفكر ( د . ت ) .

٥٧ ـ مختصر روضة العقلاء ـ القاهرة : مكتبة القرآن .

٥٨ ـ مجلة الحرس الوطنى ، ( ع ٢٤ ) ، بتاريخ صفر ١٤٠٥ هـ ـ نوفمبر ١٩٨٤ م .

٥٩ ـ الموعظة الحسنة / محمد على أبو العباس .

٦٠ ــ مجلة التوعيــة الاســلامية : ( س ١٥ ) ، ( ع ٧ ) ، ــ ١٤٠٩/١٢/٢ هـ •

٦١ ــ مجلة لواء الاســلام : ( س ٣١ ) ، ( ع ٢ ) ، شــوال ١٣٩٦ هـ ــ أكتوبر ١٩٧٦ م •

٦٢ ــ مجلة لواء الاســلام : ( س ٣١ ) ، ( ع ٩ ) ، جمادى الأولى ١٣٩٧ هـ ــ ديسمبر ١٩٧٧ م •

٦٣ ــ مجلة لواء الاســلام : ( س ٣٢ ) ، ( ع ٢ ) ، شــوال ١٣٩٧ هـ ــ أكتوبر ١٩٧٧ م •

٦٤ ــ مجلة الأزهر : ( مج ٢٢ ) ، بتاريخ ١٣٧٠ هـ ــ ١٩٥٠ م •

٦٥ ــ مجلة الأزهر : ( مج ٢٠ ) ، محرم ١٣٦٨ هـ ــ ١٩٤٩ م •

٦٦ ــ مجلة الضياء ــ الامارات العربية المتحــدة ، ( س ٧ ) ، ( ع ٢٠ ) ، بتاريخ ١٤٠٧ هـ ــ ديسمبر ١٩٨٦ م •

٦٧ ــ مجلة المنهل : س ١ : جـ ١٠ بتاريخ رمضان ١٣٥٦ هـ ــ نوفمبر ١٩٣٧ م •

٦٨ ــ مجلة البيــان ــ بريطانيا ، ( ع ٢٩ ) ــ ٢٩ ذو القعــدة ١٤١٠ هـ ــ ١٩٩٠/٦ م •

٦٩ ــ النفس أمراضها وعلاجها فى الشريعة الاسلامية / محمــد الفقى ــ القاهرة : مكتبــة محمــد صبيح ، ١٣٩٠ هـ ــ ١٩٧٠ م •

* * *

## فهرس الآيات القرآنيــة

| الآيـة | الصفحة |
|---|---|
| ﴿ ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف ... ﴾ ( آل عمران : ١٠٤ ) .. .. .. .. .. .. | ١٧٢ |
| ﴿ ... واذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ ... ﴾ ( آل عمران : ١١٩ ) .. .. .. .. .. .. | ٧٥ |
| ﴿ وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض ﴾ ( آل عمران : ١٣٣ ) .. .. .. .. | ٦٢،٤٦ |
| ﴿ ... والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ﴾ ( آل عمران : ١٣٤ ) .. .. .. .. .. .. | ٧٥ |
| ﴿ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ... ﴾ ( آل عمران : ١٤٤ — ١٤٥ ) .. .. .. .. | ٧٢ |
| ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب ... ﴾ ( آل عمران : ١٥٩ ) .. .. .. | ١١٨،٨٢ |
| ﴿ الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم ... ﴾ ( آل عمران : ١٧٣ — ١٧٤ ) .. .. .. .. | ٧١ |
| ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله ... ﴾ ( آل عمران : ٢٠٠ ) .. .. .. .. | ٦٨ |
| ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ... ﴾ ( النساء : ١ ) .. .. | ١١٦ |
| ﴿ يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا ﴾ ( النساء : ٧١ ) .. .. .. .. | ٢٨ |
| ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما ارسلناك ... ﴾ ( النساء : ٨٠ ) .. .. .. .. .. .. .. | ٢٦ |
| ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه ... ﴾ ( النساء : ٨٢ ) .. .. .. | ٢١ |
| ﴿ .. ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وامتعتكم .. ﴾ ( النساء : ١٠٢ ) .. .. .. .. .. .. | ٢٩ |

| الآيـة | الصفحة |
| --- | --- |
| ﴿ ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا ما قاموا الى الصلاة .. ﴾ ( النساء : ١٤٢-١٤٣ ) .. . | ٤٦ |
| ﴿ وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ﴾ ( النساء : ١٧٣ ) .. .. .. .. .. .. .. | ١٤٦ |
| ﴿ واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ﴾ ( المائدة : ١١ ) .. .. .. .. .. .. .. .. | ١٢ |
| ﴿ فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين ﴾ ( المائدة : ١٣ ) .. .. .. .. .. .. .. .. | ٨٢ |
| ﴿ قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم ﴾ ( المائدة : ٢٣ ) .. .. .. .. .. .. .. .. | ٢١٦ ، |
| ﴿ انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض ﴾ ( المائدة : ٣٢ ) .. .. .. .. .. .. .. .. | ١١٧ |
| ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم ﴾ ( المائدة : ٤٩ ) .. .. .. .. .. .. .. .. | ٢٧ |
| ﴿ اذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ... ﴾ ( المائدة : ٥٤ ) .. .. .. .. .. .. .. .. | ١٩٩ |
| ﴿ واطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا ... ﴾ ( المائدة : ٩٢ ) .. .. .. .. | ٢٤ |
| ﴿ ... واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ﴾ ( الانعام : ١٥٢ ) .. .. .. .. .. .. .. .. | ١٣٨ |
| ﴿ ولا تقتلوا أولادكم ﴾ ( الانعام : ١٥١ ) .. .. .. .. .. .. .. .. | ١٧٠ |
| ﴿ يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ﴾ ( الأعراف : ٣١ ) .. .. .. .. .. .. .. .. | ١٥٠ |
| ﴿ والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم ﴾ ( الاعراف : ٦٥-٦٨ ) .. .. .. .. .. .. .. | ٦٧ |
| ﴿ سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق ﴾ ( الاعراف : ١٤٦ ) .. .. .. .. .. .. .. | ١٤٧ |
| ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة ﴾ ( الاعراف : ١٥٥ ) .. .. .. .. | ٢١٦ |

الصفحة — الآيـة

| الآيـة | الصفحة |
|---|---|

| الآيــة | الصفحة |
| --- | --- |
| ﴿ يابنى اقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر ﴾ ( لقمـان : ١٧ ) .. .. .. .. .. .. .. | ١١٤ |
| ﴿ يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه فى يوم ﴾ ( السجدة : ٥ ) .. .. .. .. .. .. .. | ٢١ |
| ﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول ﴾ ( السجدة : ١٣ ) .. .. .. .. .. .. .. | ٤٣ |
| ﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وما جعل ازواجكم ﴾ ( الاحزاب : ٤ ) .. .. .. .. .. .. .. | ٢١٢ |
| ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى ﴾ ( الأحزاب : ٢٣ ) .. .. .. .. | ١٨٣،١٨٠ |
| ﴿ ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله ﴾ ( الأحزاب : ٢٥ ) .. .. .. .. .. .. .. | ٧٥ |
| ﴿ انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال ﴾ ( الأحزاب : ٧٢ ) .. .. .. .. .. .. .. | ١٤١ |
| ﴿ ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ﴾ ( الأحزاب : ٧٣ ) .. .. .. .. .. .. .. | ١٤١ |
| ﴿ وكان الله عليما حكيما ﴾ ( الأحزاب : ٥١ ) .. .. .. .. .. .. .. | ٦٤ |
| ﴿ فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا ﴾ ( فاطـر : ٤٣ ) .. .. .. .. .. .. .. | ٧٠ |
| ﴿ لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم ﴾ ( يس : ١٨ ) .. .. .. .. .. .. .. .. | ٢١٤ |
| ﴿ وجاء من أقصا المدينـة رجل يسـعى قال ياقوم اتبعوا المرسلين ﴾ ( يس : ٢٠ ) .. .. .. .. | ٢١٥،١٨٠ |
| ﴿ اتبعوا من لا يسئلكم أجرا وهم مهتدون ﴾ ( يس : ٢٠-٣١ ) .. .. .. .. .. .. .. | ٢١٥ |
| ﴿ وما لى لا اعبد الذى فطرنى واليـه ترجعون . أاتخذ من دونه ﴾ ( يس : ٢٢-٢٧ ) .. .. .. .. | ٢١٥ |

| الآيـة | الصفحة |
| --- | --- |
| ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء ﴾ ( الفتح : ٢٩ ) | ١٥٦ |
| ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ... ﴾ ( الحجرات : ١٢ ) | ٣٣ |
| ﴿ يا أيها الذين آمنوا انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم ﴾ ( الحجرات : ١٣ ) | ١٥٨،١١٨ |
| ﴿ ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ﴾ ( ق : ١٦ ) | ٤٣ |
| ﴿ هل آتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين ﴾ ( الذاريات : ٢٤ــ٢٧ ) | ٥٩ |
| ﴿ ما كذب الفؤاد ما راى ﴾ ( النجم : ١١ ) | ١٦ |
| ﴿ ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم ﴾ ( القمر : ٣٧ ) | ٥٩ |
| ﴿ وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾ ( الحديد : ٧ ) | ١٤٣ |
| ﴿ يرفع الله الذين آمنوا والذين اوتوا العلم درجات ﴾ ( المجادلة : ١١ ) | ٧٠ |
| ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ ( الحشر : ٩ ) | ١٠٢،٥٨ |
| ﴿ يا أيها الذين آمنوا أن من أزواجكم وأولادكم عدو لكم ﴾ ( التغابن : ١٤ ) | ٢٩ |
| ﴿ وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير ﴾ ( الملك : ١٠ ) | ١٥ |
| ﴿ فلا تطع المكذبين . ودوا لو تدهن فيدهنون ﴾ ( القلم : ٨ــ٩ ) | ٨٨ |
| ﴿ ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم ﴾ ( القلم : ٤٨ ) | ٧٥ |
| ﴿ وثيابك فطهر ﴾ ( المدثر : ٤ ) | ١٢٦ |

# الفهرس

صفحة

**الفصل الرابع : العــدل**
**( ١٣٣ ــ ١٧٤ )**



**الفصل الخامس : الرجولة**
**( ١٧٥ ــ ٢١٧ )**

رقم الايداع بدار الكتب ٩٣/١٠٩٢٢

دار التوفيق النموذجية للطباعة
أوفست . تيبو
الأزهر : ٣ حيضان الموصلى بجوار جامع السدعا
ت : ٥١١٥٣٠٤